

مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ  
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ  
يُوسُفَ الْقُرْظَاوِيِّ



المحور الحادي عشر

خطب الجمعة



خطب الشيخ القرضاوي

١٤

إعداد

د. خالد السعد



## من الدستور الإلهي للبشرية

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْزِدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧ - ٧٨].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

## من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هريرة رضي عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح، فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر». متفق عليه.

عن أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألت الله، فاسأله الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه - فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة». رواه البخاري.





## المسجد والطريق إلى الجنة<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

في الجمعة الماضية افتتح أمير البلاد الشيخ حمد بن خليفة حفظه الله هذا المسجد الكبير، أحدث مساجد قطر، وأكبر مساجد قطر، وادّخر له اسماً، كُنَّا نحسبه أن يُسَمِّيَه باسمه، أو يُسَمِّيَه باسم الشيخ قاسم بن مُحَمَّد مؤسس الدولة الأول، ولكنّه اختار له اسم إمام من أئمة المسلمين، مُجَدِّد الجزيرة العربيّة، اختار له اسم (الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهّاب)، رَحِمَهُ اللهُ.

وهذه هي الخطبة الثانية في هذا المسجد العظيم، الَّذِي نَسْأَلُ الله تبارك وتعالى أن يجعله مباءة للعلم والإيمان، والتَّقْوَى والإخلاص، وأن يجمع به عقول المسلمين على الْهُدَى، وقلوبهم على التَّقَى، وأنفسهم على المحبّة، وعزائمهم على عمل الخير، وخير العمل، ومن هنا ستكون خطبتنا اليوم في هذا المسجد العظيم عن: كيف يُعَدُّ المسجد رُؤَادَه لِلجَنَّةِ؟

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بِالْدُوحَةِ، بِتَارِيخِ ٢٧ مُحْرَمِ ١٤٣٣ هـ الْمَوْافِقِ

٢٣ دَيْسَمْبَرِ ٢٠١١ م.

## أهمية المسجد:

المسجد هو دار الإعداد للجنة، هو الدار الوحيدة المُعدّة لهذا الأمر، فللدور وظائف شتى، كلُّ دار تُؤهل أبناءها لما تُؤهلهم له، بعضها يُؤهل للجنة، وبعضها يُؤهل للنار، وبعضها يُؤهل أحياناً للجنة، وأحياناً للنار، أمّا المسجد فهو الذي هيّاه الله ليعدّ الناس لهذا المقرّ العظيم: الجنة.

ولهذا كان بناء المسجد عملاً عظيماً، حتّى قال النبي ﷺ فيما رواه عنه عثمان بن عفّان رضي الله عنه: «إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ بَنَى مَسْجِداً يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ». وفي رواية: «بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِداً وَلَوْ كَمِفْخَصِ قِطَاةٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>. القِطَاة: طائر صغير يَفْحَصُ فِي الْأَرْضِ لِيَبْيَضَ. والمعنى: مهما كان هذا المسجد صغيراً يبني الله به لمن بناه بيتاً في الجنة.

ولذلك قال النبي ﷺ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزْلاً فِي الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»<sup>(٣)</sup>. ويقول النبي ﷺ: «بَشَّرَ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ - فِي الظُّلُمَاتِ - إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٥٠)، ومسلم في المساجد (٥٣٣)، عن عثمان بن عفّان.

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٣١٥٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥٤٩)، وابن حبان في الصلاة (١٦١٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. والطبراني في الصغير (١١٠٥)، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب (٢٦٩)، عن أبي ذر.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٢)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٦٩)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وقال: غريب، كلاهما في الصلاة، والطبراني في الأوسط (٤٢٠٧)، وصحّحه الألباني في صحيح الترمذي (١٨٥)، عن بريدة.

## الطريق إلى الجنة:

هذه هي المساجد التي تُعَدُّ النَّاسُ لِلآخِرَةِ، تُعَدُّهُمْ لِلجنة؛ فكيف يُعَدُّ المسجد النَّاسُ لِلجنة؟

### ١ - الإيمان:

أَوَّلُ مَا يُعَدُّكَ بِهِ المسجد لِلجنة: هو الإيمان، أن تؤمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن إمامًا ومنهاجًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، الله تعالى يقول: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]. فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا فَلَا يَطْمَعُ فِي الْجَنَّةِ، مهما قَدَّمَ مِنْ أَعْمَالٍ، فالأعمال وحدها لا تنفع، لا بدَّ أن تكون الأعمال مبنية على أصل، والأصل الأصيل هو الإيمان، ومن غير الإيمان فإنَّ الأعمال لا وزن لها ولا قيمة؛ كما قال الله تعالى عن المشركين: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. لا عمل بلا نيَّة، ولا نيَّة بلا إيمان، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا فَلَا يَطْمَعُ فِي جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، هذا هو الأساس الأوَّل، والشرط الأوَّل.

### ٢ - عمل الصالحات:

وممَّا يرشدنا إليه المسجد من طرق الجنة: العمل؛ فلا ينفع إيمان بلا عمل، الإيمان بلا عمل يذوب وينقرض وييلى، الَّذِي يَقْوَى الْإِيمَانُ، وَيَثْبُتُ الْإِيمَانُ، ويجدُّ الإيمان هو الأعمال الصالحات، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، والصَّالِحَاتِ هو تعبير قرآني، هو ما يصلح به الفرد، وما يصلح به الأسرة، وما يصلح به الجماعة، وما يصلح به الدولة، وما يصلح به الأمة، وما يصلح به الإنسانية، هذا هو عمل الصالحات.

### شُعَبُ الْإِيمَانِ تَجْمَعُ الصَّالِحَاتُ:

جاء القرآن الكريم فوضح هذه الصَّالِحَاتِ، وجاء النبي ﷺ ووضحها غاية الإيضاح، روى لنا الإمام البيهقي عن رسول الله ﷺ شُعَبُ الْإِيمَانِ، وكان ممَّا رواه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسِتُّونَ - أَوْ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ - شُعْبَةً، أَعْلَاهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى مِنَ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>.

جمع الإمام البيهقي هذه الشُّعَبُ في سبعة عشر مجلدًا، فمن شعب الإيمان: بر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران، والإحسان إلى المسيء، والعفو عند المقدرة.. صفات وفضائل وإحسانات، تجعل الإنسان مُجَسَّدًا في مجموعة من مكارم الأخلاق، ولا غرو أن قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٢)</sup>.

### التَّقْوَى تَجْمَعُ شُعَبُ الْإِيمَانِ:

والذي يجمع هذه الشُّعَبُ يُسَمَّى فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ: التَّقْوَى، التَّقْوَى هي الَّتِي تَجْمَعُ شُعَبُ الْإِيمَانِ، لِأَنَّ أَسَاسَهَا خَشْيَةُ اللَّهِ، فَالتَّقْوَى لَيْسَتْ مَظْهَرًا، لَيْسَتْ لَحِيَةً تُطَوَّلُهَا، أَوْ عِمَامَةً تُكَوِّرُهَا، أَوْ ثَوْبًا تُقْصِرُهُ، لَا، التَّقْوَى أَعْظَمُ مِنْ هَذَا، يُسَمِّيهَا الْقُرْآنُ: ﴿تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وتقوى القلوب: أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ مَعَ اللَّهِ، تَخْشَى عَذَابَ اللَّهِ، وَتَطْمَعُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ، وَتَهْتَمُّ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَتَنْتَهِي عَنْ نَهْيِ اللَّهِ، وَتَخَافُ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ،

(١) متَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري (٩) مختصرًا، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرَّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد في حسن الخلق

(٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي،

وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.



تكون مع الله بقلبك دائماً، أشار النبي ﷺ إلى صدره، وقال: «التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا»<sup>(١)</sup>. يُعَلِّمهم بالإشارة، فاتق الله بقلبك أولاً.

تقوى الله ﷻ هي طريقك إلى الجنة، الله تعالى يقول: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. أُعِدَّت الجنة لأصحاب التقوى، فمن أراد أن يُعَدَّ نفسه للجنة فليُعَدَّ نفسه للتقوى، ليتق الله في أموره، صغيرها وكبيرها، وليُحَرِّم ما حَرَّمَ الله، وليُحِلَّ ما أَحَلَّ الله، ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، لا ينفقون في السراء فقط، لا، بل حتَّى في حالة الضراء ينفق، قد تكون معه لقمة فيجد فقيراً فيعطيه اللقمة، وهي كلُّ ما معه، لماذا علَّمنا الإسلام أن نُعطي زكاة الفطر ونحن فقراء؟ ليُعلِّمنا الإنفاق في الضراء، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

### الْمُتَّقُونَ وَالْمَعْصِيَةُ:

ولكن علَّمنا القرآن أنَّ الْمُتَّقِينَ ليسوا أنبياء معصومين، ولا ملائكة مُطَهَّرِينَ، هم بشر من البشر، يُخطئون كما يُخطئ البشر، عندهم شياطينهم، وعندهم أنفسهم الغالبة، الأثرة بالسوء، ولكنهم مُتَّقِظُونَ لهذه الأنفس، لا يستسلمون لشهواتها، ولا ياتَمرون بأهوائها، بل كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. يتذكرون الله، وجلال الله، ورقابة الله، وحساب الله، ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾، أبصروا الغاية، وأبصروا الطريق، يبصرون فيبعدون عن طريق السوء، ويمشون في طريق الخير.

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

وليس معنى هذا أنَّ التقيَّ لا يقع في المعصية، لا، بل يقع في المعصية، هذا قدر الله، كلُّ إنسان قد يغلبه شيطانه، وتغلبه نفسه؛ فيقع في حفرة الشيطان، ولكنَّه لا يستسلم لها، يرجع إلى نفسه، ويلومها ويحاسبها، ويعود إلى ربه، فيطلب منه التوبة، ويطلب منه المغفرة، ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]، سَمَّى الله تعالى هؤلاء المُسرفين على أنفسهم بالمعاصي والمظالم عباده؛ لأنَّهم لم ينقطعوا عن عبادته وعبوديَّته بالمعصية.

يعود التقيُّ على نفسه، ويرجع إلى ربِّه، ويسأله أن يتوب عليه، وأن يغفر له، وهو الغفور الرحيم، هذا هو شأن المُتقين، ولذلك قال تعالى في وصفهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. إذا ارتكبوا كبيرةً بفعل فاحشة، أو صغيرةً بظلم النفس، ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. هل هناك أحدٌ يغفر الذنوب إلا الله؟ لا يوجد أحدٌ إلا الله، ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ \* أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦]. فشعب الإيمان التي تجمعها كلمة التَّقوى هي من طرائق الوصول إلى الجنة.

### ٣ - الجهاد في سبيل الله:

وممَّا يرشدنا إليه المسجد من طرق الجنة: الجهاد في سبيل الله، كما يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]. هناك تجارة رابحة، بل أربح تجارة في الدنيا والآخرة، وليست تربح فقط، بل تُربح وتُنجي، ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾؟ دُلُّنا يا ربِّ. قال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١١].

الجهاد في سبيل الله بالنفس وبالمال، تتخلّى عن نفسك، وتتخلّى عن مالك، اشترى الله تعالى منك فبِعْ له، ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْتَ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]، اشترى منهم أنفسهم الذي خلقها، وأموالاً هو الذي رزقها، هل رأيت أحداً يشتري ما يملك؟ الله هو مالك هذه الأنفس، ومالك هذه الأموال، يشتريها منك، ويغلي الثمن، جنّة عرضها السماوات والأرض، ادفع لتأخذ الجنّة.

يقول الله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ نَعْلَمُونَ﴾ \* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١١، ١٢]. ومن ثمرات الجهاد غير الجنّة: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣]. هذا في الدنيا.

#### ٤ - الصبر على المحن والشدائد:

كذلك ممّا يرشدنا إليه المسجد من طرق الجنّة: المحن والشدائد في هذه الدنيا، فالدنيا دار امتحان، دار ابتلاء، ليست دار جزاء، وإلا ما عذب فيها المؤمنون، ولا نعم فيها الكافرون.

لكنّا نرى مؤمنين يُضطهدون، ونرى طغاة يرتكبون الموبقات، ولكنهم في طغيانهم يعمهون، أملى الله لهم لأنّ كيده متين، واستدرجهم من حيث لا يعلمون، فهم يُعذّبون شعوبهم، ويفعلون بهم الأفاعيل، هذه الشعوب التي يسقط منها ما يسقط من رجال ونساء وأطفال، كما نرى ما يحدث يومياً في سوريا العزيزة الحبيبة، وفي كثير من البلاد، هؤلاء الناس إنّما يُقدّمون ثمناً للجنّة.

الجنة شيء عظيم، فلا بد أن تدفع من أجله، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، إذا كنتم تستبطنون النصر؛ فالنصر أقرب ممّا تظنون، هو أقرب من لمح البصر، يأتيكم من حيث لا تحتسبون، ﴿أَلَا إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾. فالمحن والشدائد هي من الطريق إلى الجنة.

## ٥ - نَصْرُ اللَّهِ:

وممّا يرشدنا إليه المسجد من طرق الجنة: أن نكون من أنصار الله، كما يقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]. انصر الله لينصرك الله، ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لَلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، فكونوا كالحواريين لمحمد ﷺ ولدين محمد، الإسلام يحتاج إلى أنصار الله.

المسلمون الآن حوالي مليار وستمئة مليون في العالم، في أحدث الإحصائيات، ولكن من من هؤلاء أنصار الله؟ ماذا بذلت من مالك؟ ماذا بذلت من وقتك؟ ماذا بذلت من جهدك؟ ماذا بذلت من نفسك؟ ماذا قدّمت لله ﷻ؟ انصر الله، كن من أنصار الله، هذا هو المطلوب من كل مسلم يريد أن يفوز بالجنة.

## ٦ - اتِّبَاعُ الْأَحْسَنِ:

وممّا يرشدنا إليه المسجد من طرق الجنة: أن تتبع الأحسن، فالمسلم الذي يبتغي الجنة يتبع الأحسن؛ لأنّه لا يطلب أيّ جنة، بل يطلب أفضل

الجنّات، فالرسول ﷺ يقول: «إذا سألتكم الله الجنّة؛ فاسألوه الفردوس؛ فإنّه وسط الجنّة، وأعلى الجنّة، وفوقه عرش الرحمن، منه تفجّر أنهار الجنّة»<sup>(١)</sup>. هي ليست جنّة واحدة، بل جنان، فلا تطلب أي جنّة؛ بل اطلب أعلى جنّة، فأنت تطلب من أكرم الأكرمين، اطلب أحسن ما عنده، اطلب الفردوس؛ «فإنّه وَسَطُ الجنّة، وأعلى الجنّة، وفوقه عَرْشُ الرحمن منه تفجّر أنهار الجنّة».

ولا تسأل الله الفردوس الأعلى بمجرد الكلام، ولكن بالعمل، بأنّ تتبّع الأحسن، هناك حسن وأحسن، والمؤمن يطلب الأحسن، ودائمًا ما يدعونا القرآن إلى الأحسن، يقول: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ويقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤]، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَعْلَمْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥]. اتبع الأحسن في كل شيء، هذا هو شأن المؤمن الذي يريد الجنّة، الجنّة ليست شيئًا هيئًا يا قوم، الناس يسارعون في حياتنا إلى الأسواق كلما سمعوا بتنزيلات، ويشترون ما لا حاجة لهم به، ويرمونه في البيت، وبعد سنة يجدونه موجودًا كما كان، يفعلون ذلك من أجل تنزيلات بسيطة.

والله ﷻ - بكتابه وبسنّة نبيّه - يدعوكم إلى جنّة، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿فَلَا تَعْلَمْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٠)، عن أبي هريرة.

هذه هي طرائق الجنة التي يرشدنا إليها المسجد، فمن أراد الجنة فليسر إليها، عليه أولاً بالإيمان بالله تعالى، والأخذ بشعب الإيمان التي تجمعها كلمة التقوى، والجهد بالنفس والمال، والصبر على المحن والشدائد والرضا بها، وأن تنصر الله لينصرك الله، واتباع الأحسن في كل شيء، وبذلك يُمهّد المسجد الطريق إلى الجنة، هكذا يصنع المسجد رجال الجنة، يُهيئهم للجنة بهذه الطرائق، فكونوا من رواد المسجد، وكونوا من طلاب الجنة، عسى الله تبارك وتعالى أن يجمعنا فيها، في مستقر رحمة، ويغفر لنا ويرحمنا؛ إنه هو الغفور الرحيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم؛ إنه سميع قريب.

\* \* \*





## الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

### من قضايا المسلمين:

نحن في عالم عجيب، تمر الدنيا فيه وتدور بالمسلمين، والمسلمون في هذه الدنيا أنواع وألوان، منهم مَنْ هداه الله وَجَّهًا، وهَيَّاهُ لسبل الخير، ولطريق الجنة، وأبعده عن طريق الشياطين، طريق جهنم والعياذ بالله، ومنهم مَنْ يسير في ركاب الشياطين، يسير في مهوى عميق، ومنهم مَنْ استبدت به الحيرة فلا يدري أين يذهب، ولا أي طريق يسلك.

ونحن المسلمين ملتزمون بمنهج مبين، بصراط مستقيم، لا عوج فيه ولا أمت، إِنَّهُ كِتَابُ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿هُوَ ءَايَاتُ يُبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، إِنَّهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وما بَيَّنَّتهُ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

هناك ربيع عربي قامت فيه ثورات عربيَّة، انتصر بعضها، وحقَّق آمال الأمة فيه، ولا زال بعضها في الطريق، وسينتصر هو أيضًا، فسُنَّةُ اللَّهِ أَنْ يَنْتَصِرَ الْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ، وَيَنْتَصِرَ الْعَدْلُ عَلَى الظُّلْمِ، وَيَنْتَصِرَ النُّورُ عَلَى الظُّلَامِ.

هذه سُنَّةُ اللَّهِ ﷻ، ولكن هناك أشياء تحدث في الطريق، نرى في عالمنا أشياء كثيرة، ونريد أن نتحدَّث عن بعضها.

### ١ - اتِّهَامُ الْعُثْمَانِيِّينَ بِإِبَادَةِ الْأَرْمَنِ:

قرأنا أَنَّ فرنسا دانت ما فعله العثمانيُّون بالأرمن، واعتبرت هذا إبادة للأرمن من العالم، وأقرَّ ذلك مجلس النواب عندهم، أو كما يسمُّونه، ولكن تركيا وقفت ضدَّ هذا الأمر، ونحن نقف مع تركيا.

نحن نقف ضد اتهام الإسلام، وتاريخ الإسلام بالظلم، الإسلام لا يمكن أن يبيد أحداً، الإسلام لا يبيد الحيوان، عندما أراد الصحابة في المدينة أن يبيدوا طائفة الكلاب، كلاب ضالّة كانت تُزعجهم؛ فأرادوا أن يقتلوها كلها مرّة واحدة، فقال لهم النبي ﷺ: «لولا أنّ الكلاب أُمّة من الأمم لأمرتُ بِقَتْلِهَا»<sup>(١)</sup>. أعلن أنّ الكلاب أُمّة من الأمم ولا يجوز قتلها.

والله تعالى يقول: ﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨]. كل هذه أمم: أُمّة الكلاب، وأُمّة القطط، وأُمّة السباع، وأُمّة الفئران، لا يجوز أن تُفني أمة بكاملها من الأرض، فكيف يجوز أن تُفني أُمّة من البشر؟!

خطر في بال بعض سلاطين آل عثمان مرّة أن يُفني بعض أهل الملل؛ فقام شيخ الإسلام في حينه وقال له: ليس لك هذا؛ هؤلاء أهل ذمّتنا، معهم ذمّة الله، وأهل الذمّة كأهل الملة. فهؤلاء الذين يزعمون أنّ المسلمين أرادوا أن يُفنوا ملة من الملل هو كذب على التاريخ، وتضخيم للأعداد بغير حق.

وليس هذا من شأن البرلمانات، ليس من شأنها أن تحكم على تاريخ أُمّة، هذا شأن المؤرّخين، وليس شأن البرلمانيّين، فهؤلاء لا يعرفون تواريخ الأمم، هذا من شأن أهل العلم المُتخصّصين.

لهذا نحن نقف مع إخواننا في تركيا، ويجب على المسلمين جميعاً أن يقفوا ضد فرنسا في هذا الأمر، نرفض أن يُتّهم المسلمون في أيّ

(١) رواه أحمد (١٦٧٨٨)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الصيد (٢٨٤٥)، والترمذي في الأحكام (١٤٨٦)، وابن ماجه في الصيد (٣٢٠٥)، عن عبد الله بن مغفل.



مرحلة من المراحل، ليس في تاريخ الإسلام كله أنه أراد أن يُفني أمة من الأمم، فلا يقبل هذا إطلاقاً، هذه هي القضية الأولى.

## ٢ - الاجتماع الوطني في فلسطين:

القضية الثانية: نحن نُهنئ إخواننا في فلسطين بما قاموا به، أنهم اجتمعوا باعتبارهم فلسطينيين، لا اعتبار لمن كان في السلطة أو في غيرها، اجتمعت حماس، واجتمعت فتح، واجتمعت الجهاد، واجتمعت الفصائل كلها في مصر، وقرّروا أن يصيروا فصيلاً واحداً، وأن يكونوا كلهم يدّاً واحدة، وأن يدخلوا انتخابات واحدة، وأن يصبحوا أمة واحدة، ويتصالحوا على انتخابات حرة نزيهة، كلٌّ منهم يدخل الانتخابات، والانتخابات هي التي تصنع القيادة، وهذا ما نُقرّه؛ فالانتخابات هي التي تحكم بين الناس.

فنحن نُهنئ إخواننا الفلسطينيين بهذا الاجتماع، وهذا النجاح، كان أبو مازن محمود عبّاس - رئيس السلطة - يجلس بجوار أبي الوليد خالد مشعل - رئيس المكتب السياسي لحماس - يجلس بينهما رئيس المجلس التشريعي، ومعهم رمضان شلّح رئيس حركة الجهاد، هكذا ينبغي أن يكون الفلسطينيون، يجب أن يكونوا يدّاً واحدة، تقف وتقاوم العدو، ولا تستسلم له، ولا تُسلم في شيء أبداً، هذه قضية ثانية.

## ٣ - الاجتماع الوطني في تونس:

والقضية الثالثة في تونس: حيث اجتمعت رئاسة الوزراء بعد أن اجتمعت قبل ذلك رئاسة الدولة، وقبل ذلك رئاسة المجلس النيابي، الرئاسة الثلاث كلها اجتمعت: إسلاميون، وليبراليون، وعلمانيون، حتّى العلمانيون، ليس كل علماني مرفوض، المرفوض هو العلماني

المعادي للإسلام، المُغالي في عِلْمَانِيَّتِهِ، الغلو في العِلْمَانِيَّةِ هو الَّذي نرفضه، أمّا العِلْمَانِي الَّذي يُصَلِّي ويصوم ويقول: أنا عِلْمَانِي يعني أنا مدني ولست دينيًّا. فلا مانع من التعاون معه.

اجتمع هؤلاء كلُّهم بعضهم مع بعض، وأصبحوا يدًا واحدة، وهذا هو الَّذي ينبغي أن يكون في كلِّ بلد، أن يجتمع الدِّينيُّون والمدنيُّون، الإسلامِيُّون والليبراليُّون، وكلُّ القوى الوطنيَّة المُخلصة التي تريد أن تبني بلدها بناءً حقًّا، من حجارة أصليَّة، لا حجارة مُصطنعة ولا مستوردة، فنحن نهنيئ إخوتنا في تونس، وندعو لهم أن يوفِّقهم الله إلى غدٍ مشرق، إلى تونس أفضل، قادرة على أن تحلَّ مشكلاتها بنفسها، بأيدي أبنائها، لا بأيدي غيرها من الخارج، نسأل الله أن يوفِّقهم لما يحب ويرضى، وأن يجعل يومهم خيرًا من أمسهم، وغدهم خيرًا من يومهم.

#### ٤ - الانتخابات في مصر:

القضيَّة الرابعة في مصر: حيث انتهت مصر من مرحلتها الثانية في الانتخابات، وهي انتخابات رائعة حقًّا، فما كنا نرى مصر تُقبل على الانتخابات من قبل، كان النَّاس يقولون بلسان الحال أو المقال: ولم نذهب والحكومة ستفعل ما تريد في النهاية؟ لم نتعب أنفسنا؟ فكان بعضهم يذهب، يذهب (٥٪) أو (١٠٪)، وأكثر النَّاس لا يذهبون، ولذلك كانت الصناديق أمامهم مفتوحة يتلاعبون بها كما يشاؤون.

لكن الآن ذهب أكثر من ستين في المائة (٦٠٪) من الشعب إلى الانتخابات بصدر منشرح، وثغرٍ مبتسم، وعزيمة قويَّة، لكي يعطي صوته، ويقول رأيه، وينتخب مَنْ يراه أمثل لبلده، وأصلح لمستقبله، هذا هو الشعب حينما يفيق من سكرته، حينما يعرف أنَّ له رأيًا، وأن

رأيه هو الذي يبني البلد، وأنه ليس شيئاً هامشيّاً، هكذا أصبح الناس في مصر.

وكانت نتائج الانتخابات كلها انتصاراً للإسلاميين، وهذا من فضل الله، فشعوبنا مسلمة، تحبّ الإسلام، تريد أن ترفع راية الإسلام، مَنْ كان مسلماً حقّاً، ووجه وجهه إلى الله، ودعا الناس إلى الله؛ فإن معظم الناس وراءه، هذه هي الأمة، انتصر الإسلام في المغرب، وانتصر الإسلام في تونس، وانتصر الإسلام في مصر، وسينتصر الإسلام في ليبيا، وسينتصر الإسلام في اليمن، وسينتصر الإسلام في سورياً إن شاء الله، كل هذه البلاد بلاد مسلمة، وصوت الإسلام فيها هو الأعلى.

كانوا يزعمون في سورياً أنّ حزب البعث هو الحزب الوحيد، وكل ما عداه مرفوض، لقد انتهى حزب البعث، فلا مكان له، ولا مكان لغيره، الإسلام هو الباقي.

وليس معنى هذا أنّ مَنْ يدعو إلى غير الإسلام يُضرب أو يُضطهد، لا؛ بل يُسمع رأيه، ويُتفاهم معه، وهذا ما يدعو إليه إخواننا الإسلاميون في مصر، وفي تونس، هكذا ينبغي أن نُعامل الناس، فنحن نُهنئ المصريين بما وصلوا إليه.

##### ٥ - المظاهرات في مصر:

والقضيّة الخامسة في مصر أيضاً: قضيّة ما يجري في ميدان التحرير، وما حول ميدان التحرير عند مجلس الوزراء، نحن نقول: من حق كل فرد أن يحتجّ على أي شيء لا يعجبه، من حق أي فرد، أو أي مجموعة من الناس تجتمع، وتعلن عن نفسها، ولكن عليه ألا يعتدي على أحد،

ولا على مُنشأة، ولا على ملك عام، ولا ملك خاص، ولا يوقف أن يوقف حركة المرور، له هذا الحق، وليس من حقِّ أحدٍ أيَّ أحد - ولا للمجلس الأعلى للقوّات المُسلّحة، ولا الحكومة، ولا وزارة الدّاخليّة - أن يمنعه بالقوّة، هذا ما يجب أن نُقرّه.

ولذلك نُقرُّ إخوتنا في ميدان التحرير وفي تلك الأماكن، ولا نُقرُّ ضربهم، كما رأينا من يضرب هؤلاء، صحيح ليس كل عساكر الشرطة يضربون، ولكن كان بعضهم فعلاً يضربون المتظاهرين، ويجب أن يُحقّق مع هؤلاء، وأن تُجرى المحاكمات لهم.

والذي نقوله هنا: أنّ هناك محاكمات ذُكرت من قبل، ولم نر نتائجها، لماذا لا يعلنون عن النتائج؟ لماذا لا يُعلن عن عقوبة المخطئ؟ لا بدّ أن تُعلن النتائج على النَّاس حتّى يطمئنّوا.

وما عدا ذلك فالأمور يجب أن تسير في طريقها، لا بدّ أن يسير موعد الانتخابات كما هو، انتخابات المرحلة الثالثة، ثمّ انتخابات الرئاسة، يمكن التعديل فيها لكن لا يجوز تأجيلها، وليس التعديل ضروريّاً، هذا ما نريده، أن تستقرّ الأمور في مصر، لا يجوز أن تبقى الأمور هكذا في مصر دون إنجازٍ مهمّ.

لم أكن أرى من الضروري أن يتولّى الدكتور الجنزوري منصبه الآن، لأنّه رجلٌ كبير، بلغ ثمانية وسبعين عاماً، وكان يمكن أن يتولّى المنصب مَنْ هو أصغر منه، ثمّ هو رجلٌ محسوب على النظام السابق.. هكذا أرادوه، ولا مانع من ذلك؛ لأنّها فترة انتقاليّة، لا مانع من هذا ونرى ماذا يفعل؟ وهو يقول: إنّ أحداً لم يساعدنا إلّا قليلين جدّاً، لم تساعدنا الدول، ومنهم مَنْ وعدونا بخمسة وثلاثين ملياراً، ولم نر هذه المليارات.



مصر في حاجة إلى أن تبني نفسها، لا أن تعتمد على غيرها، لا بدّ أن تعمل، وتدخل في العمل الحقيقي، حتّى يمكن للناس أن يساعدوها، إذا كان المصريون في حالة انفرط فكيف يُساعدون؟ لا بدّ أن يعينوا أنفسهم، هذا بالنسبة لمصر.

## ٦ - اتّحاد دول التعاون الخليجي:

والقضيّة السادسة: ما حدث في نتيجة اجتماع دول التعاون الخليجي، اجتمعت دول التعاون هذا الأسبوع، وأهم ما حدث في هذا الاجتماع هو ما قاله خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، الذي أعلن أنّ دول التعاون يجب أن تتحول إلى دول للاتحاد، أن يتحوّل التعاون إلى اتحاد.

وهذا الاتّحاد هو منطق العصر، وهذا هو منطق الإسلام، وهذا هو منطق القرآن، ومنطق السُنّة، أن تتّحد هذه البلاد، كلّها بلاد واحدة، فلماذا لا تصير دولة كبرى، لها قوّاتها، ولها جيوشها، ولها نقدها، ولها أسطولها، ولها سوقها؟

إذا كانت أوروبا التي قاتل بعضها بعضاً، وسقط فيها عشرات الملايين في الحرب العالميّة الثانية، قتل بعضهم بعضاً، رأوا أن يصمتوا عن هذا، ويكفّوا عن ذكره، وأن يجمعوا بعضهم بعضاً ليقفوا صفّاً واحداً، هكذا أصبحت أوروبا كأنها بلد واحد، تسير فيها من بلد إلى بلد، وتتعامل بعملة واحدة (اليورو)، لماذا لا نكون كهؤلاء؟ لماذا لا تتّحد دول التعاون؟

نحن مع خادم الحرمين في دعوته إلى الاتّحاد، نشكره عليها، ونؤيّدّه فيها، وندعو أبناء الخليج جميعاً أن يتعاونوا معه، لا يجوز التخلف عن

دعوة الاتحاد، فالإتحاد الآن فريضة وضرورة، فريضة يُوجبها الدين، وضرورة يُحتمُّها الواقع، لا بدّ أن يتحد بعضنا مع بعض.

## ٧ - في الشأن العراقي:

هذا الإتحاد الذي نُؤيِّده هو دعوة الفريضة والضرورة، وليس كدعوة الذين يُفرِّقون شعوبهم، كما رأينا ذلك في العراق، هذا الذي يُسمَّى (المالكي) يريد أن يبيع العراق لسوريًا، يريد أن يتبرع بخمسة مليارات من الدولارات إلى سوريًا، فلمّا لم يجد مَنْ يتجاوب معه، لا في داخل العراق، ولا في أمريكا أراد أن يلعب لعبة - حينما ذهب إلى أمريكا - ليُضحّي بأهل السنة، ويصبح هو وحده المالك والحاكم.

كانت القائمة العراقية تشمل سُنّة وشيعة ومسيحيين وغيرهم، ويرأسها علاوي وهو شيعي، لكن المالكي رفض هذه القائمة العراقية، وأراد أن يطيح بنائب الرئيس السُنّي - الهاشمي تحت اسم الإرهاب، ولعب لعبة سخيفة من وراء ذلك؛ لكي يصبح العراق تحت يده، يحكمه وحده، ويلعب بملياراته، خرج الأمريكان فلي لعب هو بالمليارات كما يشاء.

لقد جعل (المالكي) المذهب فوق الإسلام، وجعل الطائفة فوق الأمة، وهذا ما لا يجوز؛ فالأمة فوق الطائفة، والإسلام فوق المذهب، والحق فوق القوّة، فلا بدّ أن يرجع الجميع إلى الله، وأن يرجعوا إلى الأمة، نحن نريد أن نُوحّد الأمة، ونُجمّع الأمة، لا نريد هذه الطائفيّة الممقوتة، أن يعمل كل واحد لطائفته، وينسى الآخرين، أو يرفض الآخرين، أو يطحن الآخرين.





## ٨ - القضية السورية:

إننا مع سوريا الشعب، ولسنا مع سوريا الحكم، شعب سوريا هو الباقي، والحاكم سيذهب مهما طال الزمن، ليس هناك حاكم يبقى إلى الأبد، قد يذهب الحاكم، ثم يذهب أولاده، هذه سنة الله وعجل.

قام شعب سوريا كما قامت شعوب أخرى، عشرة أشهر وهو يحارب بغير سلاح، بالاحتجاج، بالهتاف، بالوقوف في الشوارع، يرمي نفسه أمام هؤلاء (الشبيحة)، وأمام هؤلاء الذين يقتلونه بالدبابات، وبالمدافع، وبكل ما يملكون، وقام الشعب السوري وهو لا يملك شيئاً، كل الناس يعلمون هذا، هل يشك أحد في أن الشعب السوري حين قام لم يكن في يده عصا؟ حتى العصا ما كانت في يده، ولا حجارة، قام هذا الشعب وقُتل منه حتى الآن ستة آلاف ومائتان، قُتلوا بمجازر، قُتلوا بوحشية، قُتلوا بهمجية، قُتلوا بطريقة ليس فيها إنسانية إطلاقاً، وهذا الشعب لا بد أن ينتصر.

وحينما قامت الجامعة العربية بعد شهور طويلة بمبادرتها رحبنا بها، ولكن حكومة سوريا لم تُرحب، وماطلت وماطلت، ثم قبلت أخيراً، وذهبت بالأمس الطائفة الأولى من المراقبين، ونحن نأمل أن يكون هناك شيء من الجد، ويرى هؤلاء المراقبون آثار الجد، لماذا لم نر الآثار قبل أن يذهب هؤلاء بأيام، حتى يروا شيئاً عملياً؟ لماذا لم تبدأ من الأمس؟ لماذا لم تبدأ اليوم؟ لماذا لا تبدأ من الغد؟ حتى نرى كل شيء كما هو.

المفروض أن تُمنع كل المظاهر المُسلّحة من الشوارع والطرق، وأن يُسمح للناس بالخروج السلمي، لا حرج عليهم في ذلك، أن يُفرج عن المُعتقلين وهم مئات الآلاف، هذه أشياء نريد أن نراها في سوريا، ويراها المراقبون، ويدلهم عليها الناس، هذا ما نحب أن نراه في هذا

البلد العزيز، الذي يُؤْلَمُنَا، ويزعزع قلوبنا، ويُبكي عُيُونَنَا أن نرى كلَّ يوم يُقتل فيه عشرات وعشرات، وازداد أكثر وأكثر عندما جاءت الإملاءات من الجامعة العربيّة، ازداد القتل، وازدادت الدماء.

نحن نريد لأبنائنا وإخواننا وأخواتنا في بلادنا العربيّة ربيعًا زاهرًا، نريد أمة تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها، لا يتحكّم فيها الطغاة، لا يتحكّم فيها الجبّارون، كفى ما حكمتُم أيُّها الحكام السوريون، ما يقرب من خمسين عامًا، اتركوا الأمر لغيركم.

يا بشار الأسد حكمت أكثر ممّا يحكم الناس، حكمت دَوْرَتَيْن فيكفيك هذا، أتريد أن تحكم سوريا إلى الأبد؟ اترك الشعب يختار لنفسه، يجب أن نكون مع الشعوب، فالشعوب هي الباقية، والحكّام زائلون، العدل هو الباقي، والظلم زائل، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

يا أيُّها الإخوة، إنّنا ندعو الله تبارك وتعالى لأمتنا هذه أن يجمع كلمتها على الهدى، وقلوبها على التّقى، ونفوسها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، اللهمّ إنّنا نسألك العفو والعافية، في الدين والدنيا والآخرة، اللهمّ إنّنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهمّ استرّ عوراتنا، وآمن رَوْعَاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيّماننا، وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.

\*\*\*





## فضل يوم الجمعة

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ  
الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* فَإِذَا  
قُضِيََتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ  
تُفْلِحُونَ \* وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنْ  
اللَّهِوِّ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ [الجمعة: ٩ - ١١]. صدق الله العظيم.

شرع الله يوم الجمعة لنا نحن المسلمين ليكون عيداً أسبوعياً،  
ومؤتمراً دورياً ربانياً، يلتقي فيه الناس على طاعة الله، على كلمة التقوى،  
على ذكر الله وَحْدَهُ، ولهذا لأنَّ هذا اليوم يوم عيد أسبوعي للمسلمين، كره  
فيه الصيام، فلا ينبغي الصيام في يوم الجمعة، فهو أشبه بالعيد السنوي،  
ولهذا كان الصيام في العيد السنوي حراماً، وفي يوم الجمعة مكروهاً!  
ومعنى الصيام هنا صيام التطوع، من أراد أن يتطوع بصيام يوم الجمعة  
لأنَّه يوم جمعة، فذلك مكروه له، ولكن إذا أراد أن يقضي ما فات من  
صيام واجب عليه، أو صادف يوماً من الأيام التي يُسنُّ فيها الصيام،

صادف يوم عرفة، أو يوم عاشوراء، أو صام يوماً قبله أو يوماً بعده، فلا حرج عليه.

### عيد أسبوعي:

يوم الجمعة عيد أسبوعي، ولهذا كمل الله هذا العيد بهذه الصلاة الأسبوعية صلاة الجمعة، فرضها الله في هذا اليوم، وجعلها بدل صلاة الظهر، فرضها فرضاً، فإذا نُودِيَ إليها لم يَسْعُ مسلماً أن يتخلف عنها. وفرضها على الرجال دون النساء، وعلى المقيمين دون المسافرين، وعلى الأصحاء دون المرضى، ولكن إذا صَلَّى المسافر الجمعة أو صَلَّت المرأة الجمعة، فلا حرج عليها، وقد كان النساء يذهبن إلى مسجد النبي ﷺ في صلاة الجمعة وفي الصلوات الخمس.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، ينبغي أن تتعطل أعمال الدنيا إذا نُودِيَ للصلاة من يوم الجمعة، يدع البائع بيعه، ويدع المشتري شراءه، ويدع المستأجر إجارته، ويدع العامل عمله، يدع هؤلاء أعمالهم ويذهبون إلى صلاة الجمعة، إلى ذكر الله، إلى هذه الجماعة التي أوجبها الله تعالى كل أسبوع.

### الإسلام دين الجماعة:

الإسلام دين الجماعة وليس دين الفرديّة، لا يحبُّ من المسلم أن يعيش وحده، «إِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ»<sup>(١)</sup>، «المؤمن للمؤمن

(١) رواه أحمد (٢١٧١٠)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٥٤٧)، والحاكم في التفسير (٤٨٢/٢)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٥٦)، عن أبي الدرداء.

كالبنيان يشدُّ بعضُهُ بعضًا»<sup>(١)</sup>، و«يد الله مع الجماعة، فمن شدَّ شدَّ في النار»<sup>(٢)</sup>، ومن هنا حثَّ الإسلام على صلاة الجماعة كلَّ يوم خمس مرَّات، فصلاة الجماعة سُنَّة مؤكَّدة، بل واجبة في مذهب الإمام أحمد، مذهب أحمد يرى أن صلاة الجماعة واجبة على الرجال؛ إلَّا من عذر، ومن لا عذر له لا ينبغي أن يُصَلِّي وحده، قال: إنَّ النبي ﷺ همَّ أن يُحرق على قوم بيوتهم لأنَّهم يتخلَّفون عن صلاة الجماعة<sup>(٣)</sup>، ولم يُجزَّ لرجل أعمى شاسع الدار أن يُصَلِّي في بيته ما دام يسمع النداء، قال له: «لا أجد لك رخصة»<sup>(٤)</sup>. وذلك ليتجمَّع المسلمون كلَّ يوم على هذه الصلوات؛ فتقوى صلواتهم، وتتوثق رابطتهم، وتشتدُّ علائق أُخوتهم، يسأل بعضهم عن بعض، فإذا غاب أحدهم عن الجماعة سألوا عنه، فإن كان مريضًا

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى.  
(٢) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٧)، وقال: غريب من هذا الوجه. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٨)، دون قوله: ومن شدَّ شدَّ في النار، وضعفه النووي في شرح مسلم (٦٧/١٣)، ورواه الحاكم في العلم (١١٥/١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧/٣)، وقال: غريب من حديث سليمان عن عبد الله بن دينار لم نكتبه إلَّا من هذا الوجه. وقال المناوي في فيض القدير (٣٤٤/٢): قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: في تخريج المختصر، حديث غريب خرجه أبو نعيم في الحلية، واللالكائي في السنة، ورجاله رجال الصحيح لكنَّه معلول، فقد قال الحاكم: لو كان محفوظا حكمت بصحته على شرط الصحيح، لكن اختلف فيه على معتمر بن سليمان على سبعة أقوال، فذكرها وذلك مقتضى للاضطراب، والمضطرب من أقسام الضعيف. وقال السخاوي في المقاصد ص ٧١٦: بالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة وشواهد متعددة في المرفوع وغيره.

(٣) إشارة إلى الحديث المتَّفَق عليه: «والذي نفسي بيده، لقد هممتُ أن أمرَّ بحطب، فيُحطَّب، ثم أمر بالصلاة، فيؤذَّن لها، ثم أمر رجلاً فيؤمُّ الناس، ثم أخالف إلى رجال، فأحرق عليهم بيوتهم». رواه البخاري في الأذان (٦٤٤)، ومسلم في المساجد (٦٥١)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (١٥٤٩٠)، وقال مخرَّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الصلاة (٥٥٢)، والنسائي في الإمامة (٨٥١)، وابن ماجه في المساجد (٧٩٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٥٦١)، عن ابن أم مكتوم.

عادوه، وإن كان مشغولاً أعانوه، وإن كان نسي ذكروه، وهكذا كان المجتمع المسلم.

### أهمية صلاة الجمعة:

صلاة الجماعة اليومية خمس مرّات، ثمّ يأتي الشرع الإسلامي ليجب صلاة الجمعة في كلّ أسبوع، صلاة الجماعة في مسجد الحي، وصلاة الجمعة في المسجد الجامع: تجمّع أكبر! وهو تجمّع واجب، وتجمّع مفروض، يخرج المسلم من بيته، أو من متجره، أو من أي مكان هو فيه إذا سمع النداء ليجيب داعي الله، ويلبي فرض الله، ويلتقي مع إخوانه على طاعة الله: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إنه سعي إلى ذكر الله؛ لأن صلاة الجمعة عبادة لله، وخطبة الجمعة خطبة لذكر الله، ليست لذكر فلان ولا علان!

قد يخطب الخطيب في قضايا الناس، ويتحدث عن مشكلات الناس، ويجب عن تساؤلات الناس، ولكن تظل خطبة الجمعة ذكراً لله، أهم ما فيها ذكر الله، والتذكير بالله وبأسماء الله، وبلقاء الله وبحساب الله، وبدين الله، وبفرائض الله، وبحرمات الله؛ فهي ذكر لله، ولذلك تبدأ بالحمد لله، وبالشهادة أن لا إله إلا الله، وبأن محمداً رسول الله، وبالحث على تقوى الله، هذه موضوعات أساسية.

### لا يجوز أن يتخلف عن الجمعة بلا عذر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، لا ينبغي لإنسان أن يظل مشغولاً بعمل ما عن صلاة الجمعة، لا ينبغي أن يكون ديدن المسلم في كل أسبوع أن يسافر ويتنزه ويرتحل

ليضع صلاة الجمعة عن نفسه، وتمر الأيام والأيام وهو لا يصلي الجمعة، لا يجوز أن يتخلف عن الجمعة بلا عذر ثلاث مرّات، ففي الحديث: «من ترك ثلاث جُمُعٍ تهاونًا بها، طبع الله على قلبه»<sup>(١)</sup>.

طبع الله على قلبه، ختم على قلبه؛ فلا تَنفُذُ إلى هذا القلب أشعة الهداية، يصبح قلبًا مظلمًا مغلقًا مطبوعًا عليه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

صلاة الجمعة فريضة أسبوعية ينبغي أن يحرص عليها المسلمون، وأن يتجمّع عليها المسلمون، ولا يجوز لأحد أن يتخلف عنها إلا من عذر.

### إباحة العمل للدنيا ما لم يشغل عن الطاعة:

الإسلام ليس كاليهوديّة، اليهوديّة جعلت العمل في يوم السبت حرامًا، لا يجوز القيام بالعمل الدنيوي في يوم السبت، حتّى إن طائفة منهم ابتليت بالصيد يوم السبت: كانت الأسماك والحيتان تأتي يوم السبت شارعة مرتفعة أمامهم، فلم يطيقوا صبرًا، فماذا فعلوا؟ احتالوا على أن يضعوا الشباك مساء يوم الجمعة، ليصيدها بعد ذلك في يوم الأحد، وذكر ذلك القرآن فيما ذكره عن هؤلاء المحتالين على ما حرم الله، وجعلهم قردة، قال لهم: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، الذين اعتدوا في السبت.

(١) رواه أحمد (١٥٤٩٨)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (١٠٥٢)، والنسائي في الجمعة (١٣٦٩)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١١٢٥)، وصحّحه النووي في المجموع (٤٨٣/٤)، عن أبي الجعد الضمري.

ولكن الله ﷻ أعفى هذه الأمة من ذلك، فيستطيع المسلم أن يعمل في أي يوم من أيام الأسبوع، ليس في الإسلام تحريم للعمل الدنيوي في أي وقت من الأوقات، يستطيع المسلم أن يعمل في يوم الجمعة، وأن يعمل في شهر رمضان، وأن يعمل في الأشهر الحرم، كل ما هو مطلوب منه إذا سمع النداء يوم الجمعة عليه أن يستجيب، ويدع كل ما في يديه؛ مهما كان وراء ذلك من مكاسب، ومهما كان وراء ذلك من صفقات، ولذلك قال: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾!

وقد وصف الله المؤمنين أنهم في صلواتهم اليومية لا تشغلهم تجارة ولا بيع ولا عمل من أعمال الدنيا، التي تشغل الناس عن أداء حق الله، تكلم الله تعالى عن المساجد فقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا لُئْلِهِمْ تَحْرَءُ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]، ﴿لَا لُئْلِهِمْ تَحْرَءُ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾، فكيف بصلاة الجمعة.

### طهارة قلب المسلم وبدنه وثيابه:

لا ينبغي للمسلم أن يلهيه شيء عن هذه الصلاة، وهذا هو شأن المسلمين: يحرصون على هذه الصلاة، صلاة هذا العيد الأسبوعي! فيذهب المسلم إلى صلاة الجمعة متطهراً في أحسن مظهر، وأطيب ريح؛ فمن السنة أن يغتسل المسلم ليوم الجمعة، فغسل يوم الجمعة سنة، بل ذهب بعض العلماء إلى أنه واجب؛ لأن هناك حديثاً يقول: «غُسل الجمعة واجبٌ على كل محتلم»<sup>(١)</sup>، وحديثاً يقول:

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٨٧٩)، ومسلم (٨٤٦)، كلاهما في الجمعة، عن أبي سعيد الخدري.



«حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ: يَوْمٌ يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ»<sup>(١)</sup>، وَأَحَقُّ هَذِهِ الْأَيَّامُ هُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ.

وَإِذَا كَانَ النَّاسُ فِي الْأَدْيَانِ السَّابِقَةِ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِالْقَذَارَةِ؛ حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ وَصَفَ قَدِيسًا فَقَالَ: مَا أَعْظَمَهُ! لَقَدْ عَاشَ عَمْرُهُ وَلَمْ يَقْتَرِفْ إِثْمًا غَسَلَ الرَّجْلَيْنِ!

نَحْنُ فِي دِينِنَا نَعْتَبِرُ الطَّهَارَةَ عِبَادَةً، وَالنِّظَافَةَ قَرَبَةً، وَالْوُضُوءَ شَرْطًا لَصَحَّةِ الصَّلَاةِ، وَطَهَارَةَ الثَّوْبِ وَالْبَدَنِ وَالْمَكَانِ شَرْطًا لَا بَدَّ مِنْهُ لِعِبَادَتِنَا الْيَوْمِيَّةِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَلِعِبَادَتِنَا الْأُسْبُوعِيَّةِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَلِكُلِّ صَلَاةٍ. يَذْهَبُ الْمُسْلِمُ لِهَذَا الْيَوْمِ مَغْتَسِلًا مُتَطَيِّبًا مُتَعَطِّرًا؛ حَتَّى لَا يَشْمُ مِنْهُ إِلَّا أَطْيَبُ رِيحٍ، حَتَّى إِنْ النَّبِيَّ ﷺ أَخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ مَنْ كَانَ كَرِيهَ الرَّائِحَةِ، كَمَنْ أَكَلَ ثَوْمًا أَوْ بَصَلًا حَتَّى لَا يُؤْذِيَ النَّاسَ بِسُوءِ رَائِحَتِهِ، وَقَالَ: «مَنْ أَكَلَ ثَوْمًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزْلُنَا» أَوْ «لْيَعْتَزَلْ مَسْجِدُنَا»<sup>(٢)</sup>. فَلْيَنْظُرْ ذَلِكَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّاسَ بِرَائِحَةِ التَّدَخِينِ!

يَذْهَبُ الْمُسْلِمُ إِلَى الْمَسْجِدِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مَغْتَسِلًا مُتَطَهِّرًا مُتَطَيِّبًا مُتَعَطِّرًا لَا بَسًّا أَحْسَنَ مَا عِنْدَهُ حَتَّى يَظْهَرَ بِأَحْسَنِ مَظْهَرٍ، يَكُونُ طِيبُ الْمَخْبَرِ وَطِيبُ الْمَظْهَرِ، وَكَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا لِلْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ<sup>(٣)</sup>. لِيَلْقَى النَّاسَ بِأَحْسَنِ هَيْئَةٍ، وَاللَّهُ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ.

(١) مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٨٩٦، ٨٩٧)، وَمُسْلِمٌ (٨٤٩)، كِلَاهُمَا فِي الْجُمُعَةِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٢) مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَطْعِمَةِ (٥٤٥٢)، وَمُسْلِمٌ فِي الْمَسَاجِدِ (٥٦٤)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

(٣) انْظُرْ: زَادَ الْمَعَادُ (٤٤١/١)، نَشْرَ مُؤَسَّسَةِ الرِّسَالَةِ، بَيْرُوتَ، وَمَكْتَبَةُ الْمَنَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ، الْكُوَيْتِ،

ط ٢٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

### خشية المُبَشِّرِينَ من أثر صلاة الجمعة:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، تجمعوا على هذا الذكر، على هذه الطاعة، على عقيدة التوحيد، على كلمة الخير ودعوة الحق، هذا هو شأن المسلمين، وهذا ما غاظ أعداء المسلمين: أن يتجمع الناس كل أسبوع على هذه المعاني، تتصافح الأيدي، وتتعارف الوجوه، وتتحاب القلوب، فينصرفون من المسجد أشد تلاحماً، وأقوى ترابطاً، وأكثر إقبالاً على هذا الدين، وتصميماً على العمل من أجله.

في أوائل هذا القرن كانت هناك حملات صليبية تبشيرية على كثير من بلاد المسلمين، وفي مصر كتب كبير المُبَشِّرِينَ تقريراً في نهاية الحملة يقول فيه: سيظلُّ الإسلام صخرة عاتية، تتحطم عليها محاولات التبشير النصراني، ما دام للإسلام في مصر هذه الدعائم الأربع: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي للمسلمين!

لن يفلح التبشير في مصر ولا في غيرها من بلاد الإسلام ما دام للإسلام هذه الأربعة، ما دام القرآن الكريم يتلى ليلاً ونهاراً، ويحفظه الآلاف وعشرات الآلاف من المسلمين، حتى صبيانهم في الكتائب لا يخرمون منه حرفاً، ولا يسقطون منه كلمة، ما دام القرآن باقياً فلن يفلح المبشرون أبداً.

وما دام الأزهر وعلمائه مُبَشِّرِينَ في القرى والمدن وفي الآفاق، يعظون ويعلمون ويدرسون، وما دام هناك اجتماع الجمعة الأسبوعي، ما دام المسلم يدع بيعه وشراءه ومصنعه ومتجره ومزرعته وكل عمل



الدُّنيا، ويذهب إلى المسجد ليلتقي مع إخوانه المسلمين على كلمة الإسلام، فلن يفلح التبشير.

وما دام هناك مؤتمر الحج السنوي، حيث يحج إليه المسلمون من شرق الأرض وغربها، تذب فيه الفواصل بين الأجناس والألوان والأوطان، واللغات والطبقات، فليس هناك فرق بين أبيض وأسود، ولا بين عربي وعجمي، ولا بين غني وفقير، ولا بين حاكم ومحكوم، وإنما ذاب الكل في بوتقة الإسلام، ووقف الجميع بلباس أشبه ما يكون بأكفان الموتى يذكرهم بالآخرة، ينادون نداءً واحدًا: لبيك اللهم لبيك، ما دام للإسلام هذه الدعائم الأربع فلن ينجح معهم التبشير.

اجتماع الجمعة الأسبوعي - إذن - من الأشياء المهمة التي تحافظ على قوة المسلمين، تحافظ على بقاء المسلمين، على تلاحم المسلمين، ومن هنا كان علينا أن نحرص على صلاة الجمعة، ونؤدّيها كما أراد الله ﷻ، ونلتقي عليها.

### تهاون بعض المسلمين وتأخّرهم عن الجمعة:

بعض الناس لا يحضرون صلاة الجمعة إلا في آخر الخطبة الأولى، وربّما في آخر الخطبة الثانية، وربّما في الركعة الأولى أو الركعة الثانية، مع أنّ النبي ﷺ دعا إلى التهجير - أي إلى التبكير - في الذهاب إلى المسجد يوم الجمعة، وقال إنّ «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثمّ راح في الساعة الأولى - أي ذهب في الفوج الأوّل، في الدفعة الأولى - فكأنّما قرّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنّما قرّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنّما قرّب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنّما قرّب دجاجة، ومن راح في الساعة

الخامسة فكأنما قَرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»<sup>(١)</sup>، أي تطوى الصحف، فمن جاء بعد الأذان، أي بعد أن يصعد الخطيب على المنبر فلا حظ له في ثواب التبكير، فقد جاء بعد أن أغلق سجل الدوام، جاء متأخرًا.

من هنا كان على المسلم الحرص على صلاة الجمعة، وعلى الصف الأول، والصفوف الأولى، ولو يعلم الناس ما في النداء - أي الأذان - والصف الأول لاستهموا عليه كما صحَّ في الحديث<sup>(٢)</sup>، أي لتزاحموا على الصف الأول أو على الأذان حتى يقتربوا اقتراعًا، يجرون القرعة! وبعض الناس لا يبالي، حتى بعض الناس يحضر مبكرًا ويدع الصف الأول كأنه لا يعلم أن للصف الأول منزلة أي منزلة، ولذلك نرى بعض الناس يأتون مبكرين ويجلسون متأخرين، وبعد ذلك يضطر الناس إلى أن يتخطوا رقابهم، مع أن النبي ﷺ نهى عن تخطي الرقاب، لا ينبغي أن يتخطى الإنسان رقاب المصلين إلا للضرورة، كأن يضيق به المكان، أو يرى فرجة يريد أن يجلس فيها، أو نحو ذلك.

### الإسلام لا يمنع من العمل بعد الصلاة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﷻ، لم يمنعكم الإسلام من الانتشار في الأرض، واكتساب الرزق من وجوهه، لم يحرم الإسلام العمل في يوم

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦١٥)، ومسلم في الصلاة (٤٣٧)، عن أبي هريرة.

الجمعة؛ كما حرمت اليهودية العمل في يوم السبت! ولكن وقت الصلاة ينبغي أن يفرغ له الإنسان المسلم، وأن يتعطل أمامه كل شيء، ولهذا فالواجب في المجتمعات الإسلامية أن تصمت الحياة عند صلاة الجمعة، تصمت فلا يكون هناك صوت إلا صوت المسجد، أن تتعطل فلا يعمل إلا المسجد في هذا الوقت، هذا هو الذي ينبغي، والذي يتفق مع شعائر الإسلام.

فإذا انتهت الصلاة ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، أذن الله لكم أن تذهبوا يميناً وشمالاً تشرقون وتغربون وتلتمسون الرزق في خبايا الأرض، وتطلبون ما أباحه الله لكم وسماه فضلاً، ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، من رزق الله، أضفى عليه هذه التسمية الجميلة حتى يشعر المسلم وهو يطلب رزقه أنه يؤدي عبادة، فالإسلام لم يجرى بالعزلة عن الحياة، لم يطلب من المسلم رهبانية ولم يشرعها له، شرع له المشي في مناكب الأرض: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]، وسمى ذلك ابتغاء من فضل الله.

### التوكل لا ينافي اتخاذ الأسباب:

رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوماً قابعين في ناحية من المسجد بعد صلاة الجمعة، فسألهم: من أنتم؟ فقالوا: نحن المتوكلون على الله. فقال لهم: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، إنما يرزق الله الناس بعضهم من بعض، أما سمعتم الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾؟ وعلاهم بدرته وأخرجهم من المسجد<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٦٢/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

التوكل لا ينافي اتخاذ الأسباب، والسعي في طلب الرزق، خذ بالأسباب التي شرعها الله، راع السنن التي وضعها الله في هذا الكون، واعمل ما أتيح لك العمل، وتوكل على الله بعد ذلك! ابذر الحب وارح الثمار من الرب، هذا هو التوكل الحقيقي: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾! علاهم عمر بدرته، وقال لهم: قوموا فانتشروا في الأرض، وابتغوا من فضل الله كما أمركم الله.

هذا هو شأن الإنسان المسلم، عمل وبيع وشراء قبل الصلاة، وانتشار في الأرض، وابتغاء من فضل الله بعد الصلاة! لا يمنع الإسلام ذلك! لم يمنع الإسلام العمل في أي يوم، لكن إذا كان ولا بد من يوم يستريح الناس فيه، ويجازون فليكن يوم الجمعة، حتى يستعد الناس لصلاة الجمعة، ويتهيؤوا لها، ويغتسلوا ويتطيبوا، ويزور بعضهم بعضاً، فلا ينبغي للمسلمين أن يجعلوا إجازتهم يوم الأحد كالنصارى، أو يوم السبت كاليهود، التميز الذي فرضه الله على الشخصية المسلمة يوجب على المسلمين ألا تكون إجازاتهم كإجازات غيرهم! لا، نحن لنا شخصيتنا، فلذلك إذا كان ولا بد من يوم إجازة كما اصطلح الناس في عصرنا هذا، وكما أصبح أمراً متفقاً عليه في العالم كله، فلتكن إجازة المسلمين في يوم الجمعة، ولا حرج في هذا.

### المسلم يعيش بين الدنيا والآخرة:

المسلم يعيش بين الدنيا والآخرة، بين العمل لله والعمل لنفسه: اعملْ لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعملْ لآخرتك كأنك تموت غداً<sup>(١)</sup>.  
هكذا قال أصحاب النبي ﷺ، وهكذا عاشوا لم يفرقوا بين دُنيا وآخرة،

(١) رواه الحارث في مسنده (١٠٩٣) البغية، موقوفاً على عبد الله بن عمرو.

يعملون لدنياهم وهم يرنون لآخرتهم، ويعملون لآخرتهم وهم غير غافلين عن أمر دنياهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وهم حين ينتشرون في الأرض ويلتمسون الرزق لا ينسون الله أبداً، الله حاضر معهم: يعرفون حلاله وحرامه، ويرقبون حسابه وجزاءه، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، إياكم أن ينسيكم هذا الانتشار ذكر الله ﷻ، المؤمن رطب اللسان بذكر الله على كل حال، حي القلب بذكر الله في كل حين.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ \* وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا آنَفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾!

حدث هذا في عهد النبي ﷺ، أن جاءت قافلة فيها تجارة، ذهب الناس، انشغلوا بالتجارة القادمة، والقافلة القادمة، والأموال القادمة، حتى تأخروا عن صلاة الجمعة، الطبع البشري قد يغلب على الناس؛ حتى ولو كانوا من الصحابة، والدنيا قد تشغل الناس، ولكن ميزة الصحابة رضوان الله عليهم أنهم سرعان ما يتذكرون، حينما تنزل الآية تنبه منهم غافلاً، وتحرك منهم ساكناً، ويؤوبون بعد شرود، يسرعون الأوبة إلى الله ﷻ، فما إن نزلت الآية حتى تركوا كل ما عندهم إلى الله ورسوله، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

لا ينبغي أن يشغل المسلم تجارة ولا بيع، ولا لهو، ولا لعب، ولا شيء عن أداء فرائض الله ﷻ؛ فَإِنَّ شَيْئًا مِنْ هَذَا كُلِّهِ لَنْ يَغْنِيَ عَنْهُ أَمَامَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وركعتا الفجر وحدهما خير من الدنيا وما فيها،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣)، كلاهما في الجمعة. عن جابر.



فكيف بكلّ الصلوات، نسأل الله وَعَلَيْكَ أن يغفر لنا، وأن يرحمنا، وأن يجعلنا من عباده الصالحين؛ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*





## الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

### احتفال المجاهدين الأفغان بذكرى انتصارهم:

في هذا الأسبوع احتفل إخواننا المجاهدون في أفغانستان الشقيقة بالذكرى الثانية لمقاومتهم للغزو الشيوعي السوفيتي الإلحادي الأحمر، وكان هذا من فضل الله وَجَّهَ أَنْ تصمد هذه المقاومة الإسلامية على عددها وعُددها أمام هذه القوى العالمية الجبارة!

كان النَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّ هذه المقاومة لن تتحمَّلَ أَيَّامًا أو أشهرًا على أكثر شيء ثمَّ تتهاوى وتسقط أمام الضربات العاتية للقوة الثانية في العالم؛ قوَّة الاتحاد السوفيتي، ولكن هؤلاء المجاهدين أثبتوا أَنَّ الإنسان المسلم قادر أن يقف بإيمانه، وبإعداداته ما استطاع من قوَّة، ولو كانت هينة، أمام أعتى القوى العالمية، لقد بدأ هؤلاء جهادهم، وليس معهم إلَّا بعض بنادق، ثمَّ أصبح الآن عندهم كثير من العتاد، من أين جاءهم؟ من عدوهم أخذوه غنيمة من السوفييت، فصار سلاحًا في أيديهم بعد أن كان سلاحًا يوجه إلى صدورهم! إن أحدهم يعيش على لقيمات يقيم بها صُلبه، يكتفي بها في شدة البرد وفي شدة العيش، ولكنَّه لا يبالي؛ لأنَّهم يقدمون ما يقدمون لله وَجَّهَ، يقدم أحدهم روحه وهو يُنشد ما أنشده المسلم الأوَّل:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَضْرَعِي<sup>(١)</sup>!

(١) هو سيدنا خبيب بن عدي، وقصته رواها البخاري في الجهاد والسير (٣٠٤٥)، وأحمد (٧٩٢٨)، عن أبي هريرة.

لقد قال رئيس اتحاد المجاهدين في أفغانستان الأخ عبد رب الرسول سيّاف: إنّ المسلمين قدموا في أفغانستان مليوناً ومائتي ألف شهيد، ولم يتزعزعوا، ومستعدّون أن يُقدّموا ما هو أكثر، ولكنّهم لن يبيعوا دينهم، ولن يبيعوا أرضهم، لن يبيعوا دار الإسلام لأحدٍ، ولم يتخلّوا عنها، فهم صامدون ثابتون مقاومون، يُحقّقون كلّ يومٍ نصرًا، أصبحت أراضٍ شتّى كثيرة في أيديهم، يحكمونها بالقرآن، بشريعة الإسلام، بما أنزل الله، يقيمون العدل، وقيمون الحق، وينشرون الخير، وطاعة الله حيثما حلوا، ولذلك نعتقد أن لهم النصر إن شاء الله، لأنّ الله وعد المجاهدين بالنصر، ولكن لكلّ شيءٍ أوان.

فعلينا أن نقف من ورائهم، وأن نشدّ على أيديهم، وأن نكون معهم بكلّ ما نستطيع، بالمال، بالخبرة، بالدعاء، على الأقلّ بالدعاء نشعر أنّهم إخواننا وأننا إخوانهم.

نسأل الله ﷻ أن ينصرهم على عدوّهم، اللهم انصُر إخواننا في أفغانستان، وانصُر إخواننا في فلسطين، وانصُر إخواننا في لبنان، وانصُر إخواننا في الشيشان، وانصُر إخواننا في الفلبين، وانصُر إخواننا في إريتريا، وانصُر إخواننا المجاهدين والمضطهدين في شتّى بلادك يا ربّ العالمين، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم، اللهم انصرهم نصرًا عزيزًا، وافتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك بالشُّوعيين الجاحدين، اللهم عليك بالوثنيين المتعصّبين، اللهم عليك بالكفرة الظالمين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، اللهم رُدّ عن المسلمين كيدهم، وفلّ حدّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم،



وأنزل عليهم بأسك الذي لا يردُّ عن القوم المجرمين، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم.

اللهم اجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى، ونفوسنا على المحبة فيك، وعزائمنا على عمل الخير وخير العمل.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم صلّ اللهم وسلّم وبارك على عبدك ونبيك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

\*\*\*





## رمضان شهر الخير والإحسان

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لكلِّ تجارة موسم، ولكلِّ موسم أهله، يترقبون حلوله، وينتظرون قدومه ليواصلوا جهودهم، ويضاعفوا من نشاطهم، ابتغاء مزيد من الربح. وللدنيا تُجَار، وللآخرة تُجَار.

### تُجَار الدُّنْيَا:

تُجَار الدُّنْيَا يكافحون ويكابدون، ويخاصمون ويقاتلون، يجهدون الأفكار والأبدان، ويواصلون سهر الليل بعناء النهار، ويركبون الأخطار بركوب الأجواء والبحار، كل ذلك في سبيل ربحٍ ماديٍّ قد يكون وقد لا يكون، وإذا كان فقد ينتفعون به وقد لا ينتفعون، وإذا انتفعوا به حيناً؛ فقد يدوم النفع وقد لا يدوم، وإذا دام لها فهم أنفسهم لا يدومون.

هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوَاً      أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى زَوَالٍ  
وَمَا دُنْيَاكَ إِلَّا مِثْلُ ظِلٍّ      أَظْلَكَ ثُمَّ آذَنَ بَانْتِقَالٍ<sup>(١)</sup>

(١) البيتان لأبي العتاهية، انظر: الدر الفريد (٣٦٨/٥)، تحقيق د. كامل سلمان الجبوري نشر دار

والله تعالى يقول: ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ انْقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ  
فَنِيلاً﴾ \* أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴿[النساء: ٧٧، ٧٨].  
هؤلاء هم تجّار الدُّنيا، عليها يحرصون، وفي سبيلها يتنافسون،  
ولمواسمها يترقبون.

### تُجَّارُ الْآخِرَةِ:

أَمَّا تُجَّارُ الْآخِرَةِ، فهم نوعٌ آخر من النَّاسِ، هم ﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِهِمْ تَحْرَهُ  
وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ  
وَالْأَبْصَارُ﴾ \* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ \* وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ  
حِسَابٍ ﴿[النور: ٣٧، ٣٨].

لتُجَّارِ الْآخِرَةِ مواسمهم وتجارتهم وأسواقهم، أسواقهم محارِبُ  
العبادة وميادين الجهاد، وتجارتهم إيمان وجهاد، ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تُنْجِيكُمْ  
مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ \* تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴿[الصف: ١٠، ١١]،  
تجارتهم الطاعات: الصَّلَاةُ، والزكاة، وتلاوة كتاب الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ  
كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ  
تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ \* لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ \* إِنَّهُ غَفُورٌ  
شَكُورٌ ﴿[فاطر: ٢٩، ٣٠]، ربهم مغفرة وجنة عرضها السموات والأرض،  
﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾، غفور يتجاوز عن سيئاتهم، يعفو عن زلاتهم،  
لا يؤاخذهم بكلِّ ما عملوا، فاسمه العفو الغفور، وهو شكورٌ يجزيهم  
بأحسن ما عملوا، يضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف

أو يزيد، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، هؤلاء هم تجار الآخرة، ولهم مواسمهم.

### رمضان موسم للتنافس على الخير:

ومن مواسمهم شهر رمضان، إنه الموسم السنوي للمؤمنين، إنه مُتَجَرِّ الصالحين، ومَيِّدان المتنافسين والمتسابقين، ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصفات: ٦١]، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال يوماً، وقد أوشك رمضان أن يدخل: «أتاكم رمضان، شهرُ بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحطُّ الخطايا، ويستجيب الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً؛ فَإِنَّ الشَّقِيَّ كُلَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ فِيهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَرَحْلُهُ»<sup>(١)</sup>.

كما يتنافس الناس في الدنيا، كما يتنافس الناس في الدرجات، كما يتنافس التجار في الأرباح، كما يكون صاحب الألف أن تكون ألفين، وصاحب العشرة آلاف أن تكون عشرين ألفاً، وصاحب المليون أن يكون مليونين، فكذلك ينبغي أن يتنافس الناس في تجارة الآخرة، ينبغي أن يتنافسوا في الخيرات، في الصالحات.

قل: هذا يصلي أفضل مني، وهذا يقوم الليل، وأنا أصلي العشاء فقط، وهذا يصوم ستّة من شوال، وأنا أقصر على رمضان، هذا يصوم الاثنين والخميس، وأنا لا أصوم إلا ثلاثة أيّام من كل شهر.

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٢٢٣٨)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١٤٩٠): رواه ثقات؛ إلا أن محمد بن قيس لا يحضرني فيه جرح ولا تعديل. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٧٨٣): فيه محمد بن أبي قيس؛ ولم أجد من ترجمه.

ومن هنا ينبغي أن تحرص على أن تترقى في الطاعات، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم - وخصوصاً في رمضان - ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً؛ فإنَّ الشقيَّ كل الشقيِّ مَنْ حُرِمَ فيه رحمة الله وعَلَّ.

إنَّ الله يوزع المغفرة، ويعتق من النار، فَمَنْ خرج من رمضان ولم ينل حظه من المغفرة والعتق من النار؛ فقد خاب وخسر! دعا عليه جبريل، وأَمَّن عليه رسول الله ﷺ، فإن جبريل قال: «مَنْ أدرك رمضان ولم يُغفر له فأبعده الله ثُمَّ أبعده». فقال النبي ﷺ: «آمين»<sup>(١)</sup>. لأنَّ الفرصة أتاحت له، ولم يهتبلها، لم يغتنمها، لم يستفد منها.

### رمضان فرصة للتطهّر من السيئات:

رمضان شهر للتطهّر من أدران الخطايا، أتاح الله للإنسان المسلم فرصة بعد فرصة يُطهّر فيها نفسه، إنَّ الله قد خلق النَّاسَ حنفاء طاهرين، مولودين على الفطرة، لا خطيئة تلوّثهم، لا يرث أحد خطيئة أحد، هذه نظرة الإسلام، ولكن النَّاسَ يُلَوِّثُونَ أنفسهم بالذنوب، باتباع خطوات الشيطان.

ومع هذا لم يدعهم الله ﷻ لذنوبهم تحيط بهم، بل أتاح لهم فرصاً يستطيعون فيها أن يتطهّروا: الصلوات اليومية فرصة، خمس مرّات في اليوم يغتسل فيها الإنسان من ذنوبه؛ فيخرج منها طاهراً، ثُمَّ تأتي فرصة

(١) رواه ابن حبان في البر والإحسان (٤٠٩)، وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره. والطبراني (٢٩١/١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣١٨): فيه عمران بن أبان، وثقه ابن حبان وضعفه غير واحد، وبقيه رجاله ثقات. وصحّحه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (٩٩٦)، عن مالك بن الحويرث.

أسبوعيّة، تأتي الجمعة: السعي إلى ذكر الله وترك البيع والحياة، هذا اللقاء يُكفّر الله به الخطايا.

ثم تأتي الفرصة السنويّة، رمضان: هذا الشهر المبارك العظيم، الذي فرض الله صيامه، وسنّ رسوله قيامه.. فيه فرصة أخرى لمن صامه إيماناً واحتساباً، وقام لياليه إيماناً واحتساباً، فقد جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(١)</sup>، و«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٢)</sup>. فرصة للمغفرة.

ثم تأتي فرصة للعمر مرّة على الأقل، وهي فرصة الحج، وفي الحديث: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»<sup>(٣)</sup>. ميلاد جديد، انظروا إلى هذه الفرص يتيحها الله تعالى للإنسان ليتطهّر، حتّى لا تبقى عليه خطيئة.

ولذلك كان السلف الصالح يترقّبون رمضان، حتّى إذا جاء قالوا: مرحباً بالمطهّر. يُطهّروهم من الذنوب والعيوب، وأوساخ الخطايا، فرمضان فرصة للتطهّر، للمغفرة، لمن أحسن صيامه وقيامه.

### رمضان فرصة للتزوّد من الحسنات:

ورمضان كذلك فرصة للتزوّد والترقي، فيه يتزوّد الإنسان من الصالحات، من الحسنات، من الطاعات، يحاول أن يزيد من رصيده عند

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٨)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في جزاء الصيد (١٨١٩)، ومسلم في الحج (١٣٥٠)، عن أبي هريرة.

الله وَعَلَى، إذا كان إنسان هذا العصر يحاول أن يزيد من رصيده في البنك؛ فليحاول أيضًا أن يزيد من رصيده في بنك ينفعه ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، لن يدخل أحد القبر ومعه دفتر شيكات، لن يلقي أحد ربه ومعه صندوق من النقود، وإنما يلقي الناس ربهم حفاة عراة غرلاً، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

الذي ينفعك، وستجده أمامك هناك هو العمل الصالح، هو ما قدّمته لا ما خلّفته، فما خلّفته وراءك سيرته ورثتك، وقد يحمّدونك أو يلعنونك لا تدري، وأمّا ما قدّمته أمامك فهو الذي ينفعك، فقدّم أمامك تجده في رصيدك، وخاصّة في هذا الشهر، فإنّ الحسنات فيها يضاعف أجرها، من تطوّع فيه بخصلة من الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه، ومن أدّى فيه فريضة كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه، ولذلك كان بعض السلف يجعلون زكاتهم في رمضان حتّى تتضاعف أجورهم عند الله وَعَلَى.

إنّ الله تعالى عزّضنا لنفحاته، كما في الحديث: «ألا إنّ لربّكم في دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها»<sup>(١)</sup>. ورمضان يأتينا بهذه النفحات لتتطهّر من ذنوبنا، وما أكثر ذنوبنا! من ذا الذي يدّعي أنّه ليست له خطايا، وخصوصاً في عصرنا هذا؟

إنّ الخطايا تُحيط بنا عن يمين وشمال، ومن بين أيدينا ومن خلفنا، خطايا اللسان، وخطايا السمع، وخطايا البصر، وخطايا اليد، وخطايا

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٣٣/١٩)، والأوسط (٢٨٥٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٧٢): فيه من لم أعرفه، ومن عرفتهم وثقوا. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩١٧)، عن محمد بن مسلمة.



الجوارح، وخطايا القلب، ما أكثر الخطايا، في كل يوم لنا ألوف من السيئات، نشعر بها أو لا نشعر، فنحن في حاجة إلى أن نتطهر، ونحن في حاجة إلى أن نتزود من الحسنات، حتى نقاوم هذه السيئات، فكثرة السيئات تحتاج إلى كثرة من الحسنات تقاومها.

علينا أن نحرص على هذا الموسم، ولا نضيّعه سدىً، علينا في هذا الشهر الكريم أن نجدد حياتنا، نجدد ما خلق من إيماننا.

### ١- إحصان الصيام:

وأول ما ينبغي علينا في هذا الشهر: أن نصوم فنحسن الصيام، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. أي: إنَّ الله شرع الصيام ليؤهلنا للتقوى، ليجعلنا أهلاً للتقوى، لنحشر في زمرة المتقين، فالصيام الذي لا يؤهل صاحبه للتقوى صيام مخدوش مجروح.

ولذلك يقول النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»<sup>(١)</sup>. إنَّ الله مُسْتَغْنٍ عَنْ تَجْوِيعِهِ نَفْسَهُ، إِذَا كَانَ يُجَوِّعُ نَفْسَهُ وَيُرْهَقُهَا، وَيَتْرَكَ إِتْيَانَ أَهْلِهِ، وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ مُفْطِرٌ بِكَيَانِهِ كُلِّهِ، عَيْنُهُ مُفْطَرَةٌ تَنْظُرُ إِلَى الْحَرَامِ، وَلِسَانُهُ مُفْطَرٌ حِينَمَا يَتَكَلَّمُ فِي هَذَا وَذَاكَ، بِالْغِيْبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَالْكَذْبِ، وَالسَّخَرِيَّةِ بِالنَّاسِ، وَالْمَزَاحِ بِالْبَاطِلِ، وَأُذُنُهُ مُفْطَرَةٌ بِالسَّمَاعِ وَاللَّغْوِ وَالْبَاطِلِ وَالْهَرَاءِ، وَسَمَاعُ الْغِيْبَةِ مِنَ الْآخَرِينَ، فَالسَّمَاعُ شَرِيكَ الْمَغْتَابِ، وَقَلْبُهُ مُفْطَرٌ بِالتَّفْكِيرِ فِيمَا يُغْضِبُ اللَّهَ، أَوْ النِّيَّةِ عَلَى السُّوءِ، أَوْ الْحَقْدِ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ، أَوْ الرِّيَاءِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَهَكَذَا.

(١) رواه البخاري في الصوم (١٩٠٣)، عن أبي هريرة.

نحن نريد مَنْ يصوم «إيماناً واحتساباً». إيماناً: تصديقاً بوعد الله وأمر الله، ويقيناً بأمر الله والامتثال له، واحتساباً: ابتغاءاً لفضله ومثوبته، لا يصوم لأن الناس يصومون، لأنّه وجد أهله وأهل بلده يصومون فصام مثلهم، يصوم عادةً لا عبادةً، لا، نحن نريد مَنْ يصوم إيماناً واحتساباً.

### درجات الصوم:

ولذلك قال الإمام الغزالي: إنّ الصوم درجات: هناك صوم العوام، وصوم الخواص، وصوم خواصّ الخواص.

أمّا صوم العوام فهو صوم البطن والفرج عن الشهوتين: شهوة الأكل والشرب، والشهوة الجنسيّة.

وأمّا صوم الخواصّ فهو إلى جوار ذلك صوم الجوارح: أعينهم، وألسنتهم، وأذانهم، وأيديهم، وأرجلهم، كلها صائمة عمّا حرم الله وعَجَل.

وأمّا صوم خواصّ الخواص فهو صوم قلوبهم عمّا سوى الله وعَجَل، إنهم يعيشون مع الله والله وبالله<sup>(١)</sup>.

هذه درجات ومراتب، فحدّد موقعك منها: من أيّ هؤلاء الأصناف أنت؟ إذا لم تكن من الدرجة العليا فلنكن من الدرجة الوسطى، فلنحاول أن نكون من الخواص، نحاول أن نستفيد من هذا الشهر.

### هل المعاصي تفسد؟

اختلف الأئمة والسلف في الذي يصوم، ولكنّه يغتاب ويسخر ويكذب، وينظر بعينه إلى الحرام، إلى آخره، فمنهم مَنْ قال: إنّ

(١) إحياء علوم الدين (١/٢٣٤).

المعاصي تُفطر، أخذًا بظواهر الأحاديث التي جاءت في ذلك، «الصيام جُنَّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، وإن ساء به أحد أو قاتله فليقل: إني صائم»<sup>(١)</sup>، «ليس الصيام من الطعام والشراب، إنما الصيام من اللغو والرفث»<sup>(٢)</sup>، «الصيام جُنَّة لأحدكم ما لم يخرقها». قيل: وبِمَ يخرقها، يا رسول الله؟ قال: «بكذبٍ أو غيبة»<sup>(٣)</sup>. وروى عن عائشة، وعن بعض فقهاء السلف، وهو مذهب الظاهرية: أن مَنْ ارتكب معصية في الصيام فقد أفطر، أي كأنما أكل أو شرب، وعليه أن يقضي يومًا بدل هذا اليوم<sup>(٤)</sup>.

وقال جمهور الفقهاء: إنه ليس إفطارًا كالأكل والشرب، ولكنه أضع ثواب صيامه، ليس مطلوبًا منه القضاء، ولكن ذهب أجره، وبطلت مثوبته<sup>(٥)</sup>. وهل هذا شيء هيِّن؟ يجوع هذا المسكين ويظمأ، ثم يأتي آخر النهار ولا شيء له، ولم يُكتب في صحيفة حسناته شيء ينفعه، أليس عبثًا أن يُعذَّب الإنسان نفسه، ويجيع بطنه، ثم لا يحصل على شيء؟

ومن هنا كان على الإنسان المسلم أن يُحسن الصيام، أن يصوم إيمانًا واحتسابًا، أن يكفَّ لسانه وجوارحه عن الحرام، أن يعيش في هذا الشهر متطهرًا، يلجم نفسه بلجام التقوى، يضع أمامه قول الله تعالى:

- (١) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.
- (٢) رواه ابن خزيمة (١٩٩٦)، والحاكم (٤٣٠/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والبيهقي (٢٧٠/٤)، ثلاثتهم في الصيام، عن أبي هريرة.
- (٣) رواه الطبراني في الأوسط (٤٥٣٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٠١٢): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الربيع بن بدر، وهو ضعيف، عن أبي هريرة.
- (٤) المحلّي لابن حزم (٣٠٦/٤، ٣٠٧)، نشر دار الفكر، بيروت.
- (٥) سبل السلام للصنعاني (٥٧٠/١)، نشر دار الحديث.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. وقول رسول الله ﷺ: «الصيام جُنَّة». وقاية لصاحبها من المعاصي في الدُّنيا، ومن عذاب الله في الآخرة.

## ٢ - إحصان القيام:

ثم عليه بعد ذلك أن يُحسن القيام، «مَنْ قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»<sup>(١)</sup>، وصلاة التراويح هي القيام، والقيام من بعد صلاة العشاء إلى الفجر، هذا الوقت كله صالح للقيام، فمَنْ صَلَّى التراويح صلاة خاشعة مطمئنة، ثم صَلَّى الصبح في جماعة فقد قام الليل كله.

ولكن أي صلاة؟ الصلاة الخاشعة المطمئنة كما قلنا، لا تلك الصلاة التي نراها في بعض مساجد المسلمين للأسف، وكأنَّ سوطاً يُلهب ظهر أحدهم، فالعشرون ركعة لا تكاد تستغرق دقائق معدودة، صلاة لا يحضر فيها قلب، ولا يُراقب فيها رب، ولا يستقر فيها صلب، ولا تطمئن فيها جبهة على الأرض، هذه صلاة نقر كنقر الديكة، وخطف كخطف الحدأة، هذه ليست صلاة.

الصلاة المطلوبة هي التي يتوافر فيها الخشوع والطمأنينة، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، وليس الذين يصلون عشرين ركعة بهذه الصورة، فليجعلوها ثمانية مطمئنة، فهذا أجدى وأولى.

إنَّ القيام المطلوب في رمضان هو القيام الذي يُحسَّ الإنسان فيه أنه يقف بين يدي الله ﷻ؛ فيشعر بحلاوة المناجاة، لا نريد الصلاة التي يستريح الإنسان منها، ولكن نريد الصلاة التي يستريح بها، فهي راحة لنفسه، وريحان لقلبه، وقرّة لعينه، كما كان النبي ﷺ يقول لبلال إذا حان

(١) سبق تخريجه ص ٤٨.

وقت الصلاة: «أرحنا بها يا بلال»<sup>(١)</sup>. أمّا نحن فكأنّما نقول: أرحنا منها. كأنّها عبء نريد أن نتخلّص منه، من أراد أن يستفيد من رمضان، وأن يكون هذا الموسم موسم خير وبركة عليه فليحسن الصيام، وليحسن القيام.

### ٣ - الإحسان إلى الناس:

ثم عليه بعد ذلك أن يُحسن إلى الناس، جاء في الحديث: أن شهر رمضان شهر المواساة<sup>(٢)</sup>. أن يواسي الإنسان المسلم أخاه المسلم، ثمّ الله جعل الجوع في هذا الشهر فريضة إجباريّة، ضريبة على الجميع، قد يوجد في النَّاس من يولد وفي فمه ملعقة من ذهب كما يقولون. لم يعرف في حياته الجوع، ولم يذق العطش، ولذلك لا يبالي بما يصيب الآخرين، فأراد الله أن يُجوّع الجميع، ويعطّش الجميع حتّى نحس بآلام المحرومين، هكذا، ومن هنا ينبغي أن نواسيهم.

ومن أجل هذا جاءت المثوبة الكبيرة في تفطير الصائمين، «ومن فطّر صائماً كان له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء»<sup>(٣)</sup>، يبحث عن الفقراء والمساكين والمحتاجين ويُفطّرهم، يُفطّرهم معه أو يبعث إليهم إفطارهم، على ما يمكن، وعلى ما يستطيع، وروي عن

(١) رواه أحمد (٢٣١٥٤)، وقال: رجاله ثقات، لكن اختلف فيه على سالم بن أبي الجعد في إسناده. وأبو داود في الأدب (٤٩٨٦)، وصحّحه الألباني المشكاة (١٢٥٣)، عن رجل من الأنصار.

(٢) رواه ابن خزيمة (١٨٨٧)، والبيهقي في الشعب (٣٣٣٦)، كلاهما في الصيام، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح (١٩٦٥)، عن سلمان الفارسي.

(٣) رواه أحمد (٢١٦٧٦)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. والترمذي (٨٠٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٧٤٦)، والنسائي في الكبرى (٣٣١٧)، ثلاثتهم في الصيام، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب (١٠٧٨)، عن زيد بن خالد الجهني.

النبي ﷺ أنه: «كان أجود الناس»، أسخى الناس بالخير، ولكنه «كان أجود ما يكون في رمضان، حينما يأتي جبريل فيدارسه القرآن، فمرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»<sup>(١)</sup>.

ولهذا ينبغي على المسلمين أن ينتهزوا فرصة رمضان ليحسنوا إلى الفقراء، إلى المساكين، إلى اليتامى، إلى المحتاجين، ويمدّوا إليهم يد المعونة، حتى يشعروا بهذا الشهر الكريم، وهذا الموسم العظيم.

### الاستعداد لشهر رمضان:

على الإنسان المسلم في هذا الشهر أن يستفيد منه، عليه أن يتهيأ له بنية صالحة، وعزيمة صادقة، الناس في هذا العصر يترقبون رمضان بإعداد الطعام، وإعداد الزاد قبل أن يعدّوا أنفسهم، والمفروض أن يهيؤوا أنفسهم وعزائمهم قبل كل شيء، أمّا الاهتمام بالطعام والشراب وحده فليس بهذا يُستقبل رمضان.

المسلمون للأسف يستهلكون في رمضان أكثر ممّا يستهلكون في غيره، ويأكلون فيه أكثر ممّا يأكلون في غيره، وهناك غيرهم يقضون ليلهم في طعام وشراب، ويقضون نهارهم في كسل ومنام؛ فماذا استفاد هؤلاء من رمضان؟

### رمضان موسم لتجديد الحياة الإسلامية:

إنّ رمضان موسم لتجديد الحياة الإسلامية، يجدّد العقول بالعلم، ويجدّد القلوب بالتقوى، ويجدّد الجوارح بالطاعة، يتجدّد فيه كل شيء، حتّى إنّ الأطفال في رمضان ليحسنون به، ويفرحون به،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٦)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٨)، ابن عباس.



وينتظرون سحوره، وينتظرون مغربه، وعلينا أن نشركهم في هذا، وأن ندرّبهم على الصيام.

علينا أن ندرّب الناشئة على الصيام من الصغر، بعد سن السابعة، إذا كانت أجسامهم تطيق، نُعوّدهم أن يصوموا، ولو يومين أو ثلاثة، نعوّدهم على الصيام فإنّ الخير عادة والشرّ عادة، ومن لم ينشأ على الخير في الصغر سيصعب عليه ذلك في الكبر.

وينفع الأدب الأحداث في صغرٍ وليس ينفع عند الشيبة الأدب  
إنّ الغصون إذا قوّمتها اعتدلت ولن تلين إذا قوّمتها الخشب<sup>(١)</sup>

يا أيّها الإخوة؛ هذا هو شهر رمضان على الأبواب، فلنستعد له، فلنتهيّا لاستقباله، إنّنا كرماء لضيوفنا، عوّدنا الإسلام أن نقري الضيوف، وهذا ضيف يأتينا في كل عام مرّة، فكيف نكرمه؟ وكيف يكون قراه؟

### إكرام رمضان وشفاعته:

إنّ إكرامه بأن نستغله في الخير، بأن نستفيد من أيامه ولياليه في طاعة الله، حتّى يكون شاهداً لنا لا شاهداً علينا، وحتى يكون شفيعاً لنا يوم القيامة، فقد ورد أنّ القرآن والصيام يشفعان للعبد يوم القيامة «يقول الصيام: يا ربّ، منعه الطعام والشراب بالنّهار فشفّعني فيه. ويقول القرآن: يا ربّ، منعه النوم بالليل فشفّعني فيه. فيشفّعان عند الله فيشفّعان»<sup>(٢)</sup>.

(١) من شعر سابق البربري، كما في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٣٦٠/١)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) رواه أحمد (٦٦٢٦)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (٣٨/١٣)، والحاكم في فضائل القرآن (٦٦٢٦)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٠٨١): رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال الطبراني رجال الصحيح، عن عبد الله بن عمرو.





تُقبَل شفاعتهما، فاحرصوا على أن يكون القرآن، وصيام رمضان شفيعين  
لكم يوم القيامة.

نسأل الله ﷻ أن يغفر لنا ما مضى، وأن يصلح لنا ما بقي، وأن يجعل  
يومنا خيرًا من أمسنا، فادعوا الله يستجب لكم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

### من أحكام الصيام:

الصيام ركن من أركان هذا الدين، وأحد المباني الخمسة التي بُني عليها هذا الإسلام، وقد فُرض صيام رمضان في السنة الثانية من الهجرة، ولذلك صام النبي ﷺ تسع رمضان.

والصوم: هو الإمساك عن المُفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والمُفطرات هي الأكل والشرب والاتصال بالنساء، فَمَنْ أَكَلَ أَوْ شَرَبَ عَامِدًا فَقَدْ أَفْطَرَ وَارْتَكَبَ إِثْمًا عَظِيمًا، وَمَنْ اسْتَحَلَّ تَرَكَ الصَّيَامَ فَهُوَ مَارِقٌ وَمَرْتَدٌ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

وَمَنْ أَفْطَرَ وَهُوَ مُقَرَّرٌ بِالصَّيَامِ فَقَدْ أَجْرَمَ وَارْتَكَبَ كَبِيرَةً مِنَ الْكِبَائِرِ، يَنْبَغِي أَنْ يُعْزَرَ عَلَيْهَا، وَيُؤَدَّبَ أَدَبًا بَلِيغًا، وَلِذَلِكَ قَالَ الْفُقَهَاءُ: مَنْ جَاهَرَ بِالْإِفْطَارِ فِي رَمَضَانَ يُضْرَبُ ضَرْبًا شَدِيدًا حَتَّى يَسِيلَ مِنْهُ الدَّمُ، وَيُحْبَسُ حَتَّى يَصُومَ<sup>(١)</sup>. وَلَا تَجُوزُ الْمَجَاهِرَةُ بِالْإِفْطَارِ فِي رَمَضَانَ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى مِنْ كَانَ لَهُ عَذْرٌ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَتِرَ بِإِفْطَارِهِ وَلَا يَفْطَرَ عَلَنًا.

### الأكل والشرب نسيانًا:

أَمَّا مَنْ أَكَلَ أَوْ شَرَبَ نَاسِيًا فَإِنَّمَا هُوَ رَزَقٌ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، فَلَيْتَمَّ صَوْمُهُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، «فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ»<sup>(٢)</sup>، وَلَوْ أَكَلَ حَتَّى

(١) نور الإيضاح في الفقه الحنفي ص ٧٦، تحقيق محمد أنيس مهرات، نشر المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.

امتلاّت بطنه، ولو شرب حتّى ارتوى، فإنّ الله قد وضع عن هذه الأمة الخطأ والنسيان، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وكذلك مَنْ دخل في بطنه شيء من باب الخطأ، كأن تمضمض أو استنشق وهو يتوضّأ، فدخل شيء من الماء في بطنه خطأ، فإنّ الله يعفو عن هذا الخطأ.

وللإنسان أن يتبرّد بالاغتسال في شهر رمضان، ولا حرج في هذا، ولا يفطر بهذا، ومَنْ كان في حاجة إلى حقنة من الحقن العلاجية في الوريد أو في العضل أو تحت الجلد فهذا لا يُفطر، وكذلك الحقنة الشرجية لا تُفطر، ومَنْ كان محتاجاً إلى مرهم لمرض كالבواسير أو نحو ذلك فهذا أيضاً لا يُفطر، لأنّه ليس أكلاً ولا شرباً، ولا شهوة فيه.

### الْقُبلة في الصوم:

وكذلك مَنْ قَبِل امرأته، ولم يصل إلى الإمضاء فهذا لا يُفطر، وقد قالت عائشة: كان النبي ﷺ يُقَبِّل وهو صائم، وكان أَمْلَكَكُمْ لِزُبَيْهِ<sup>(١)</sup>. تعني أضبطكم لنفسه، وأقدركم على شهوته، فَمَنْ كان يأمن من نفسه، ولا يخاف عليها، فيجوز له أن يُقَبِّل، ولذلك روى أبو داود وغيره: أنّ رجلاً سأل النبي ﷺ عن القُبلة في الصوم فرخّص له، وسأله آخر فلم يُرخّص له، فكان الأوّل شيخاً، وكان الثاني شاباً<sup>(٢)</sup>. ولذلك قال الفقهاء: إنّ الفتوى تتغيّر وتختلف باختلاف حال السائل<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٢٧)، ومسلم (١١٠٦)، كلاهما في الصوم.

(٢) رواه أبو داود في الصوم (٢٣٨٧)، وجوّد إسناده النووي في المجموع (٣٥٤/٦، ٣٥٥)،

وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٦٥)، عن أبي هريرة.

(٣) إعلام الموقعين لابن القيم (٤١/١)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن

الجوزي، السعودية، ط ١، ١٤٢٣هـ.

## المسافر والمريض:

وهناك أعذار يجوز للإنسان أن يفطر بسببها، منها المرض والسفر، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فيجوز للمريض وللمسافر أن يفطر؛ بل إذا كان الصوم يضر المريض ضررًا بالغًا؛ فإنه لا يجوز له أن يصوم، وكذلك إذا كان السفر شاقًا لا يجوز له أن يصوم، وهو الذي جاء فيه الحديث: «ليس من البر الصيام في السفر»<sup>(١)</sup>. أي: في السفر الشاق، كالرجل الذي رآه النبي ﷺ وقد ظلل عليه، وساءت حالته من شدة الحر، ووقدة الصيف<sup>(٢)</sup>، أمّا في غير ذلك، فيجوز له أن يصوم وأن يفطر.

وقد اختلف الفقهاء في المسافر: أيهما أفضل له: الصوم أم الفطر؟ قال عمر بن عبد العزيز: أفضلهما أيسرهما عليه<sup>(٣)</sup>. فبعض الناس أيسر عليه أن يصوم مع الصائمين، بدل أن يفطر اليوم ويشق عليه أن يصوم غدًا، فهذا أفضل له ألا يفطر، وبعض الناس يشق عليه الصوم الآن ولا يشق عليه بعد ذلك، فهذا أفضل له أن يفطر، لكل أحد أن يفتي نفسه في ذلك، وكلا الأمرين جائز.

## الشيخ المسنُّ والمرأة العجوز:

والشيخ المسنُّ والمرأة العجوز يُفطران ويفديان عن كلِّ يوم طعام مسكين، إما يطعمه بالفعل، أو يعطيه مقدار وقيمة الطعام، كأن يكون الطعام لحمًا وأرزًا وفاكهة، بما يُقدر بخمسة عشر ريالًا، ويمكن أن

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥)، كلاهما في الصوم، عن جابر.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) المغني لابن قدامة (١٥٨/٣)، نشر مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

يدفع كل يوم، أو يجمع المبلغ كله - أربعمائة وخمسين ريالاً - ويدفعها مرة واحدة في أول الشهر، أو في وسطه، أو في آخره.

### المريض مرضاً مزمناً:

ومثل الشيخ الكبير والمرأة العجوز: المريض مرضاً مزمناً مصاحباً له؛ يجوز أن يفطر ويفدي، ولا يشق على نفسه، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، له أن يفطر ويفعل هذا؛ إذا أخبره طبيب مسلم متخصص، أو إذا جرب هو ذلك بنفسه فوجد الصوم يضره، ويزيد الألم عليه، أو يؤخر البرء والشفاء عنه: يجوز له أن يفطر ويفدي.

### الحامل والمرضع:

وهكذا المرأة الحامل إذا خافت على نفسها، أو على جنينها، أو المرأة المرضع إذا خافت على رضيعها: يجوز لكل منهما أن تفطر، وتقضي فيما بعد، حين يسر الله لها الأمر، وإذا لم تتمكن من القضاء لتوالي الحمل عليها والإرضاع سنين متطاولة يجوز لها أن تطعم وتفدي، فليس هناك حرج في هذا الدين.

كما يجوز للمرأة المسلمة أن تتناول الحبوب المانعة للحمل؛ لتؤخر عنها الحيض إذا أرادت ذلك، وكانت متعوّدة على هذه الحبوب ولا تضرها، وليست مُطالبَة بهذا، ولا مُكلّفة بهذا، فالعادة الشهرية أمر كتبه الله على بنات آدم، وإذا أفطرت فلا حرج عليها، ولكن إذا خافت أن تتكاسل عن القضاء، أو أرادت أن تنتفع بالشهر كله، وتصلّي التراويح ولا تنقطع عنها؛ فيجوز لها أن تفعل ذلك.

## تعجيل الفطور وتأخير السحور:

إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ جَعَلَ لَنَا الرِّخَصَ، وَيَسِّرَ لَنَا هَذَا الدِّينَ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَعْسَرَ عَلَى أَنْفُسِنَا، كُلُّ مَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَهُ: أَنْ نُحَسِّنَ الصِّيَامَ، وَنُحَسِّنَ الْقِيَامَ، وَنُعَجِّلَ الْفُطُورَ، وَنُؤَخِّرَ السَّحُورَ فَهَذَا مِنْ أَدَبِ الصِّيَامِ، وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَصْلِيَ الْمَغْرِبَ يَفْطُرُ عَلَى رَطْبَاتٍ، أَوْ عَلَى تَمَرَاتٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ حَسًا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ صَلَّى<sup>(١)</sup>، يَفْطُرُ قَبْلَ أَنْ يَصْلِيَ، وَكَانَ يُؤَخِّرُ السَّحُورَ إِلَى الْفَجْرِ<sup>(٢)</sup>، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَأْكُلُ عِنْدَ الْفَجْرِ<sup>(٣)</sup>، لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُمْ مَدَّةُ اسْمِهَا الْإِمْسَاكُ أَوْ الْإِحْتِيَاظُ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فَلَا دَاعِي لِلتَّشَدُّدِ وَالْإِمْسَاكِ قَبْلَهَا بِمَدَّةٍ، لَكَ أَنْ تَأْكُلَ وَتَشْرَبَ حَتَّى يُوْذَنَ الْمُؤْذَنُ، هَذَا مِنْ يَسَرِّ هَذَا الدِّينِ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي آيَةِ الصِّيَامِ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

تَرْقُبُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ هَلَالَ رَمَضَانَ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَقُولُوا مَا كَانَ يَقُولُهُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى الْهَلَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

(١) رواه أحمد (١٢٦٧٦)، وقال مخرجه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦)، وقال: حسن غريب. كلاهما في الصوم، عن أنس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٢١)، ومسلم (١٠٩٧)، كلاهما في الصيام، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: تسحرنا مع النبي ﷺ، ثم قام إلى الصلاة. قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية.

(٣) تفسير ابن كثير (٥١٤/١)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.



خلقك، وقدّرك منازل، وجعلك آيةً للعالمين»<sup>(١)</sup> «اللهمَّ أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحبُّ وترضى، هلال خير ورُشد، ربِّي وربُّكَ الله»<sup>(٢)</sup>.

اللهمَّ اجعلْ هذا الشهر الكريم شهر خير وبركة على أمة الإسلام، اللهمَّ اجعله موسم نصر وخير لأمة الإسلام، واجعله نذير وبالٍ وحسرة على أعداء الإسلام، اللهمَّ اجعلْ حظنا فيه الرحمة والمغفرة والعتق من النار.

\*\*\*

(١) رواه الطبراني في الدعاء (٩٠٧)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٣٩٧)، وقال مخرّجوه: حسن لشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٤٥١)، وقال: حسن غريب. وحسنه الألباني في الصحيحة (١٨١٦)، عن ابن عمر.





## العبادات بعد رمضان

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

#### شهادة رمضان لنا أو علينا:

لقد خرجنا من شهر رمضان، وذهب ذلك الشهر الكريم شاهداً لنا أو شاهداً علينا، هناك مَنْ خرج من رمضان مغفوراً له، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(١)</sup>، «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٢)</sup>. فطوبى لمن كان نصيبه من رمضان المغفرة والعق من النار.

وهناك مَنْ خرج من شهر رمضان كما دخل فيه، لم ينل المغفرة، ولم يدرك الرحمة، ولم يصب العتق من النار، مرّت عشره الأولى، والعشر الوسطى، والعشر الأواخر، ولكنه لم ينل شيئاً مما يكسبه الصالحون في

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٨)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٩)، عن أبي هريرة.

شهر رمضان، هذا هو الذي دعا عليه جبريل، وأَمَّن عليه مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ: «مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللهُ ثُمَّ أَبْعَدَهُ»<sup>(١)</sup>، «بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ»<sup>(٢)</sup>.

هذا هو المسكين، هذا هو الأحمق، هذا هو الغبيُّ الذي رأى الرحمة والمغفرة تُوزَّع حوله عن يمينٍ وشمال، ولم يستفد منها، فاتت عليه الفرصة ولم يكسب إلا دعوة جبريل عليه، وتأمين مُحَمَّدٍ ﷺ.

### العبادة مطلوبة دائماً:

ذهب رمضان، وأقبل شَوَّال، والله تعالى يحب أن يُطاع في رمضان، وفي شوال، وفي ذي القعدة، وفي رجب، وفي شعبان، وفي كل الشهور، إنه يحب أن يُطاع في كل زمان، ويكره أن يُعصى في كل أوان، وربُّ شوال هو رب رمضان، هو رب الشهور كلها، الله ﷻ خلقنا لعبده، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ \* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿ [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

ومن هنا لا يجوز للإنسان أن يقطع حبله مع الله بعد انقضاء رمضان، يجب على المسلم أن يبقى موصولاً بِوَدِّهِ مع الله ﷻ، لا يهجر بيوت الله، لا يهجر المصحف الذي كان يتلوه خلال رمضان، ربما قلَّ نشاطه، وضعفت همَّته، ولكن لا ينبغي أن يقطع الحبال مع الله.

إنَّ الله تعالى ما خلقنا ليستأنس بنا من وحشة، ولا ليستكثر بنا من قلة، ولا ليستعين بنا من وحدة على أمر عجز عنه، ولا لجر منفعة،

(١) سبق تخريجه ص ٤٧.

(٢) رواه الحاكم في البر والصلة (١٥٣/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي. عن عجرة.

ولا لدفع مضرة، ولكن لنعبده **وَعَجَلَ** طويلاً، ونذكره كثيراً، ونسبحه بكرة وأصيلاً. هذا ما جاء به الإسلام، أن نعبد الله باستمرار، وفي الحديث الصحيح: «أحبُّ الأعمالِ إلى الله أدومُها وإن قلَّ»<sup>(١)</sup>.

ومن أجل هذا شرع الإسلام بعد شهر رمضان صيام ست أيَّام من شوال، وجاء في الحديث: «مَنْ صام رمضانَ وأتبعه بستَ من شَوَّالٍ فكأنَّما صام الدهر»<sup>(٢)</sup>. فكأنَّما صام السنة كلها، شهر رمضان بعشر أشهر، والستَّة الأيَّام بستَّين يومًا، والحسنة بعشر أمثالها، فمعنى هذا أنه صام السنة كلها، فإذا استمرَّ على ذلك في كل عام فكأنَّما صام الدهر كله.

سنة الإسلام أنه يشرع بعد الفريضة النافلة، هكذا رأيناه يشرع مع كل صلاة فريضة سنة قبلية أو بعدية، أو سنة قبلية وبعديّة معًا، قبل صلاة الصبح ركعتان، وقبل الظهر ركعتان أو أربع، وبعد الظهر ركعتان، وقبل العصر ركعتان، وبعد المغرب ركعتان، وبعد العشاء ركعتان، ثمَّ الوتر، هكذا يريد الإسلام منا أن نبقي على موعد مع الله دائمًا أبدًا.

### العبادة في الإسلام:

لا يوجد دين من الأديان يربط النَّاسَ بربهم كما في الإسلام، في الربع الأوَّل من هذا القرن أسلم رجل بريطاني اسمه (اللورد هدلي)، وألَّف كتابًا اسمه (إيقاظ الغرب للإسلام)، وكان مما قال فيه: إنَّ ممَّا أعجبني في الإسلام أنه يصل النَّاسُ بربهم صباحًا ومساءً. في المسيحية

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٣)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في الصيام (١١٦٤)، وأحمد (٢٣٥٣٣)، وأبو داود (٢٤٣٣)، والترمذي (٧٥٩)، كلاهما في الصيام، عن أبي أيوب الأنصاري.

بحسبك أن تذهب إلى الكنيسة يومًا في الأسبوع، أمّا في الإسلام فأنت مع موعد مع الله خمس مرّات في اليوم.

هكذا يقف المسلم بين يدي ربّه يُصَلِّي له ويناجيه ويدعوه، ينادي قريبًا غير بعيد، ويسأل غنيًا حميدًا غير بخيل، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥، ٦]، المسلم على موعد مع ربه في كل يوم خمس مرّات، وهذا خلاف التطوع والنوافل؛ فبابها مفتوح لمن أراد.

### ١ - إقامة الشعائر وأداء الفرائض:

الإسلام منهج عبادة، المسلم يعبد ربه بإقامة الشعائر، وأداء الفرائض، العبادات الأربع - مع الشهادتين - هي أركان الإسلام، ومبانيه الخمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

وهذه عبادات نوّعها الإسلام، فمنها عبادات بدنيّة مثل الصلاة والصوم، وعبادة ماليّة مثل الزكاة، وعبادة بدنيّة ماليّة مثل الحج، فأنت في الحج تجهد بدنك، وتبذل مالك، هكذا نوّع الإسلام في عباداته، ومنها عبادة فعليّة مثل الصلاة، وعبادة تركيّة مثل الصوم، فمعناه أن تترك طعامك وشرابك وزوجتك من أجل الله.

قد يقول بعض النّاس عن الصوم: هذا أمر سلبي. لا، هذا ليس سلبيًا، هذا أمر إيجابي، كفّ النفس عن شهوتها، أن تجوع لله، أن تظمأ لله، أن تحرم نفسك ممّا كان حلالاً عليك لله.

وهذا ما جاء به الحديث القدسي: «كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصوم؛ فإنّه لي، وأنا أجزي به؛ يدع طعامه من أجلي، ويدع شرابه من أجلي،

ويدع زوجته من أجلي، ويدع شهوته من أجلي»<sup>(١)</sup>. من أجل الله يفعل المسلم ذلك، يقطع نفسه عن شهواتها، عن لذاتها، عما كان حلالاً لها؛ ابتغاء مرضاة الله ﷻ، هكذا نوع الإسلام في العبادات، فأول العبادات: إقامة الفرائض، وإقامة الشعائر.

## ٢ - فعل الخيرات:

وهناك عبادات أخرى، من هذه العبادات فعل الخيرات، ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، افعل الخير للناس، أغث الملهوف، امسح دموع المحزون، فرّج كربة المكروب، يسّر على المعسر، كل هذه من أفعال الخيرات، ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ \* فَكُ رَقَبَةً \* أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ \* يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ \* أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ \* ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١١ - ١٧].

افعل الخير، أطعم المسكين، ولا تكن من هؤلاء الذين دخلوا النار فلما سُئلوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ \* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٤].

فإن لم يكن عندك ما تطعم المسكين فعندك الحظ على طعام المسكين، حُضَّ النَّاسُ عَلَى إِطْعَامِ الْمَسَاكِينِ، حَرَّضَ النَّاسَ عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ \* فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ \* وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ - ٣]، هذا الإنسان القاسي القلب، الجامد العين، الذي لا ينفذ إلى قلبه شعاع من أشعة الرحمة ليس

(١) رواه ابن خزيمة في الصيام (١٨٩٧)، وقال الأعظمي: إسناده صحيح. عن أبي هريرة. وأصل الحديث في الصحيحين: «الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي». متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.

بمؤمن، ليس من أهل الدين، إِنَّهُ مُكْذَّبٌ بالدين، مُكْذَّبٌ بالجزاء يوم القيامة، والدليل على ذلك أَنَّهُ ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾، يقهره وينهره ويدفعه بعنف، ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾، إِنَّهُ مشغول بنفسه، يعيش في دائرة نفسه، في هواه ومنفعته، لا يفكر في غيره، إِنَّهُ إنسان أناني.

وليس هذا من شأن أهل الإيمان، فالمؤمنون يفكرون في غيرهم كما يفكرون في أنفسهم، بل إذا ارتقى إيمانهم آثروا غيرهم على أنفسهم، جادوا بالشيء وهم محتاجون إليه، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا] [الإنسان: ٨ - ٩]. هؤلاء يفعلون الخيرات، يحضون على إطعام المساكين، لا يحبون أن يبقى في المجتمع المسلم مَنْ يشكو الجوع، وفيه الطاعمون الناعمون، وَمَنْ يشكو الفقر، وفيه الواجدون الموسرون.

والله تعالى وصف المجتمع الجاهلي بقوله: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرَمُونَ الْيَتِيمَ﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا [الفجر: ١٧ - ٢٠]. لا يحض بعضكم بعضًا على طعام المسكين، واليتيم فيكم مَهَانٌ مُضَيِّعٌ.

ليس هذا شأن المجتمع المؤمن، المجتمع المؤمن متراحم، أهله كالجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، يجوع الواحد منهم ليشبع أخوه، ويتعب ليرتاح أخوه، ويسهر لينام أخوه، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ووصف الله الأنصار بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].



## الصدقات الاجتماعية والجسمية والعقلية:

شرح الله العبادات فجعل منها فعل الخيرات، أن تُقدّم للناس الخير، كل إنسان عليه زكاة، ليست الزكاة أو الصدقة هي الصدقة المالية فقط؛ فتختص بأهل المال والغنى، لا؛ بل هناك أيضًا صدقات اجتماعية، صدقات جسمية، صدقات عقلية، زكّ عن عقلك بأن تُعلم غيرك ما تعلمته، زكّ عن بدنك بأن تعين الضعيف، زكّ عن جاهك بأن تعين المستضعفين وتشفع لهم، زكّ عن كل نعمة، ففي كل نعمة زكاة، ولذلك نرى عامة المسلمين يقولون: زكّ عن نور عينيك، زكّ عن عافيتك، زكّ عن أولادك. هذه زكاة عامة.

ينبغي للمسلم أن يكون ينبوعًا يفيض بالخير على مَنْ حوله، وعلى ما حوله، على الإنسان، مسلمًا كان أو غير مسلم، الله تعالى يقول: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]. ما داموا مسالمين لنا، لم يقاتلونا، ولم يخرجونا من ديارنا؛ فنحن نبرهم ونقسط إليهم، القسط هو العدل، والبر هو الإحسان.

ولم يكتفِ الإسلام بالعدل فقط مع هؤلاء المسالمين، ولكن طلب منا ما هو فوق العدل: البر والإحسان، وكلمة البر هي الكلمة التي اختارها الإسلام للتعبير بها عن الصلة بالوالدين: بر الوالدين، ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾، كما تبرون آباءكم وأمهاتكم، ففعل الخيرات يشمل المسلمين وغير المسلمين.

## فعل الخير يشمل الإنسان والحيوان:

بل يشمل فعل الخير الإنسان والحيوان، الحيوانات العجماوات أمر الإسلام بالإحسان إليها، بالرحمة بها، كما جاء في الحديث:



«اتَّقُوا اللَّهَ فِي الْبَهَائِمِ الْعِجَمَاوَاتِ؛ فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُّوها صَالِحَةً»<sup>(١)</sup>. لا يرضى الإسلام عن القسوة بهذه الحيوانات التي تتوجّع ولا تكاد تُبين، ارحم الحيوان؛ فإنّه يحسّ كما تحس، ويتألّم كما تتألّم، ويبكي بغير دموع، ويتوجّع ولا يكاد يُبين، هكذا أمرنا الإسلام بالرحمة بهذه المخلوقات.

أَمَّا مَنْ قَسَا عَلَى هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ فَمَصِيرُهُ النَّارُ، جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا، فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup>. عَلَى حِينِ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ امْرَأَةٌ أُخْرَى كَانَتْ بَغِيًّا مِمَّنْ كَانَ قَبْلُنَا؛ سَقَتْ كَلْبًا فَغَفَرَ اللَّهُ لَهَا بِسُقْيَا هَذَا الْكَلْبِ<sup>(٣)</sup>.

وَرَجُلٌ آخَرُ سَقَى كَلْبًا وَتَعَبَ فِي سُقْيَاهُ؛ مَلَأَ خَفَّهُ وَأَمْسَكَهُ بِفِيهِ مِنْ قَاعِ الْبُئْرِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ حَتَّى سَقَى الْكَلْبَ وَارْتَوَى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ». فَقَالَ الصَّحَابَةُ مُتَعَجِّبِينَ مِنْدَهْشِينَ: أَتَنَ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لِأَجْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ هَذَا شَيْءٌ جَدِيدٌ عَلَيْهِمُ، الْأَشْيَاءُ الَّتِي نَعْتَبِرُهَا نَحْنُ الْآنَ مُسَلَّمَاتٍ وَبَدَهِيَّاتٍ كَانَتْ جَدِيدَةً عَلَى الصَّحَابَةِ، أَتَنَ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لِأَجْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه أحمد (١٧٦٢٥)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات. وأبو داود في الجهاد (٢٥٤٨)، وابن خزيمة في المناسك (٢٥٤٥)، وصحّح إسناده النووي في رياض الصالحين (٩٦٦)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٢٣)، عن سهل ابن الحنظلية.

(٢) متّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٢)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

(٣) متّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٧)، ومسلم في السلام (٢٢٤٥)، عن أبي هريرة.

(٤) متّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٣)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.

ومن هنا أمر الإسلام بالإحسان في كل شيء، «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ - أي الإِتْقَانَ - عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فإذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وإذا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وليُحِدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وليُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»<sup>(١)</sup>، ولا يُحْدِثُهَا أمام البهيمة فإنها تحس بأن هذه لها، ولا يذبح شاة أمام أخرى.

رأى النبي ﷺ رجلاً يحد شفرته أمام البهيمة فقال: «ويحك! أتريد أن تُميتها موتات»<sup>(٢)</sup>. كأنك تميتها مرّتين، ورأى عمر جزّاراً يقود شاة من رجلها، فقال له: يا هذا، قُدها إلى الموت قوداً جميلاً<sup>(٣)</sup>.

هكذا يريد الإسلام منا فعل الخيرات لا يشمل الإنسان فقط، بل الإنسان والحيوان، وفي أقوال فقهاء المسلمين من ذلك العجب العجيب، قبل أن تعرف الدُّنيا ما يُسمّى الرفق بالحيوان.

هذه هي الرحمة التي جاء بها الإسلام: فعل الخيرات، فافعل الخير ما استطعت، علّم الجاهل، اصنع لأخرق لا يعرف الصنعة، علّمه إيّاها، حتّى جاء في الحديث: «إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»<sup>(٤)</sup>، و«الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»<sup>(٥)</sup>، و«تَبَشُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»<sup>(٦)</sup>. كل ما يشيع الخير

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣٣٢/١١)، والأوسط (٣٥٩٠)، والحاكم في الأضاحي (٢٣١/٤)، وصحّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٠٣٣): رجاله رجال الصحيح. وصحّحه الألباني في غاية المرام (٤٠)، عن ابن عباس.

(٣) رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٦٠٥)، موقوفاً، وهو منقطع، فابن سيرين لم يدرك عمر.

(٤) رواه البخاري في الهبة (٢٦٣١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٨٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩)، عن أبي هريرة.

(٦) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٥٦)، وقال: حديث حسن غريب. والبخاري في الأدب المفرد (٨٩١)، وابن حبان في البر والإحسان (٥٢٩)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح. عن أبي ذر الغفاري.

والحب والموَدَّة بين النَّاس فهو صدقة، فتقرَّبوا بها إلى الله، ففعل الخير لون من العبادة، ومجال من العبادة.

### ٣ - السعي على المعاش:

ومن مجالات العبادة: عملك الذي تتعيش منه فهو عبادة أيضًا، زراعتك إن كنت زارعًا، صناعتك إن كنت صانعًا، تجارتك إن كنت تاجرًا، احترافك إن كنت محترفًا، ما دام عملك هذا مشروعًا وليس مُحَرَّمًا، وما دمت تلتزم فيه حدود الله، ولا تأكل فيه حقوق الناس، لا تغش ولا تخون، وما دمت تتقن هذا العمل، فـ «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»<sup>(١)</sup>، و«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَقَنَهُ»<sup>(٢)</sup>، وما دام عملك هذا لا يشغلك عن واجب آخر نحو ربِّك، أو نحو غيرك، كما قال الله تعالى في وصف بعض رجال الأعمال من رواد المساجد: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ \* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]. هؤلاء ليسوا دراويش، بل لهم تجارة ولهم بيع، ولكن ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

يستطيع المسلم أن يتقرَّب إلى الله بعمله اليومي الذي يكتسب منه رزقًا، سواء كان عملاً لنفسه، أو عملاً لغيره، مثل الموظفين عند الآخرين، عملك هذا إذا أتقنته، وأدبته بأمانة وإخلاص، ورعيت فيه حق الله وحق النَّاس فهو عبادة من العبادات.

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

(٢) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩٢٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٠)، عن عائشة.

## ٤ - تحويل العادات إلى عبادات:

هناك أيضًا مجال آخر من مجالات العبادات، وهو أمر عجيب، هذا الأمر هو أنك إذا قضيت شهوات نفسك في الحلال، وفيما يرضي الله ورسوله كان ذلك عبادة لك، أكلك وشربك ولبسك إذا تحرّيت فيها الحلال، ألا تدخل بطنك لقمة من حرام، ألا يمس جسدك لباس من حرام، إذا استمتعت بهذا في حدود الحلال فهذا عبادة، إذا نويت بهذا أن هذا يقويك على طاعة الله، على أداء واجبك، على القيام بمهمتك في عمارة الأرض، وفي خلافة الله، وفي عبادته ورسوله، وهي الأهداف الثلاثة التي خُلق لها الإنسان: العبادة، والعمارة، والخلافة، إذا نويت بطعامك وشرابك ولباسك أن هذا يقويك على أداء رسالتك، فهذه عبادة.

بل إنّ مداعبة الإنسان لأهله وزوجه تعتبر عبادة، كما جاء في الحديث الصحيح: «إنّك ما تنفق نفقةً تبغي بها وجه الله إلا كان لك بها صدقةٌ، حتّى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك»<sup>(١)</sup>. اللقمة تضعها في فم زوجتك، الزوجان يتداعبان ويتمازحان فيطعم الرجل امرأته بيده مداعبةً وممازحةً وإيناسًا وتلطّفًا، هذه عبادة.

بل أكثر من ذلك: الرجل يجامع زوجته، وينال شهوته، فتكون له بها عبادة، هكذا قال النبي ﷺ، ذكر للناس أنواعًا من الصدقات، وذكر منها فقال: «وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صدقةٌ». أي: في إتيان الرجل زوجته وفي بضعه صدقة. قالوا: يا رسول الله، يأتي الرجل شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: «أليس إذا وضعها في حرامٍ كان عليه وزر؟». قالوا: بلى؟ قال:

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٤٢)، ومسلم في الوصية (١٦٢٨)، عن سعد بن أبي وقاص.

«كذلك إذا وضعها في حلالٍ كان له بها أجر، أتحسبون الشرَّ ولا تحسبون الخير؟»<sup>(١)</sup>.

قضاء الشهوات - إذن - يكون عبادة ما دام في الحلال، وما دام الرجل يبتغي بذلك أن يحصّن نفسه، ويحصّن زوجته، وأن يمتّع نفسه، ويمتّع أهله في حدود ما أحلّ الله، أرايتم دينًا يوسّع العبادات والقربات إلى الله هذه التوسعة الهائلة مثل هذا الدين؟

### الحياة محراب المسلم:

إنّ المسلم يعيش في دنياه في محراب واسع، وفي مسجد كبير، الأرض كلها مسجد للمسلم يستطيع أن يجعل كل أعماله فيها عبادة، إذا صحّت نيّته، وصدقت وجهته، وكان عبدًا لله حقًا فإن كل عمله - عمله لدنياه، وعمله مع الناس، وعمله في بيته، حتّى قضاء الغريزة - يُحسب له عند الله.

هكذا يوحد الإسلام الحياة، لا يجعل هناك حياة رويّة وحياة ماديّة، الحياة كلها وحدة متلاحمة لا تتجزأ، الروح ممتزجة بالمادة، والدنيا ممتزجة بالدين، ولا انفصال بينهما، وهكذا كان النبي ﷺ، وهكذا كان الصحابة.

المسلم يعبد الله أبدًا في كل شهر، وفي كل يوم، وفي كل حين، بالشعائر وبغير الشعائر، يعبد الله تعالى ببدنه، ويعبده بماله، يعبده بلسانه: ذاكرًا، مسبّحًا، مُهللاً، مُكبرًا، تاليًا للقرآن، داعيًا مستغفرًا، ويعبده بعينه: ناظرًا في ملكوت الله، في الآفاق من حوله، قارئًا لكتاب الله، ويعبده بأذنه:

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦)، وأحمد (٢١٤٧٣)، عن أبي ذر.

يسمع آيات الله، ويسمع الموعظة، ويسمع الدروس، ويسمع ما ينفعه من العبر، ويعبده بيده، بجوارحه كلها: بأن يستخدمها فيما يحب الله، فيما يأمر الله تعالى به، وأن يجتنب ما يبغض الله، ما ينهى الله تعالى عنه، يستخدم جوارحه وآلاته كلها في طاعة الله، هي نِعَم من الله تعالى عليه، هبات وهبها الله له، وشكر هذه النعم أن يستخدمها فيما يحب الله وَعَجَّلَ.

### العبادات القلبية:

وأعظم من ذلك: العبادات القلبية، فالمسلم - كما يعبد الله تعالى بلسانه، وعينه، وأذنه، ويده، ورجله، وجوارحه كلها - يعبد الله تعالى بقلبه، وعبادة القلب أهم من عبادة الجوارح، أن تتجه إلى الله تعالى بقلبك، بل لا يقبل الله عبادات الجوارح إذا لم تكن معها عبادة القلب: النية، «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»<sup>(١)</sup>، ما لم تكن نية في الأمر فلا يُقبل منك.

العبادات الشعائرية من الصلاة والصيام والزكاة والحج لا تقبل إلا بنية، وليست النية بأن تقول: نويت الصلاة، أو نحو ذلك. فهذا لم يرد عن النبي ﷺ، النية محلها القلب، أن تريد بعملك وجه الله، هذه هي النية، لا يُقبل عمل إلا بنية، فلا تُقبل هذه الفرائض إلا بالنية.

أمّا الأعمال الأخرى، فأنت تُثاب عليها إذا نويت بها وجه الله، أنك تُحقّق أمر الله، وتقيم دين الله في الأرض، وتبتغي مثوبة الله وَعَجَّلَ، بهذا يكون كل شيء تفعله عبادة لله، تتحوّل حياتك كلها إلى طاعة، إلى عبادة، حتّى قضاء الغرائز والشهوات، فلا بدّ من النية، وهي من أعمال القلوب.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب.



ومن أعمال القلوب: المحبة لله، والتوكل على الله، والرجاء في رحمة الله، والخوف من عذاب الله، والإنابة إلى الله وَعَجَلَ، والتوبة إلى الله، واليقين بما عند الله، هذه مقامات الصالحين، كلها أعمال قلبيّة، وهي لباب الدين، هي جوهر الدين.

ليس الدين هو الطقوس وحدها، الدين هو هذه الأعمال القلبيّة، هي الأساس، حتّى إنّ النبي ﷺ أشار إلى صدره، وقال: «التقوى ها هنا، التقوى ها هنا، التقوى ها هنا»<sup>(١)</sup>. يشير إلى صدره ثلاث مرّات ليدل على أنّ أساس التقوى في القلب، هو الخشية من الله وَعَجَلَ، كما قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. فاعبدوا الله تبارك وتعالى بقلوبكم وبجوارحكم، كونوا مخلصين لله، حتّى تكون حياتكم كلها لله، كما قال الله تعالى مخاطباً رسوله ﷺ، وهو خطاب للأمة كلها: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. هذه هو شأن الإنسان المؤمن، حياته كلها لله، ومماته لله، وصلاته لله، ونسكه لله، وأعماله كلها لله.

أيّها الإخوة الأحبة، ينبغي بعد أن انقضى شهر رمضان أن نعود إلى الله وَعَجَلَ، ولا نهجر ربّنا، ولا كتاب ربّنا، ولا بيوت ربّنا، ينبغي أن نظلّ على صلة بالله تعالى، إذا غفلنا عنه سرعان ما نتذكر، وإذا زلّت أقدامنا فسرعان ما نتوب، ونقول ما قال أبونا آدم وأمنا حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنّهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.



## الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

## دعوة للإنفاق:

في آخر ليلة من رمضان، في ختام القرآن الكريم في الجامع الكبير، نَبَّهت الإخوة والأخوات على إخوة لنا يعانون ما يعانون في سبيل الله في بلد إسلامي تتعرض فيها نساؤهم وأولادهم وأسرهم للجوع، والمؤمنون إخوة «يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»<sup>(١)</sup>.

ولا يجوز لك أيُّها المسلم أن تأكل ملء بطنك، وتضحك ملء سنك، وتنام ملء جفحك، وهناك إخوة وأخوات لك يتعرضون للفتنة، هذا ما يريده المريدون: أن يفتنوا هؤلاء في دينهم، يريدون أن يتسوّل الأطفال والأولاد في الطرقات، وأن تبيع النساء أعراضهنّ، ونحن مسؤولون عن ذلك.

ولذلك بعث إليّ هؤلاء الإخوة والأخوات يقولون: أنجدونا، أنقذونا، فنحن أهلكم وأخواتكم وبناتكم. فرحم الله امرأً مدّ يده بالعون إلى هؤلاء الأبناء والأخوات بما يستطيع، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

لم ينقض الخير بانقضاء رمضان، أبواب الخير مُفَتَّحة في كلّ زمان، مَنْ جاد بشيءٍ من ذلك فليُرسله أو يضعه في الحساب المخصّص لهذا بمصرف قطر الإسلامي، والله تعالى يخلف على مَنْ أنفق، والله تعالى

(١) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال: صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى

(١٠٧٣)، عن عبد الله بن عمرو.



ملكان يناديان، ويدعوان في الصباح وفي المساء: «اللهم أعط منفقاً خلفاً، اللهم أعط ممسكاً تلفاً»<sup>(١)</sup>. والله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

اللهم أكرمنا ولا تُهِنَّا، وأعطينا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، اللهم كن لنا ولا تكن علينا، وأعنا ولا تُعن علينا، وانصُرنا ولا تنصُر علينا، واهدنا ويسر الهدى إلينا، وانصُرنا على من بغى علينا، ربنا تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وأجب دعوتنا؛ إِنَّكَ سميعٌ قريب.

\*\*\*

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.



## أهمية الطاعة بعد رمضان<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

#### الرابعون من شهر رمضان:

لقد ودّعنا شهر رمضان شاهداً لقوم، وشاهداً على آخرين، شاهداً لقوم بأنهم صاموا فأحسنوا الصيام، وقاموا فأحسنوا القيام، صاموا أيّام رمضان إيماناً واحتساباً، وقاموا ليالي رمضان إيماناً واحتساباً، فاكْتَسَبُوا المغفرة من الله، غُفِرَ لَهُمْ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِمْ، خَرَجُوا مِنْ رَمَضَانَ مُتَطَهِّرِينَ مَغْسُولِينَ، مَوْلُودِينَ وَلَادَةَ جَدِيدَةٍ.

شهد شهر رمضان لهؤلاء الَّذِينَ صَامُوا فَأَحْسَنُوا، وقاموا فأحسنوا، وفعلوا الخيرات، واستبقوا الصّالحات، وكان لهم رصيدهم في هذا الشهر عند الله تبارك وتعالى.

يتنافس النَّاسُ عَلَى أَنْ يَعْظُمَ رَصِيدُهُمْ فِي الْبَنُوكِ.  
فصاحبُ الْعَشْرِ يَنْبَغِي عَشْرَهُ مِائَةً      وصاحبُ الْأَلْفِ يَنْبَغِي الْأَلْفَ مِائُونَ

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالذُّوْحَةِ، بَتَارِيخِ ٢٩ يَنَايِرِ ١٩٩٩م.

ولكن هؤلاء كانوا يريدون زيادة الرصيد من الطاعات، من الحسنات، من الخيرات، لم يكن شهر رمضان مجرد شهر صيام وقيام، بل كان شهر استباق الخيرات، كان شهر ذكر لله، شهر توبة واستغفار، شهر تلاوة للقرآن، شهر فعل للخيرات، وصلة للأرحام، وبر بالوالدين، وإحسان إلى الفقراء والمساكين، كان شهرًا حافلًا بالخير، مليئًا بالبركة.

فطوبى لمن خرج من رمضان وقد غفر له، وبُعْدًا لمن أدرك رمضان ولم يُغفر له، دعا عليه جبريل، وأمن عليه مُحَمَّد ﷺ، دعا أمين السماء، وأمن أمين الأرض على «مَنْ أدرك رمضان ولم يُغفر له»<sup>(١)</sup>، لم يكتسب المغفرة وهي تُوزع هنا وهناك، عن يمين وشمال، ولكن هذا المحروم حُرِم خير رمضان، وحُرِم مغفرة رمضان.

### رمضان شاهد لنا، أو شاهد علينا:

فهناك مَنْ شهد له شهر رمضان، وهناك مَنْ شهد عليه شهر رمضان. الذي أدرك رمضان ولم يُغفر له، لم يصم فيحسن الصيام، ولم يقم فيحسن القيام، لم يصل ما بينه وبين ربه، ولم يصل ما بينه وبين خلقه، فلم يستفد من هذا الموسم العظيم.

انقضى هذا الشهر - شهر رمضان - شاهدًا لنا، أو شاهدًا علينا، هناك أناس يشفع لهم شهر رمضان، يشفع لهم القرآن، يقول: يا رب منعهم النوم في الليل فشفعني فيهم. ويشفع لهم رمضان، يقول: يا رب منعهم الأكل والشراب والشهوة بالنهار فشفعني فيهم. هؤلاء هم المحظوظون السعداء، الذين استحقوا أن يشفع لهم شهر رمضان، ويشفع لهم القرآن.

(١) سبق تخريجه ص ٤٧.

ورمضان شهر القرآن، كان ينزل جبريل على النبي ﷺ في شهر رمضان من كل عام؛ فيدارسه القرآن<sup>(١)</sup>، فهو لاء الذين شفيع لهم رمضان، وشفيع لهم القرآن طوبى لهم، ويا سعادتهم.

أما أولئك الذين حُرِّموا من شفاعته الشهر، وحُرِّموا من شفاعته القرآن فهم مساكين ومحرومون حقًا، قال النبي ﷺ حينما حضر رمضان يومًا: «قد جاءكم رمضان، وفيه ليلةٌ هي خيرٌ من ألف شهر، مَنْ حُرِّمَ خيرها فقد حُرِّمَ»<sup>(٢)</sup>. لأنَّها ليلة واحدة خير من ألف شهر، ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر؛ بل هي خير وأفضل من ذلك، أليس يكون محرومًا حقًا مَنْ أضاع هذه الليلة؟ ماذا يُكلِّفه أن يقوم الليل؟ أن يُحيي الليل بطاعة الله؟ لا في الكلام عن فلانة وفلان، بل يُعرض عن اللغو، يُعرض عن السفاسف، ويحيي ليله بطاعة الله.

فات رمضان وانقضى، ولكن المهم هو ما بعد رمضان، ماذا أفدنا من رمضان؟

### رمضان فرصة للتطهّر والتزوّد:

رمضان فرصة ليتطهر المسلم فيها من السيئات، ويتزوّد من الحسنات، كان السلف إذا جاء رمضان قالوا: مرحبًا بالمُطهّر. فرصة ليتطهروا. ثم كانوا يضاعفون نشاطهم في شهر رمضان ليملؤوا ميزانهم بالحسنات والطاعات، حتّى تثقل كفة الحسنات، وتثقل موازينهم يوم القيامة، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦، ٧].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٦)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٨)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٧١٤٨)، وقال مخرّجوه: صحيح. والنسائي في الصيام (٢١٠٦)، عن أبي هريرة.



كان أولئك السلف ينتظرون هذا الشهر ليستفيدوا منه، فإذا ما انقضى هذا الشهر يكونون قد شحّحوا بطاريات قلوبهم، شحّحوها بالطاعة، بالصيام والقيام، والذكر والدعاء والاستغفار، واستباق الخيرات، شحّحوا البطارية لتفيدهم خلال أحد عشر شهرًا، فهل شحّحنا بطاريات قلوبنا؟

على كل إنسان أن يُسائل نفسه: هل خرج من رمضان كما دخل؟ أم خرج من رمضان وهو أحسن حالًا، وأفضل مألًا، وأطهر قلبًا، وأكرم عملاً؟ لا بدّ أن يسائل نفسه: هل هو مستمرٌّ على فعل الخير؟ هل هو مستمرٌّ على طاعة الله؟ هل هو مستمرٌّ على تلاوة القرآن؟ هل هو مستمرٌّ على عمارة المساجد؟ أم انقطع ما بينه وبين ذلك كله؟

إنّ رمضان سوق للطاعات، ومتجر للخيرات، وموسم للصالحات، يمكن أن يخف نشاط الإنسان، ويقلّ جهده بعض الشيء بعد انقضاء الموسم، ولكن لا يغلق المتجر، لا يغلق السوق نهائيًا، ليس هذا عمل أي تاجر.

وكذلك الذي يتاجر مع الله لا ينبغي أن يقطع تجارته بمجرد انقضاء رمضان، مَنْ كان يعبد رمضان فإن رمضان قد مات، وَمَنْ كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، رب رمضان هو رب شوال، هو رب ذي القعدة، هو رب سائر الشهور، وهو يحب أن يُطاع في كل زمان، ويكره أن يُعصى في كل أوان.

### علامة قبول رمضان:

ومن هنا كانت علامة قبول رمضان، علامة قبول صيامك وقيامك أن تظل مصطلحًا مع الله، أن تظل يدك في يد الله، أن تظل مُقبلًا على بيوت الله، مُقبلًا على كتاب الله، هذه علامة القبول.

كان السلف يقولون: إن من ثواب الحسنة أن تُوفَّق إلى الحسنة بعدها. كما قال الله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]. فإذا وُفِّقت إلى الحسنة بعد الحسنة كان هذا دليلاً على قبول الحسنة الماضية.

أمّا إذا سِرَّتَ في طريق السيئة - والعياذ بالله - فهذا ينذر بأنَّ حسنتك الماضية لم تُقبل، ولذلك عُوقبت، فلعل فيها دخلاً، لعلها لم تكن خالصة لله، لعلها شابها الرياء، أو أحبطها العُجب، أو دخل فيها ما لا ينبغي من البواعث الرديئة، والنيّات السيئة.

### دوام العبادة بعد رمضان:

ومن هنا كان على الإنسان أن يراجع نفسه بعد رمضان، إذا رأى نفسه مستمراً في طريق الخير فهذا دليل على أنّه قد وُفِّق، وإذا رأى نفسه قد أغلق ما بينه وبين الله ﷻ، وفتر نشاطه، وضعفت همّته، وانحلت عزمته فعليه أن يُراجع نفسه من جديد.

إنَّ الله ﷻ يحب العمل الدائم، كما قال النبي ﷺ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدُومُهَا وَإِنْ قَلَّ»<sup>(١)</sup>. لأن الدائم وإن كان قليلاً يصبح في النهاية كثيراً، القليل على القليل على القليل ينتهي إلى الكثير، لكن المشكلة في العمل الذي يكثُر حيناً ثمَّ ينقطع، والانقطاع نكسة تصيب الإنسان، فلا ينبغي للإنسان أن ينتكس ويرتد على عقبه من بعد ما تبين له الهدى، لا ينبغي للإنسان أن يسير خلف الشيطان بعد أن سار طويلاً في طريق الرحمن، «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدُومُهَا وَإِنْ قَلَّ»، وكان النبي ﷺ إذا عمل عملاً أثبتته<sup>(٢)</sup>، أي: داوم عليه.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٣)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأبو داود في قيام الليل (١٣٦٨)، عن عائشة.



## أداء النوافل:

ولذلك نجد أنّ النبي ﷺ شرع لنا صيام ستّ من شَوَّال، وقال: «مَنْ صام رمضان ثمَّ أتبعه ستًّا من شَوَّال، كان كصيام الدهر»<sup>(١)</sup>. أي: كأنما صام السنة كلّها، وإذا صام كل سنة فكأنه صام الدهر؛ ف شهر رمضان بعشرة أشهر، والستّة الأيام الحسنة بعشر أمثالها، بستّين يومًا، أي: بشهرين، فإذا أضيف الشهران إلى رمضان فكأنما صام السنة كلّها، وبهذا يفتح الإسلام باب التطوع بعد الفريضة.

## أثر النوافل في جبر الخلل في الفرائض وزيادة الحسنات:

إنَّ المسلم الراغب في الخيرات لا يكتفي بالفرائض، فربما كان في الفرائض بعض الخلل، فهو يكملها بالنوافل، ولهذا شرعت السنن الراتبة مع الصلوات المفروضة: ركعتان قبل الصبح، وركعتان أو أربع قبل الظهر، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، ثمَّ الشفع والوتر، إلى آخره، هذه كلها تُعوّض ما عسى أن ينقص الإنسان في أداء صلاة الفرض.

إذا جيء بالإنسان يوم القيامة، وحاسبه ربُّه ﷻ، ووُجد في فرائضه وصلواته المكتوبة خللاً قال الله تعالى: «انظروا هل لعبدي من تطوع؟». ليؤخذ من تطوعه ما يكمل نقص فريضته<sup>(٢)</sup>، هذا في الصلاة، وهذا في الصيام، وهذا في الزكاة، وهذا في الفرائض كلّها، فمهمة النوافل أن تجبر القصور والخلل في أداء الفرائض.

(١) سبق تخريجه ص ٦٦.

(٢) رواه الترمذي (٤١٣)، وقال: حسن غريب. والنسائي (٤٦٥)، وابن ماجه (١٤٢٥)، والحاكم

(١٣٨/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، جميعهم في الصلاة، وصحح إسناده النسائي ابن

الملقن في تحفة المحتاج (٣١٨)، عن أبي هريرة.

ثم من ناحية أخرى: إِنَّ الإنسان يقع في سيئات كثيرة، لا يأمن أن تزل قدمه، وأن تسوّل له نفسه الأثمارة بالسوء، وأن يغلبه شيطانه فيقع فيما يعصي به الله وَعَزَّ وَجَلَّ، ولهذا تحدث منه السيئات وتكاثر عليه، وإذا تكاثرت السيئات على امرئ؛ فإن مصيره إلى النار، عندما يأتي الحساب والميزان، عندما تُنشر الدواوين، وتُنصب الموازين يجد أنّ سيئاته قد غلبت، وأنّ معاصيه قد أحاطت به، وأمر به إلى النار والعياذ بالله.

من أجل هذا كان في حاجة إلى أن يقاوم هذه المعاصي بالطاعات، ويقاوم هذه السيئات بالحسنات، فلا بدّ أن يزيد رصيده حتّى ينفعه في هذا اليوم الذي لا درهم فيه ولا دينار، وإنّما يتعامل الناس فيه بالحسنات والسيئات، لهذا كانت النوافل رصيّدًا للإنسان ليقاوم به ما كسبه من السيئات.

### النوافل تؤدّي إلى منزلة الحبّ:

ثمّ من ناحية ثالثة: الفرائض تؤدّي إلى منزلة القرب من الله، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: «ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضته عليه». فالفرائض تقرب العبد من الله، تؤدّي إلى منزلة القرب، أمّا النوافل فتؤدّي به إلى منزلة الحب من الله تبارك وتعالى، ولذلك قال في هذا الحديث: «وما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته، كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»<sup>(١)</sup>. فالنوافل تؤدّي بك إلى حبّ الله وَعَزَّ وَجَلَّ، وإذا أحبّك الله جعلك ربّانيّا، كان سمعك الذي تسمع به، وبصرك الذي تبصر به، ويدك التي تبطش بها، ورجلك التي تمشي بها.

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.

## الصيام سياحة روحية:

ولذلك كان على الإنسان المسلم ألا يُودع الطاعات والخيرات بعد رمضان، عليه أن يستفيد من هذا الشهر الكريم الذي يعتبر سياحة روحية، جاء عن الصحابة والتابعين ومفسري السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمَدُونَ الْحَمْدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]. جاء عنهم: أَنَّ السَّائِحِينَ هُمُ الصَّائِمُونَ. وقالت عائشة رضي الله عنها: سياحة هذه الأمة الصيام<sup>(١)</sup>.

كان النَّاسُ في النصرانية وغيرها يذهبون إلى شواهد الجبال والبراري، ويتعبّدون في الأديرة والكهوف ونحوها، فجاء الإسلام ليقول: لا، سياحة هذه الأمة هي الصيام. وسئل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث مُرْسَلٍ عن السَّائِحِينَ في هذه الآية فقال: «هم الصَّائِمُونَ»<sup>(٢)</sup>. قال ابن كثير: وهذا مُرْسَلٌ جيد<sup>(٣)</sup>. فالصيام سياحة روحية.

وفسّرت بعض الأحاديث السياحة بالجهاد، «إِنَّ سَيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(٤)</sup>، والصيام نوع من الجهاد، لأنّه جهاد النفس لتجوع وتظماً وتترك النساء في سبيل الله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عن ربه: «الصَّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ طَعَامَهُ مِنْ

(١) رواه الطبري (٥٠٥/١٤، ٥٠٦)، عن عائشة موقوفاً، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥٠٢/١٤)، عن عبيد بن عمير.

(٣) تفسير ابن كثير (٢٢٠/٤).

(٤) رواه أبو داود في الجهاد (٢٤٨٦)، والطبراني (١٦٨/٨)، والحاكم في الجهاد (٧٣/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٤٧)، عن أبي أمامة.

أجلّي، ويدعُ شرابه من أجلّي، ويدعُ شهوته من أجلّي، ويدعُ زوجته من أجلّي»<sup>(١)</sup>. يفعل الصائم هذا من أجل الله، ولهذا فالصيام جهاد في سبيل الله.

### الحج سياحة روحية:

شرع الله تعالى لنا بعد سياحة الصيام في رمضان سياحة أخرى، فما إن ينقضي رمضان حتّى تبدأ سياحة جديدة للمسلم، وللأمة المسلمة، هي سياحة الحج، يقول الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]. أشهر الحج معلومات، هي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، هذه هي أشهر الحج، أي: بعد رمضان بدأت أشهر، خرج المسلم من سياحة روحية في رمضان إلى سياحة روحية في شوال وذو القعدة وذو الحجة: هي سياحة الحج، ومعنى هذا أنّ المسلم على موعد مع الله، وأن مواسم الخير لا تنتهي، يذهب موسم ليبدأ موسم آخر، حتّى لا يغفل المسلم عن ربه، ولا ينسى ذكر ربه، ولا طاعة ربه.

### الحفاظ على مكتسبات رمضان:

فيا أيّها الإخوة المسلمون، حافظوا على ما اكتسبتموه في شهر رمضان، حافظوا على هذه الثروة الروحية، هذه الذخيرة التي اكتسبتموها خلال الشهر الكريم، ولا تضيّعوها، ظلّوا على صلتكم بالله وحبّكم، ظلّوا متمسكين بهذا الحبل المتين، ظلّوا على هذا الصراط المستقيم، قارئين

(١) سبق تخريجه ص ٦٨.



لكتاب الله، مقبلين على بيوت الله، راغبين في الخيرات، مستبقين للصالحات، واصلين للأرحام، بارّين بالوالدين، مُكرمين للجيران، متعاملين بالحُسنى مع المسلمين جميعًا، بل مع غير المسلمين، بل مع غير الإنسان، فالمسلم رحمة عامة على الإنسان والحيوان، وذلك من الرحمة التي بعث الله بها محمدًا ﷺ، وهي رحمة عامة، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فسيروا على بركة الله.

كان السلف يقولون: بئس القوم قوم لا يعرفون الله إلا في رمضان. الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان ثم ينسون الله بعد ذلك بئس القوم هم، كن ربانيًا ولا تكن رمضانِيًا، أي كن مع الله دائمًا في كل وقت، ولا تكن رمضانِيًا، إنسانًا موسميًا لا يعرف الله إلا في هذا الشهر الكريم، ثم يغلق المتجر، ويقطع الصلة، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

نسأل الله وَجَّهًا أن يكون حُظنا من هذا الشهر الكريم طاعة مقبولة، ونية صالحة، وتوبة نصوحًا، وعزيمة صادقة على أن يكون يومنا خيرًا من أمسنا، وغدنا خيرًا من يومنا، اللهم آمين.

ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

\*\*\*

## الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زالت قضايانا معلقة كما هي، منذ نحو شهرين وأنا على هذا المنبر أتحدث عن قضايا لم تتحرك، لا شبرًا ولا فترًا، لا زالت قضية المسلمين الأولى، قضية فلسطين، قضية أرض الإسراء والمعراج، قضية المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله: لا زالت كما هي، لا زال اليهود يعبثون ويعربدون، ويصولون ويجولون، ويهودون القدس ويحفرون تحت المسجد الأقصى، ويفعلون ما يريدون، ولا يجدون ما يصدّهم أو يردّهم إلا الشجب والإنكار، الذي لا يجدي فتيلاً، ولا يشفي غليلاً.

ولا زالت قضية كوسوفا وما يجري فيها، وما كشفت عنه الأحداث من مجازر جماعية، تقشعر لها الأبدان، وتشيب من هولها الولدان، لا زالت كما هي، وكما قلت لكم من قديم: منذ أشهر وهم يقولون عن تحرك حلف الأطلسي، وحلف الأطلسي يعد ويتوعد، ويرغي ويزبد، ولا ينتهي إلى شيء، هي لعبة كلعبة القط والفأر، ولا نصل في النهاية إلى شيء، يتدخلون بعد أن تنتهي القضية، بعد أن تُسفك الدماء، وتُنتهك الأعراض، وتُدمر المنشآت، ويحقق الخصوم كل ما يريدون، حينها يتدخلون، هذا ما عهدناه.

ولا زلنا نرى العرب، وهم أمة مفرقة، وكلمتهم ممزقة، لم يستطيعوا أن يجتمعوا حتّى في قمة يتشاورون فيها، ويتباحثون جهراً وعلانية، يبحثون في أمورهم بصراحة ومكاشفة.



دعا الرئيس اليمني إلى قمّة، وأيّدها من قبل رئيس دولة الإمارات، وأمير دولة البحرين، وملك المغرب، ولكن للأسف لم تنعقد القمّة، واليوم نشرت الصحف السر في ذلك على لسان الرئيس اليمني أنّ أمريكا بعثت برسالة تطلب بصراحة عدم انعقاد القمّة، أو تأجيلها في الوقت الراهن على الأقل، وقال: إنّ هذه الرسالة التي وصلتنا لا بدّ أن يكون قد وصل مثلها إلى القادة في البلاد العربيّة الأخرى، ونحن نكشف هذا ولا نكتمه، ولكن الآخرين لا يكشفوه.

أصبحت أمريكا هي التي تتحكّم في أمورنا، أصبحنا كما قال الشاعر قديماً في قبيلة تيم:

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ      وَلَا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودٌ<sup>(١)</sup>

هجا هذا الشاعر هذه القبيلة بأقبح ما تُهَجى به قبيلة، أنّها قبيلة لا تملك أمر نفسها، تُقضى أمورها وهي غائبة، وحتى إن حضرت فلا يستأذنها أحد، أي هوان أكثر من هذا الهوان؟! لم نقدر على أن نجتمع ليحاسب بعضنا بعضاً، لنصل إلى شيء، لنقول للمحسن: أحسنت. وللمسيء: أسأت. لتتفق على شيء، لم نستطع هذا.

وأعجب ما قرأته وما شاهدته في هذه الأيام أولئك الشباب المخدوعون المضللون الذين جاؤوا من أوروبا.. من بريطانيا؛ ليحدثوا أحداثاً في اليمن، ليغتالوا أو يخطفوا أناساً من الأجانب في اليمن، هؤلاء يحركهم أناس إما مخبولون، وإما عقلاء عملاء يعملون لحساب القوى

(١) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب (٣٣٢/١)، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، نشر دار

المعارف، القاهرة، ط ١.



المعادية للإسلام، يأتي هؤلاء من أوروبا ليرتكبوا أعمالاً في اليمن! عجيب هذا الأمر! ونجد مَنْ يبرر هذا ويدّعي أنه باسم الإسلام، أي إسلام هذا؟!!

لو أن أعداء الأمة استأجروا أناساً، ودفعوا لهم ملايين، لما استطاعوا أن يخدموا القوى المعادية للأمة بمثل ما يخدمها هؤلاء، هذا عجيب، فكر الخوارج، وفقه الخوارج الذين يستبيحون الدماء والأموال، وإن كانوا عبّاداً وضوّماً وقوّاماً فإنّ النبي ﷺ قال: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ إِلَى صَلَاتِهِمْ، وَقيامَه إِلَى قيامِهِمْ، وقراءته إلى قراءتهم»<sup>(١)</sup>. ولكنّه وصفهم بقوله: «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ». لَا يَتَعَمَّقُونَ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ، لَمْ يَصِلْ إِلَى عَقُولِهِمْ لِيَفْهَمُوا وَيَفْقَهُوا، آفَةٌ هَؤُلَاءِ فِي عَقُولِهِمْ، ﴿ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، ولذلك قالت الأحاديث عنهم: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

مصائب كبيرة أيّها الإخوة، لا زلنا نشاهدها هنا وهناك؛ فمتى تصحّو هذه الأمة؟ متى يظهر الفجر؟ إننا على يقين من أنّ الفجر الصادق سيأتي ويبدو، ومن المعلوم أن أحلك أوقات الليل سواداً هو السويغات التي تسبق الفجر، يشتدّ السواد ويشتدّ، ويتحالك السواد ويتحالك، ثمّ ينفجر الضوء، ويأتي الفجر، وهذا ما ننتظره إن شاء الله.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) جزء من الحديث السابق.

اشْتَدِّي أْزْمَةً تَنْفَرَجِي      قَدْ آذَنْ لَيْلُكَ بِالْبَلَجِ<sup>(١)</sup>  
 وَلَرْبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى      ذَرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ  
 ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحَكَمَتْ حَلَقَاتُهَا      فُرَجَتْ وَكُنْتُ أَظْنُهَا لَا تُفْرَجُ<sup>(٢)</sup>

اللهم اجعل لنا من عُسرنا يُسرًا، ومن ضيقنا فرجًا، اللهم بدلْ حالنا إلى أحسن حال، اللهم هَيِّئْ لنا من أمرنا رشدًا، اللهم لا تَكِلْنَا إلى أنفسنا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقْلَ من ذلك، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأَجِرْنَا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة؛ إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

\* \* \*

(١) البيت لابن النحوي التوزري، مطلع قصيدته: المنفرجة، انظر: المنفرجتان لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ص ٤٣، تحقيق عبد المجيد دياب، نشر دار الفضيلة، القاهرة.

(٢) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي، انظر: الفرّج بعد الشدة للتنوخي (١٥/٥)، تحقيق عبود الشالجي، نشر دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.



## من فقه الحج (١) (١)

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

في هذه الأيام المباركة يرحل النَّاسُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَشِمَالِهَا وَجَنُوبِهَا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، لِيُؤَدُّوا هَذِهِ الشَّعِيرَةَ الْعَظِيمَةَ - شَعِيرَةَ الْحَجِّ - الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ، مَتَى اسْتَطَاعُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا.

### فريضة الحجِّ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمْرِ:

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿١﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٩٦، ٩٧].

قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: أي: مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْحَجِّ، وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، وَضَعُ مَكَانِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ (مَنْ تَرَكَ الْحَجَّ) كَلِمَةً ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾، كَأَن تَرَكَ الْحَجَّ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ كَفَرَ بِاللَّهِ؛ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدَّوْحَةِ، عَامَ ١٩٩٩م.

ومن فضل الله تبارك وتعالى أنه جعل فريضة الحج مرة واحدة في العمر، وقد قال النبي ﷺ يوماً لأصحابه: «أَيُّهَا النَّاسُ، قد فرض الله عليكم الحجَّ فحُجُّوا». فقال رجل: أفي كلِّ عام يا رسول الله؟ فسكت النبي ﷺ، وأعاد الرجل السؤال، ثلاث مرَّات يسأل، والنبي ﷺ يسكت، ثمَّ قال: «لو قلتُ: نعم، لوجبت، ولما استطعتم»<sup>(١)</sup>. فمن فضل الله أنه فرض هذه الفريضة مرة واحدة في العمر.

### العبادات الظاهرة، والعبادات الباطنة:

والحج فريضة مُتَمَيِّزة، وعبادة شاملة، الإسلام نوع في عباداته، فهناك العبادات الظاهرة، والعبادات الباطنة، العبادات الظاهرة هي التي تؤدَّى بالجوارح ويراهها الناس، ويحسُّونها بأعينهم وجوارحهم، والعبادات الباطنة عبادات القلوب، مثل حُبِّ الله، والإخلاص له، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والرجاء في رحمته، والخشية من عذابه، إلى آخر هذه الأعمال التي تتجسَّد فيها تقوى القلوب، والتي هي موضع نظر الله تبارك وتعالى قبل كل شيء، «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

### أنواع العبادات الظاهرة:

وهذه العبادات الظاهرة منها العبادات البدنية والعبادات المالية، والعبادات الفعلية والعبادات التركيبية، هناك عبادات تفعل فيها شيئاً، وهناك عبادات تترك فيها مثل الصيام، لأنه إمساك وامتناع عن المُفْطَرَّات: عن شهوتي البطن والفرج، تقرباً إلى الله تبارك وتعالى، فهناك عبادات بدنية

(١) رواه مسلم في الحج (١٣٣٧)، وأحمد (١٠٦٠٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة.

تؤدَّى بالبدن: بالمشقة البدنية، مثل الصلاة والصيام، وعبادات مالية تؤدَّى ببذل المال الذي هو شقيق الروح، ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، هذه العبادات مثل الزكاة والصدقات.

### الحج عبادة بدنية مالية:

وهناك عبادات جامعة بين البدنية والمالية، مثل الحج، والجهد في سبيل الله، فالحج عبادة بدنية مالية، أي يتعب الإنسان فيها ببدنه، أراد الله أن يكون الحج في ذلك الوادي، وادٍ غير ذي زرع، لم يجعل الله الحج في أراضٍ مثل لبنان أو سويسرا، أو نحو ذلك، وإنما جعله في هذا الوادي غير ذي الزرع، ليكون رحلة مكافحة ومعاناة، ويعيش الإنسان فيها أياماً أشبه بحياة الكشاف الجوّال، يعيش على البساطة والخشونة، يتنقل من هنا وهناك، يعيش ويحيا على أقل ما يمكن من الوسائل، يمكن أن ينام على ذراعه، يجعل ذراعه وسادته، وإن كان الحج في عصرنا قد تطور كثيراً، وأصبح أيسر ممّا كان في الزمن الماضي، يسّرت الوسائل الحديثة أمر الحج.

ذكر الإمام النسفي: أنّ رجلاً كان يطوف بالبيت، فسأله أحد الطائفين: من أي بلد أنت؟ فذكر له بلداً بعيداً، فقال: متى خرجت من بلدك؟ قال: أترى رأسي هذا؟ قال: نعم. قال: أترى فيه شعرة سوداء؟ قال: لا. قال: خرجت من بلدي وما في رأسي شعرة بيضاء، وأنا الآن ليس فيه شعرة سوداء<sup>(١)</sup>. يعني كان يخرج من بلد إلى بلد، يعيش في البلد فترة من الزمن، يعمل فيها ويدّخر بعضاً من المال، ثمّ يذهب حتّى يصل إلى البلد الآخر، ثمّ يعيش في هذا البلد فترة، فلم يصل إلى الحج إلّا بعد أن

(١) تفسير النسفي (٤٣٦/٢)، تحقيق يوسف علي بديوي، نشر دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١،

صار هكذا! الآن يكون الحاج من أي بلد في الدنيا بعد ساعات: قد وصل إلى البلد الحرام؛ فأني تيسر يسره الله للناس في عصرنا؟ المهم أن في الحج بعض المشقات ولا شك، ولذلك هو عبادة بدنية.

كما أن الحج عبادة مالية أيضًا، لأن الإنسان لا بد أن يدفع ثمن وسائل النقل التي توصله بالبر أو بالبحر أو بالجو؛ حسب ما ييسر له، وحسب ما يليق بحاله، وبقدرته وأوضاعه المالية، فمن استطاع سبيلاً إلى الحج وجب عليه أن يحج.

### هل الحج واجب على الفور أم على التراخي؟

اختلف العلماء: هل الحج واجب على الفور أم على التراخي؟ والذين قالوا: إنه واجب على التراخي. قالوا: إذا فاته الحج بعدما قدر عليه فإنه يتحمل المسؤولية، يتحمل إثم التأخير، إذا افتقر بعد غنى، وأعسر بعد يسار، أو مرض بعد صحة، أو مات وكان قد استطاع في وقت ما؛ فهو يتحمل مسؤولية التسويف والتأخير.

ولهذا فالأحوط للمسلم أن يبادر بالحج إذا قدر عليه، ولم تكن عنده ظروف تمنعه، كما جاء في الحديث: «تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَغْرُضُ لَهُ»<sup>(١)</sup>. فقد يمرض الصحيح، ويشيخ الشاب، ويفتقر الغني، ويموت الحي؛ فلنستبق الخيرات.

### الاستطاعة المالية والبدنية في الحج:

الاستطاعة إلى الحج تعني أمرين: الاستطاعة المالية، والاستطاعة البدنية: أن يكون لديه من المال ما يستطيع به الوصول إلى البلد الحرام

(١) رواه أحمد (٢٨٦٧)، وقال مخرجه: حديث حسن. عن ابن عباس.

والعودة منه، ولو بأيسر السبل، فإذا كان يستطيع أن يذهب بالسيارة، وليست عنده نفقة الطائرة، فليذهب بالسيارة.

وإذا كان يستطيع أن يبقى دون تعجل فليبق، وإلا فالحجُّ عبارة عن خمسة أيَّام أيُّها الإخوة، ويمكن أن تكون أربعة أيَّام: يوم عرفة، ويوم العيد، ويومان بعد العيد، ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣]، فمن كان عنده نفقة الحج فيجب أن يحج.

وليس من الضروري أن يكون قادرًا على الذهاب إلى المدينة؛ لأن المدينة ليست من شعائر الحج، فزيارة المدينة يمكن أن ييسرها الله له في وقت آخر، فلا يؤخّر الحج إذا كان قادرًا على الذهاب إلى مكة وحدها.

وليس ممّا ينبغي عليه من نفقة الحج أن تكون عنده مبالغ يشتري بها هدايا لأقاربه وأصدقائه، بعض الناس يستعظم أن يذهب ولا يعود بهدايا، هذا يا أخي ليس فريضة، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا سَيِّجَعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

مَنْ قَدَرَ عَلَى الْحَجِّ مِنَ الناحية المائيّة، ولم يكن عنده عائق من الناحية البدنيّة وجب عليه أن يحج، فإن كان عنده عائق دائم: يمكن أن يحجّ عنه بعض أبنائه أو إخوانه أو أقاربه، إذا كان ميؤوسًا من شفائه.

وهناك أشياء في الحج يمكن أن يفعلها الإنسان بواسطة، وأشياء يمكن أن يفعلها بالإناابة، يستطيع أن يطوف بالبيت محمولًا، أو راكبًا الكرسي المتحرك، وهناك من يسوقه أو يدفعه، ويستطيع أن يسعى بين



الصفاء والمروة راكبًا العربة، والوقوف بعرفة لا يحتاج إلى شيء، هو باقٍ في خيمته، ورمي الجمار يستطيع أن ينب فيه؛ فمن كان لا يقدر على المزاحمة في رمي الجمار، وعلى الذهاب إليه فلينب، ولكن من كان قادرًا على أن يرمي، ولو بالمزاحمة، ولو كانت امرأة تزاحم وترمي، وتذكر الله وَعَلَى، ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

### تحديد أعداد الحجاج:

لكن أحيانًا توجد عوائق عن الحج، في بعض البلاد تُحدّد أعداد الحجاج، نظرًا للزحام الهائل الذي يحدث في هذه السنوات من حجّاج بيت الله الحرام: تفاهمت المملكة العربيّة السعودية مع بلاد المسلمين، على أن يكون هناك عدد محدّد لكل بلد لا يتجاوزه، حتّى لا يتضاعف الحُجّاج في الموسم، ويقع من الأحداث ما لا يحبه المسلمون، مثل ما رأينا في السنوات الماضية من ماتوا في مرمى الجمرات، ولهذا تُعمل قُرعة لمن يريد الذهاب إلى الحج، فمن لم يخرج حظه في القرعة كان هذا عذرًا له، ينتظر إلى سنة قادمة، ثمّ إلى سنة قادمة، حتّى يخرج سهمه في القرعة، وهكذا قد توجد عوائق للإنسان عن الحج ليست بيده، هي من الأعذار التي يُسقط الله بها فورية هذه الفريضة عن الإنسان المسلم.

الحج عبادة ماليّة بدنية، ظاهرة وباطنة، كل عبادة ظاهرة تصحبها عبادة باطنة هي النية والإخلاص لله تبارك وتعالى، ولذلك جاء في الحديث: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»<sup>(١)</sup>. «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ»، لم يحج للرياء والسمعة، ليكون اسمه الحاج أحمد بعد كان أحمد، لا، بل لا بدّ أن يجعل نيّته في حجّه خالصة لله.

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري في جزاء الصيد (١٨١٩)، ومسلم في الحج (١٣٥٠)، عن أبي هريرة.

«فلم يرفث ولم يفسق»، ولم يجادل أيضًا كما قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. الرفث: فُحش القول، خصوصًا ما يتعلق بالنواحي الجنسية. والفسوق: المعاصي. والجدال: المماراة مع الرفقاء، ومع البائعين، ومع الناس، يريد الإسلام أن تكون هذه الحجة رحلة سلام، رحلة تسامح، ليست رحلة شجار، ليست رحلة ملاحاة في الصغير والكبير، حتّى يستريح الناس، ويتفرّغوا لعبادة الله تعالى، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾ [البينة: ٥].

«رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه»، وُلِدَ ولادة جديدة متطهّرًا من الذنوب، مغسولًا من الخطايا، مَنْ أراد أن يبدأ صفحة جديدة مع الله؛ فلينوِ الحج بهذه النيّة، فليدخل هذه العبادة بهذه الإرادة، أنّه يريد أن يحيا من جديد، وأن يولد من جديد.

### عَلَامَةُ قَبُولِ الْحَجِّ:

وعَلَامَةُ قَبُولِ الْحَجِّ: أن يكون الإنسان بعد الحج أفضل منه قبل الحج، بعض النَّاسِ للأسف يذهبون فيحجُّون فيعودون، ولم يتغيّر من حياتهم شيء، ولم يتبدّل من سلوكهم شيء، هو قبل الحج مثله بعد الحج؛ بل بعضهم - والعياذ بالله - يكون بعد الحج أسوأ ممّا كان قبل الحج، يظلم الناس، ويأكل الحقوق، ولا يبالي بما أخذ من المال: أمن حلال أم من حرام؛ كأنّما هذا الحج أعطاه رخصة أن يستحلّ الحرام، وأن يأكل أموال النَّاسِ بالباطل! لا.

لقد قال العلماء: إنّ الذنوب التي يسقطها الحج هي ما بين الله وبين العباد، أمّا الذنوب التي بين العباد بعضهم وبعض؛ فهذه لا تسقط

بالحج، وإنما تسقط بردها إلى أصحابها، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، إلّا من عجز عن توفية الحقوق، فهذا معذور، فلو أنّ شخصاً أراد أن يتوب إلى الله، ولكنه ظلم آلاًفاً من العباد طوال حياته، وأخذ منهم أموالهم، إما بالتجارة المحرّمة، أو بالغش في التجارة، أو بالاحتكار، أو غير ذلك، ولم يعد عنده مال، إذا كان هكذا فهذا أصبح أمراً بينه وبين الله، فالحج يسقطه.

ولكن إذا كان شخص يملك الملايين، وهو يريد أن يطهر نفسه بالحج، وعنده حقوق العباد في عنقه؛ نقول له: لو حججت مائة حجة، واعتمرت ألف عمرة؛ فإن الله لا يغفر لك حتّى ترد الحقوق إلى أهلها، أرايتم ما هو أعظم من الحج؟ الشهادة في سبيل الله، من قتل في المعركة في سبيل الله، وكانت عليه ديون للعباد؛ فإن الشهادة في سبيل الله لا تكفره.

روى مسلم في صحيحه: أنّ النبي ﷺ قال: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ»<sup>(١)</sup>. وجاء رجل يسأل النبي ﷺ قال: يا رسول الله، أرايت إن قُتِلْتُ في سبيل الله تُكْفَرُ عني خطاياي؟ قال: «نعم». ثمّ ولى الرجل، ومشى خطوات، فاستدعاه الرسول ﷺ، فردّوه إليه، قال: «ماذا قلت آنفاً؟». قال: قلت: أرايت إن قُتِلْتُ في سبيل الله تُكْفَرُ عني خطاياي؟ فقال: «إِلَّا الدِّينَ؛ أخبرني جبريلُ بها الساعة»<sup>(٢)</sup>. أي إنّ جبريل نزل عليه ﷺ يصحّح له الخطأ، يقول: إلّا الديون. والمقصود ديون العباد، فإذا كانت الشهادة في سبيل الله لا تسقط حقوق العباد؛ فلا يمكن أن يسقطها الحج، وإن كان حجاً لم يرفث فيه، ولم يفسق.

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٦)، وأحمد (٧٠٥١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٥)، وأحمد (٢٢٥٨٥)، عن أبي قتادة الأنصاري.

## شروط الحج المبرور:

النبي ﷺ يقول: «الحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»<sup>(١)</sup>. ما هو الحجُّ المبرور؟ يدعو النَّاسُ بعضهم لبعض: نسأل الله أن يرزقك حجًّا مبرورًا، وذنبا مغفورًا، وسعيًا مشكورًا؛ فما هو الحجُّ المبرور الذي جزاؤه الجنة؟ الحج المبرور لا بدَّ فيه من شروط معينة:

### ١ - الإخلاص لله:

أول هذه الشروط: النية الخالصة لله، أن يكون الحجُّ خالصًا لله تعالى، وقد تكلمنا عن ذلك قبل قليل.

### ٢ - المال الحلال:

وثاني هذه الشروط: أن يكون الحجُّ من مالٍ حلال، أن تكون نفقته للحجِّ من حلال، ولذلك يحرص المسلمون الذين يحجُّون على أن يكون المال الذي يحجُّون به حلالًا زلالًا، ليست فيه شائبة، لم يدخل البنوك الربويّة، ليست فيه رائحة من روائح أكل أموال النَّاسِ بالباطل، يتحرّى أن يكون حلالًا تمامًا، من عمله الذي أدّى فيه واجبه، هناك أناس يأخذون من الدولة رواتب وهم لا يعملون بما يقابلها، لا يذهب إلى عمله، أو يذهب ليقع عن حضوره وينصرف، هذا الراتب ليس حلالًا، لم يعرق جبينه، ولم تكد يمينه، ولم يجهد بدنه في مقابل هذا الراتب، لا بدّ للإنسان الذي يريد أن يكون حجُّه مبرورًا أن يكون ماله حلالًا.

وقد رُوي في بعض الأحاديث وإن لم تصح، ولكن معناها صحيح: أنَّ الإنسان إذا حج من مال حلال، وركب راحلته، - أو ركب سيارته أو

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العمرة (١٧٧٣)، ومسلم في الحج (١٣٤٩)، عن أبي هريرة.

طأثرته - ولبي بالإحرام، قال: لبيك اللهم لبيك. فإذا كان ماله حلالاً قيل له: لبيك وسعديك. وإذا لم يكن ماله حلالاً، وقال: لبيك اللهم لبيك. قيل له: لا لبيك ولا سعديك، وحجك مردود عليك، ارجع مأزوراً غير مأجور<sup>(١)</sup>. ضيَّعت ثواب حجك بهذا المال الحرام، والشاعر يقول:

إِذَا حَجَّجْتَ بِمَالٍ أَصْلَهُ دَنْسٌ      فَمَا حَجَّجْتَ وَلَكِنْ حَجَّتِ الْعِيْرُ<sup>(٢)</sup>  
أنت لم تحجَّ حقيقة، ولكن الناقة التي ركبته، أو السيارة التي ركبته هي التي حجت، ما دام مالك من حرام.

كل هذا إشارة إلى الإنسان المسلم: أن يحيا حياة طيبة، وأن يقنع بالرزق الحلال، بعض الناس تتطلع أعينهم دائماً إلى الحرام، ليس بالقليل يقنع، ولا من الكثير يشبع، هو كجهنم، كلما دخل فيها فوج، وقيل لها: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد. إذا كان صاحب ألف يريد أن يكون صاحب مليون، وإذا كان صاحب مليون يريد أن يكون صاحب عشرة ملايين، وإذا كان صاحب عشرة يريد أن يكون صاحب مائة!

فَصَاحِبُ الْعَشْرِ يَبْغِي عَشْرَهُ مِائَةً      وَصَاحِبُ الْأَلْفِ يَبْغِي الْأَلْفَ مِائُونََا  
هكذا الإنسان دائماً طمَّاع لا يشبع، إلا الإنسان المؤمن مهمته أن يتحرَّى الحلال، «اتَّقِ الْمَحَارِمَ - أي المحرَّمات - تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ، وارضَ بما قسم الله لك تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه ابن مردويه في ثلاثة مجالس من الأمالي (٤٤)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٠٩١)، عن عمر.

(٢) البيت لأبي الشمقمق، انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري (٢/٢٩٦)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

(٣) رواه أحمد (٨٠٩٥)، وقال مخرَّجوه: حديث جيد، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أبي طارق السعدي. والترمذي في الزهد (٢٣٠٥)، وقال: غريب. وأبو يعلى (٦٢٤٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٠)، عن أبي هريرة.

## حكم مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ:

ومِمَّا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ فِي أَمْرِ الْحَجِّ: أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَحُجَّ حَتَّى يَسْتَأْذِنَ الدَّائِنَ؛ لِأَنَّ الدَّيُونَ مِنْ حَقِّقِ الْعِبَادِ، وَالْحَجُّ مِنْ حَقِّقِ اللَّهِ، وَحَقِّقِ اللَّهِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْمَسَامَحَةِ، أَمَّا حَقِّقِ الْعِبَادِ فَمَبْنِيَّةٌ عَلَى الْمَشَاحَةِ. وَالْمَشَاحَةُ أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ يَقُولُ: حَقِّي حَقِّي، نَفْسِي نَفْسِي. فَالْأَنَانِيَّةُ مِنْ خَصَائِصِ الْبَشَرِ، فَلَا بَدَّ أَنْ تُوَدِّيَ حَقَّ الْبَشَرِ، تُوَدِّيَ الدَّيْنَ إِذَا كَانَ قَدْ وَجِبَ، وَلَا تَذْهَبْ إِلَى الْحَجِّ وَعَلَيْكَ دَيْنٌ، إِلَّا إِذَا كَانَ دَيْنًا مُقَسَّطًا مِثْلَ الدَّيُونِ الَّتِي عَلَى الْإِنْسَانِ لِلدَّوْلَةِ، مِثْلَ الْقَرْضِ الَّذِي تَعْطِيهِ الدَّوْلَةُ لِعِشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ سَنَةً فِي بِنَاءِ الْبُيُوتِ، فَهَذِهِ دِيُونٌ مَحْدُودَةٌ.

أَمَّا الدَّيُونُ الَّتِي لِلْأَفْرَادِ عَلَى الْأَفْرَادِ؛ فَلَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْحَجِّ حَتَّى يَسْتَأْذِنَ فِيهَا الدَّائِنَ، يَقُولُ لَهُ: أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَحُجَّ، وَعَلَيَّ لَكَ عِشْرِينَ أَلْفًا أَوْ أَكْثَرُ أَوْ أَقَلٌّ؛ هَلْ تَسْمَحُ لِي؟ فَإِذَا سَمَحَ لَهُ فَلَا حَرَجَ، وَلَكِنْ هُنَا شَرْطٌ أَيْضًا، الدَّائِنُ قَدْ يَسْمَحُ لَهُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ ظُرُوفَهُ، وَلَكِنْ هُوَ يَعْرِفُ ظُرُوفَ نَفْسِهِ، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْحَجَّ سَيُعْجِزُهُ عَنِ الْوَفَاءِ بِالْدَّيْنِ؛ فَلَا يَكْفِي أَنْ يَسْمَحَ لَهُ الدَّائِنُ، لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هُوَ وَاثِقًا مِنْ نَفْسِهِ بِالْقُدْرَةِ عَلَى أَدَاءِ هَذَا الدَّيْنِ، عِنْدَهُ مَوَارِدٌ مَعِينَةٌ يَنْتَظِرُ مِنْهَا، عِنْدَهُ مَصَادِرُ دَخْلٍ يَتَوَقَّعُهَا، وَيَعْرِفُ أَنَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَيَسُدُّ الدَّيْنَ، إِلَى هَذَا الْحَدِّ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ شَدَّدُوا الْإِسْلَامَ فِي حَقِّقِ الْعِبَادِ.

إِنَّ الْحَجَّ فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ، وَشَعِيرَةٌ لَا نَظِيرَ لَهَا، هِيَ شَعِيرَةٌ قَدِيمَةٌ جَدِيدَةٌ، مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ \* وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٦ - ٢٨].



﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ﴾: هذا الحج ليس لله تعالى حاجة فيه، الله غني عن العباد، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

الله غني عن عباده، وإذا فرض عليهم فرائض؛ فإنما ذلك لمصلحتهم، ليرقى بهم، لتزكو أنفسهم، ليرتقوا في معارج الرقي الروحي والنفسي والأخلاقي إلى ربهم، لتحقيق لهم منافع اجتماعية بهذه العبادات، فالله ﷻ إذا فرض علينا عبادة من العبادات؛ فليس ذلك لمنفعته، فهو لا تنفعه طاعة المطيع، كما لا تضره معصية العاصي، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

فرض الله علينا الصلاة لأنها تنهانا عن الفحشاء والمنكر، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وفرض علينا الزكاة ليطهرنا ويزكينا بها، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وفرض علينا الصيام لعلنا نتقي الله، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وفرض علينا الحج لما فيه من منافع، ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾، هناك منفعة مؤكدة للإنسان المسلم، وللمجتمع المسلم، وللأمة المسلمة.

الإنسان المسلم يعود بعد الحج أزكى نفساً، وأطهر قلباً، وأكثر تصميمًا على فعل الخير، والبعد عن الشر، هذا ما نشهده في عموم الناس، أن الإنسان بعد الحج أفضل منه قبل الحج، الحج يعطيه شحنة روحية نفسية عاطفية، يُزوده بهذه الشحنة ليدخل بها معركة الحياة، فهذا من أثر هذه العبادة العظيمة.



## الذكريات الإبراهيمية والذكريات المحمدية:

الحج عبادة في أرض بارك الله فيها للعالمين، في أرض تهبُّ عليها الذكريات الإبراهيمية من بعيد، والذكريات المحمدية من قريب، يذكر المسلم إبراهيم وابنه إسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت، ويدعوان الله: ﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ \* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨].

المسلم بإيحاء هذه العبادة، وبقوة الجماعة التي يراها، وبهذا الدعاء الذي يشقُّ عنان السماء: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، بهذه الأعين التي تزرع العبرات عند الملتزم، وفي الطواف بالبيت الحرام، هؤلاء الخاشعون المخلصون يراهم الإنسان العادي فيتأثر قلبه، وينفعل وجدانه، وتقوى إرادته، فالإنسان ليس حجراً صلباً، إنما هو مشاعر وعواطف وأحاسيس، هذه الرحلة العظيمة تُعلم المسلم ذلك، وتعيده بهذه الشحنة الروحية العاطفية.

## توسيع أفق المسلم الثقافي:

ومن ناحية أخرى: الحج يُوسّع أفق المسلم الثقافي، الإنسان الذي يعيش في قريته أو في بلده، وبين أهله وأقاربه لا يعرف شيئاً عن العالم من حوله، فيأتي الإسلام لينقله بالحج من هذه المحلية إلى العالمية؛ فيرى الناس من كل الألوان، وكل الأجناس، وكل الأقاليم، وكل الطبقات، وكل اللغات، يرى هذا وقد قدم من الصين، وهذا وقد قدم من جنوب أفريقيا، وهذا من أستراليا، وهذا من البرازيل، وهذا من آسيا، وهذا من أوروبا، وهذا من أفريقيا، هذا من شرقها، وهذا من غربها، وهذا من جنوبها، وهذا من شمالها، وهذا من وسطها، فينتقل المسلم من

أفق إلى أفق بهذه العبادة، ويعلم أن دينه ليس دينًا محليًا، بل هو دين عالمي، وأن إخوته من المسلمين في كل بلاد العالم، فالحج نقلة نوعيّة للإنسان المسلم.

### الحج تعليم عملي لمبادئ الإسلام:

ثمّ الحج بعد ذلك تعليم عملي لمبادئ الإسلام، تدريب للمسلم على المبادئ العليا، والقيم الرفيعة التي جاء بها الإسلام، خصوصًا القيم الاجتماعية: الإخاء، والمساواة، والوحدة، والسلام، هذه القيم تتجسد في الحج تجسدًا كاملاً.

تتجلى المساواة في الحج، صحيح أن المسجد يحقق المساواة، ولكن يبقى الناس فيه متفاوتين في أزيائهم المختلفة، فهذا يلبس عمامة، وهذا يلبس غترة وعقالًا، وهذا يكشف رأسه، وهذا يلبس بزّة أفرنجية، وهذا يلبس قميصًا وبنطلونًا، وهذا يلبس جلبابًا، هذا يلبس ثيابًا غالية الثمن، وهذا يلبس ثيابًا بدراهم معدودة، فيظل هناك قدر من التفاوت.

ومن هنا أراد الله ﷻ أن يزيل هذا التفاوت في الحج؛ فيلبس الحاج ملابس لا تدخلها الصنعة. هناك بعض الفلاسفة قالوا: الإنسان يحتاج في بعض الأوقات أن يعود إلى نقاء الطبيعة وإلى طهرها.

نادى بذلك (روسو) وغيره من الفلاسفة الغربيين، ولم يستطيعوا أن يحققوا ذلك، ولكن الإسلام حقق ذلك بفريضة الحج، عُدّ إلى الطبيعة، البس ثيابًا في غاية التواضع، كلها ثياب بيضاء، وليس فيها صنعة، لم تدخل فيها يد الخياط الذي يفرق بين الناس (بتزييناته) وزخرفته، ملابس تعود إلى الفطرة، إلى الطبيعة، فهذا يُعلّم الإنسان المساواة بغيره،

تتحقق بهذا المساواة بين الناس، فأنت في عرفة أو في الطواف أو في السَّعي بين الصفا والمروة لا تفرق الأمير من الوزير من الغفير، كلهم سواسية، فالحج يُعلِّم المساواة.

كما تتجلى الوحدة في الحج، وحدة المسلمين، أن المسلمين أمة واحدة، المسلم يسمع ذلك من الخطباء ومن الوعاظ، وفي الحج يرى هذه الوحدة، أمة ربها واحد، ونبیها واحد، وكتابتها واحد، وقبيلتها واحدة، وشعائرها واحدة؛ ما الذي يمنعها أن تتوحد؟ إنه يرى ذلك مُجسِّداً في فريضة الحج.

وفريضة الحج رحلة سلام، هي رحلة سلام في أرض السلام، في زمن السلام؛ هي رحلة سلام بالإحرام، امتنع المسلم عن أي شيء فيه إيذاء لغيره، حتَّى الجدال، وحتى الصيد، لا يصيد لنفسه ولا لغيره، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]، ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦]، حتَّى قطع الحشائش في تلك الأرض لا يجوز، حتَّى لا يحلق شعره، ولا يُقلِّم أظفاره، هذه الآلات لا يستخدمها، إنَّه سلِّم لكل ما حوله، ومن حوله.

النَّاس في عصرنا ينادون بالسلام، وهذا الحج يُعلِّم المسلم هذا السلام في أرض السلام، مكان مَنْ دخله كان آمناً، حتَّى قال عمر: لو رأيتُ فيه قاتل أبي ما مسَّته يدي<sup>(١)</sup>. الحجُّ رحلة أمن وسلام في أرض السلام، في زمن السلام، في الأشهر الحرم، ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

(١) رواه عبد الرزاق في المناسك (٩٢٢٨).



هذا هو الحج، هو هذه الفريضة العظيمة، هو هذا المؤتمر العظيم الذي دعا إليه الله تبارك وتعالى، ولَبَّاهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ، وَمِنْ كُلِّ فَجٍّ عميق، كما قال الرسول ﷺ: «الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفَدُّ اللَّهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوا، وَسَلَّوَهُ فَأَعْطَاهُمْ»<sup>(١)</sup>. هم وفود الله وَجَّكَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، إِلَى أَرْضِ اللَّهِ، هذه هي الفريضة العظيمة، الَّتِي نَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَكْتُبَهَا لَنَا، وَأَنْ يَكْتُبَ لَنَا حَجًّا مَبْرُورًا، وَسَعْيًا مَشْكُورًا، وَذَنْبًا مَغْفُورًا، وَتِجَارَةً لَنَا تَبُورُ. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

(١) رواه البزار كما في كشف الأستار (١١٥٣)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١٦٩٧): رواه ثقات. وكذا قال الهيتمي في مجمع الزوائد (٥٢٨٨)، عن جابر.



## من فقه الحج (٢) (١)

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

أتحدث إليكم اليوم عن شعيرة الحج، هذه الشعيرة العظيمة التي هي إحدى عبادات الإسلام الأربع، وهي أحد أركان الإسلام الخمسة، وهي عبادة قديمة جديدة من عهد إبراهيم عليه السلام حينما أمره ربه فقال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

هذه العبادة القديمة الجديدة، افترضها الإسلام على المسلم المستطيع إليها سبيلاً في العمرة مرة واحدة، هناك عبادات يومية كالصلوات خمس مرات في اليوم، وهناك عبادة سنوية كالصيام في شهر رمضان، وكالزكاة الحولية، وهناك زكاة تتكرر مع موجبها كزكاة الزرع، ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وهناك فريضة عُمرية، عبادة في العمر مرة واحدة، وذلك لما فيها من جهد ومشقة وبذل مال؛ فرحمنا الله وَجَعَلَ بأن كلفنا بها مرة واحدة في العمر.

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٣ مارس ٢٠٠٠م.

كان السلف رضوان الله عليهم إذا أدّى الإنسان صلوات يومه في أوقاتها؛ بخشوعها وركوعها وسجودها، كاملة مطمئنة قالوا: استقام له ميزان اليوم. وإذا أدّى صلاة الجمعة كما ينبغي له قالوا: استقام له ميزان الأسبوع. وإذا صام رمضان وقامه إيمانًا واحتسابًا قالوا: استقام له ميزان السنة. فإذا أدّى الحج كما ينبغي، وكان حجًا مبرورًا قالوا: استقام له ميزان العمر.

الصلوات الخمس ميزان اليوم، والجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام، والحج ميزان العمر، ولهذا كان السلف يحرصون أن يكون حجهم مبرورًا، وفي الحديث الصحيح: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»<sup>(١)</sup>.

### ما هو الحج المبرور؟

لكي يكون الحج مبرورًا لا بدّ أولًا أن تنوي الحج متجردًا لله تبارك وتعالى، ليس في نيتك شوب آخر غير مرضاة الله، لا تحج من أجل التجارة، يمكن أن تتاجر، ولكن لا بدّ أن يكون أصل نيتك الحج لله، لا تحج رياءً أو سُمعة حتّى يقول الناس: الحاج فلان. أن تحج لله، تجريد النية أول ما يُطلب في الحج المبرور.

ولكي يكون الحج مبرورًا لا بدّ أن تكون نفقتك من حلال، أن تتحرّى أن تحج بمال حلال، فهذا ما يحرص عليه المسلم، يبحث عن مال لا شبهة فيه، يعرف أنّه جاءه من كسب طيب، ويحج به؛ لأنّه يعرف أنّه إذا حج من مال حرام؛ فقد دنس حجه، كما قال الشاعر:

إذا حَجَّجْتَ بِمَالٍ أَضْلُهُ دَنْسٌ      فما حَجَّجْتَ وَلَكِنْ حَجَّتِ الْعِيرُ<sup>(٢)</sup>

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩)، كلاهما في الحج، عن أبي هريرة.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري (٢/٢٩٦).

الجمال الذي ركبته، أو السيارة التي ركبتها، أو الطائرة التي ركبتها هي التي حجّت، أنت لم تحج!

وفي بعض الأحاديث: أنّ الرجل إذا حجّ بمال حرام، وقال: لبيك اللهم لبيك. قيل له: لا لبيك ولا سعديك، وحجك مردود عليك، ارجع مأزورًا غير مأجور<sup>(١)</sup>.

ولهذا فالذين يكسبون المال بالحق وبالباطل، من حلال ومن حرام، ثمّ يريدون أن يطهّروا أنفسهم بالحج، لا، الحج لا يطهّرك من الحرام، الحج يكفر ذنوبك كلها إلا ما كان من حقوق العباد.

صحيح أنّ النبي ﷺ قال: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ مِنْ ذَنْبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»<sup>(٢)</sup>. ولكن هذا في غير التّبّعات وحقوق العباد، ولا سيما الحقوق الماليّة، فقد جاء في الصحيح: أنّ الشهادة في سبيل الله، مَنْ قُتِلَ شَهِيدًا فِي الْمَعْرَكَةِ أَمَامَ الْكُفَّارِ يُغْفَرُ لَهُ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»<sup>(٣)</sup>. والحج ليس أفضل من الشهادة، الشهادة هي أعظم ما يؤتاه الإنسان المسلم، فالحج المبرور أن تُجرّد نيتك لله، وأن تُجرّد نفقتك من الحرام والخبيث.

ولكي يكون الحج مبرورًا لا بدّ أن تبتعد عن الرفث والفسوق والجدال في الحج، كما قال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

يجب أن يُنزّه الحاج لسانه في فترة الإحرام عن الرفث، وهو ما يتعلق

(١) سبق تخريجه ص ١٠٣.

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري في جزاء الصيد (١٨١٩)، ومسلم في الحج (١٣٥٠)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في الإمامة (١٨٨٥)، وأحمد (٢٢٥٨٥)، عن أبي قتادة.



بالأمور الجنسيّة أو أمور النساء ونحوها، وأن يتنزّه عن الفسوق عن المعاصي بصفة عامة، والمعاصي مُحَرَّمَةٌ في كل وقت، ولكنها في وقت الإحرام تكون أشد حرمة، وأن تنزّه عن الجدال في الحج، لا يجادل الحاج رفيقه، يجب أن يكون سَمَحًا مُيسِّرًا لا مُعَسِّرًا، ولا ملحاحًا ولا متشدّدًا حتّى تمضي هذه الرحلة بسلام، ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ولكي يكون الحج مبرورًا لا بدّ أن يؤدّي الحاج أركان الحج كما ينبغي، لا يُضَيِّع فرضًا من فروضه، وبذلك يكون حجه مبرورًا، وهذا ما يتمناه النّاس حينما يُهنّؤون الحاج، ويقولون له: حج مبرور، وسعي مشكور، وذنب مغفور. هذا هو الحج الذي ليس له جزاء إلاّ الجنّة.

### لماذا فرض الله الحج؟

ولماذا فرض الحج إلى هذا البيت: البيت العتيق، أو البيت الحرام، أو الكعبة؟

فرض الله الحج لحكم وأسرار كبيرة، وفرضها إلى هذا البيت خاصّةً لأنّه أوّل بيت وُضِعَ في الأرض لعبادة الله وحده، فهو رمز التوحيد، ورمز العبادة لله تبارك وتعالى حينما رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل قائلين: ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

### الحج عبادة بدنيّة ماليّة:

قسّم العلماء العبادات الإسلاميّة إلى أنواع ثلاثة، قالوا: هناك عبادة بدنية يؤديها الإنسان بجهد البدني، مثل الصلاة والصيام، وهناك عبادة ماليّة، مثل الزكاة والصدقات، وهناك عبادة بدنية وماليّة، وهي الحج، وكذلك الجهاد.

الحج عبادة بدنية مائيّة، يشترك فيها البدن، يشترك فيها اللسان بالتلبية والذكر، ويشترك فيها القلب بالنية، ويشترك فيها البدن بتحمّل المشقات، الحج سفر من بلد إلى بلد، وبعض الناس قد يسافر من بلاد بعيدة، وفي الزمن الماضي كان الحج شاقًا على الناس.

ذكر الإمام النسفي: أَنَّ رجلاً كان يطوف بالبيت وينشد الأشعار ويقول:  
زُرْ مَنْ تَحُبُّ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ      وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حُجْبٌ وَأَسْتَارُ  
لَا يَمْنَعُكَ بُعْدٌ عَنْ زِيَارَتِهِ      إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ

فعرف مَنْ سمعه أَنَّهُ جاء من بلاد بعيدة، وسأله: مِنْ أَيِّ البلاد أنت؟ قال: من كذا في الصين. قال: ومتى خرجت من بلدك؟ قال: أترى رأسي الآن؟ قال: نعم، أراه أبيض ليس فيه شعرة سوداء. قال: خرجت من بلدي وما في رأسي شعرة بيضاء، والآن لا ترى فيه شعرة سوداء<sup>(١)</sup>.

كان الواحد ينزل من بلد إلى بلد ويشغل فيها ليجمع بعض المال، ليس عنده من المال ما يكفي فيشتغل سنة، ثم ينتقل إلى بلد أقرب ويشغل فيه سنة، وهكذا حتّى يصل إلى البيت الحرام، الآن الناس يصلون في ساعتين أو في ثلاثة، أو في خمس، أو في عشر، أو حتّى في أربعة عشر ساعة لو جاء من نيويورك إلى جدة، سهلت الأمور.

ولكن المقصود من الحج أن يتعوّد الإنسان المشقّة، لماذا لم يجعل الله الحج إلى جبال لبنان أو سويسرا، وجعله في واد غير ذي زرع، وبين هذه الجبال؟ مهما حاولت أن تستروح لا تستطيع، ماذا تفعل في منى المحدودة، وفي مكة بين هذين الجبلين؟ يظل الإنسان محكوماً بهذه

(١) تفسير النسفي (٤٣٦/٢).

البيئة القاسية، التي تكون غالب أيام السنة شديدة الحر؛ ليتعود المسلم المشقة، وليتعود الحياة العادية غير المُرْفهة.

بعض الناس يقول: إذا غيّرت مكاني لا أنام، إذا لم أنم إلى الجهة الفلانية لا أستطيع النوم، إذا لم أنم على وسادة صفتها كذا لا يمكنني النوم. لا، لا بد أن تتعود الحياة الكشفية، حياة الكشافين والجوّالين، تنام على التراب، على الحجر، على ما تيسر لك، هذه هي حياة التنقل، ولذلك تنتقل من منى إلى عرفات إلى مزدلفة، إلى منى إلى مكة، كل هذا في وقت قصير ليتعود الناس الحركة، ويتعودوا السعي، ويتعودوا تحمل المشقات، الإنسان المُرْفه الذي وصفه الشاعر بقوله:

خَطَرَاتُ النَّسِيمِ تَجْرَحُ خَدَيْهِ ۖ وَلَمَسُ الْحَرِيرِ يُذْمِي بَنَانَهُ<sup>(١)</sup>

هذا لا يصلح لدين ولا يصلح لدنيا، ولذلك الإسلام يريد أن يُعوّدا كيف نتحمّل الحياة بوردها وشوكها، بسرّائها وضرّائها، بنعمائها وبأسائها، بليونتها وخشونتها، هذا ما ينبغي أن يتعود عليه الإنسان في الحياة، ولذلك فرض الإسلام هذه العبادة التي يدخلها الإنسان بكيانه كله، بعقله، وقلبه، ولسانه، وجهده، وماله، وكل ذلك لله تبارك وتعالى.

### الحجُّ عبادة فيها تحقيق كمال العبوديّة لله:

الحجُّ عبادة عظيمة فيها كمال العبوديّة لله تبارك وتعالى تُعوّد الإنسان معنى التَّعَبُّد، ما معنى التَّعَبُّد؟ التَّعَبُّد أن تمتثل أمر ربك؛ ولو لم تعرف حكمته، وتقول: سمعنا وأطعنا. هذه هي العبادة الحقيقية.

(١) البيت لشهاب الدين العزّازي، كما في نفع الأزهار في منتخبات الأشعار لشاكر بن مغاسم البتلوني ص ٩٠، تحقيق إبراهيم اليازجي، نشر المطبعة الأدبية، بيروت، ط ٣، ١٨٨٦م.

ولذلك ليس من الضروري أن تعرف الحكمة من كل شيء، لماذا الطواف بالبيت؟ ولماذا كان سبعا؟ ولماذا كانت الكعبة عند الطواف على شمال الإنسان وليست عن يمينه؟ ولماذا كان الطواف سبعا بين الصفا والمروة؟ ولماذا رمي الجمار؟ ولماذا؟ ولماذا؟ لا تستطيع أن تجيب بالتفصيل عن هذه الأشياء.

يمكن أن يحاول الإنسان استنباط بعض الحُكَم والأسرار، ولكنها مجرد تخمين، إنما المهم أن المسلم يفعل ذلك ممتثلاً أمر ربه، الرب يقول: أمرت. والعبد يقول: سمعت وأطعت. هذه هي العبودية الحقيقية، ولذلك نرى في الحج كثيرا من هذه العبادات التي الأصل فيها التعبد، ولا عبادة بغير هذا، أن تتعبد ممتثلاً لأمر ربك.

قال الشيخ الغزالي: المريض لا يسأل طبيباً حينما يصف له دواء: لماذا كان هذا قبل الأكل، وكان هذا بعد الأكل، ولماذا كان هذا حبوباً، وكان هذا شرباً، ولماذا كان هذا نصف ملعقة، وكان هذا ملعقة؟ لا يسأله عن هذا؛ لأنه لا يعرف ولا يستطيع أن يفهم، هذا سرُّه عند الطبيب، والله هو طبيبك، هو يعرف دواء دائك، وشفاء مرضك، فإذا وصف لك شيئاً فخذهُ مُقتنعاً مستيقناً بأن فيه الدواء والشفاء والخير كل الخير.

### الحجُّ تدريبٌ عمليٌّ على قيم الإسلام:

#### قيمة المساواة:

الحجُّ تدريبٌ عمليٌّ على قيم الإسلام، من هذه القيم قيمة المساواة، جاء الإسلام بمبدأ المساواة بين الناس، النَّاس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، هذه حقيقة ومبدأ نظري، ولكن يجب أن يُطبَّق عملياً.

يُطبَّق هذا المبدأ في الصلاة، فليس في الصلاة تمييز بين الناس بعضهم وبعض، مَنْ وصل مُبَكَّرًا أخذ مكانه في الصف الأوَّل، ليس عندنا نحن المسلمين أنَّ الصف الأوَّل للوزراء، والصف الثاني لوكلاء الوزراء، والصف الثالث لمديري العموم، والصف الرابع لموظَّفي الدرجة الأولى، ليس عندنا هذا، وإنَّما خذ مكانك حيث تصل، هذا هو الإسلام.

ولكن مع هذا في الصلاة وفي المسجد يظل هناك نوع من التفرقة بين الناس، هناك مَنْ يلبس (الدشداشة والغترة)، وهناك مَنْ يلبس البدلة والحلَّة، وهناك مَنْ يلبس الجُبَّة والعِمامة، وهناك مَنْ يلبس على رأسه شيئًا ومَنْ لا يلبس شيئًا، يظل هناك اختلاف بين النَّاس في هذه الأشياء، الَّتِي تُنبئ عن أزياء البلاد، أو أزياء الطوائف.

أمَّا في الحج فإن هذه الفوارق تذوب كلها، يلبس الجميع هذه الملابس البيضاء البسيطة، الَّتِي هي أشبه ما تكون بأكفان الموتى، لا تعرف أميرًا من مأمور، ولا تعرف رئيسًا من مرؤوس، ولا تعرف غنيًا من فقير، إذا لقيت الجميع في عرصات عرفات لا تكاد تُميِّز بين هذا وذاك.

هذا ما أَراده الإسلام: المساواة الحقيقية، في هذا الوقت يلبس الإنسان هذه الثياب، وَيَحْرَم عليه أن يتطيَّب، حتَّى لا يظهر هذا برائحته الفواححة، ويتميِّز بها عن غيره، لا، فالحج تدريب على المساواة الحقيقية في هذا الموسم العظيم.

### قيمة السلام:

وفي الحج أيضًا تدريب على قيمة السلام، النَّاس في عصرنا يدعون إلى السلام، ويظنُّون أنَّهم أتوا بالجديد، وقد دعا الإسلام إلى السلام، حتَّى إن

مادة السلام هي مادة الإسلام، وتحيّة المسلمين في الدنيا والآخرة السلام، في الدنيا: السلام عليكم. وفي الآخرة: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]. والجنة دار السلام، ومن أسماء الله تعالى: السلام، ولذلك تفرّد المسلمون بهذا الاسم (عبد السلام)، أي عبد الله تبارك وتعالى.

ولكن ليس المهم أن تنادي بالسلام نظريًا، المهم أن تحقق السلام عمليًا، والحج رحلة تدريب على السلام، أن تكون مسالمًا لمن حولك وما حولك، لرفقائك من حولك، حتى الجدال ممنوع، لا تجادلهم لتكون رحلة سلام وسماحة.

وكذلك أرض الحرم التي تحج إليها لا يجوز أن تصيد فيها صيدًا أو طيرًا، أو وحشًا أو غير ذلك، هذا مُحَرَّم عليك، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْلُكُوا الصَّيْدَ وَاتَّمَّ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُم﴾ [المائدة: ٩٤، ٩٥]، فالمسلم مسالم حتى للصيد وحتى للطير، وحتى للحشائش في هذه المنطقة، الآن يتحدثون عن مناطق المحميات الطبيعية، الإسلام هو أول من فرض هذه المحميات الطبيعية في أرض الحرم، هذا كله ليعيش المسلم معنى السلام الحقيقي، قال الله تعالى عن الحرم: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. الأمن المطلق هو في هذه الأرض، ﴿وَأَمْنُهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قریش: ٤]، فرحلة الحج تدريب على السلام.

### أفق العالمية:

والحج يخرج المسلم من دائرة المحليّة إلى أفق العالمية، تصوّر قرويًا يعيش في صعيد مصر، أو بدويًا يعيش في الصحراء الغربيّة أو



الشرقية، أو في الجزيرة العربية أو في الخليج؛ لا يعرف إلا محيطه الضيق الخاص، فيأتي الإسلام وينقله إلى هذه الأرض ليرى الناس وقد جاؤوا من المشارق والمغارب مختلفي العروق، ومختلفي الألسن ومختلفي الطبقات، إنه يعيش عالمًا جديدًا، لا بد أن يخرج من هذه المحلية الضيقة إلى هذه العالمية الواسعة، التي هي شأن الإسلام، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

إن الحاج قد جاء ليكون عضوًا في هذا المؤتمر الرباني العالمي، الحج هو ذلك المؤتمر السنوي، الذي لم يدع إليه ملك أو رئيس أو أمير، إنما دعا إليه الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ \* لِّشَهِدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

المسلم يعيش في هذا الموكب الرباني الإيماني، هذه الجموع الحاشدة، هذه المسيرة المليونية أو أكثر من مليونية، في بعض السنوات قاربت ثلاثة ملايين، جاؤوا من كل حذب وصوب، ربهم واحد، ورسولهم واحد، وكتابهم واحد، وشعائهم واحدة، وأزيائهم واحدة، وحداؤهم واحد: مُرَدِّدًا مع إخوانه: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شريك لك لَبَّيْكَ.

ذَوَّبَ الإسلام الفوارق بين هذه الأجناس والألوان؛ فلم يبقَ إلا أمة واحدة شعارها الأخوة الإيمانية، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، هناك في الحج تذوب تلك العصبية القومية والإقليمية، هذا قطري، وهذا خليجي، وهذا مصري، وهذا سوري، وهذا مغربي، وهذا شامي، وهذا باكستاني، وهذا هندي، وهذا تركي؛ ما الذي جمع الشامي مع المغربي؟ وما الذي جمع الخليجي مع الباكستاني مع الإندونيسي؟

إنَّه الإسلام جاء يثبت هذا المعنى وهذه الحقيقة، أنَّ المسلمين حيثما كانوا أُمَّة واحدة، «يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»<sup>(١)</sup>. فإذا نسوا هذه الحقيقة يجب أن يذكروها في هذا الموسم، يتذكروا أنَّهم أُمَّة واحدة؛ لأنَّهم إخوة جمعت بينهم العقيدة، ولا رباط أقوى من العقيدة، ولا عقيدة أقوى من الإسلام.

### الحج ميلاد جديد:

وللحج أثره في نفس صاحبه، وهذا ما لمسناه ونلمسه دائماً، أنَّ الحاج يولد ميلاداً جديداً كما أشار الحديث: «كيوم ولدته أمه». كأنما هو مولود جديد، ولهذا نرى كثيراً من المسلمين العصاة يؤجِّل توبته حتَّى يحج، يقول: أنوي إن شاء الله أن أحج وأعود بنِّيَّة أخرى وحياة أخرى. كثير من النساء تقول لها: تحجبي ودعي هذا التبرج. فتقول: أنوي إن شاء الله أن أحج، وبعد الحج ألتزم! فللحج تأثيره في نفس الإنسان المسلم.

وهذا الأثر لمسه أحد المُبشِّرين الكبار، الذين قادوا حملة تبشيرية في مصر في أوائل القرن العشرين، كان للتبشير مطامح ومطامع في البلاد الإسلامية، حتَّى في مصر بلد الأزهر، وجرد حملة هائلة في أوائل هذا القرن لتدعو النَّاس إلى المسيحية، ولكنَّهم أخفقوا وفشلوا تماماً.

كان المبشرون يذهبون إلى القرية ويتحدثون مع النَّاس عن العذراء والمسيح والمعجزات وهذه الأشياء، والناس صامتون، وفي آخر الكلام يقول أحدهم: (وحدوه). فيرد الناس: لا إله إلاَّ الله. ويقول: صلوا على النبي. فيقولوا: اللهم صلِّ وسلِّم عليه!

(١) سبق تخريجه ص ٧٨.

ضاعت جهود التبشير في مصر؛ فكتب رئيس المُبشّرين في ذلك الوقت تقريرًا قال فيه: سيظل الإسلام صخرة عاتية، تتحطم عليها محاولات التبشير المسيحي؛ ما دام للإسلام في مصر هذه الدعائم الأربع: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي.

القرآن الكريم يقرؤونه صباح مساء ويُتلى عليهم، والأزهر بعلمائه المنتشرين في الآفاق، وفي القرى وفي المدن: يُعلّمون النَّاسَ ويعظونهم ويُفتونهم، واجتماع الجمعة الأسبوعي الذي يُجدّد إيمان المسلمين، ويربطهم بدينهم ويُذكّرهم بالله وبالأخرة، ثمّ مؤتمر الحج السنوي، يذهب المسلم العاصي إلى هذا المؤتمر؛ فيعود شخصًا آخر وخلقًا آخر، بإيمان جديد وعزم جديد، هذا ما لحظه هذا الرجل النصراني.

يا أيُّها الإخوة، إنّ الله أكرمنا بهذه العبادات الإسلامية، وخصوصًا الحج منها، وما وراء هذه الفريضة العظيمة من تلك المعاني الكبيرة.

بعض النَّاس يثيرون شبهات، يقولون: المسلمون يعبدون الحجر الأسود، ويعبدون الكعبة. وهذه افتراءات لا وزن لها ولا قيمة، المسلمون لا يعبدون إلّا الله وحده، وحينما طاف سيّدنا عمر بالبیت ووصل عند الحجر قال: أيُّها الحجر، إنّي أقبّلك وأنا أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك<sup>(١)</sup>. فهو يُقبّله اتباعًا.

ولماذا الطواف حول الكعبة؟ قلنا: لأنّها أوّل بيت للتوحيد، فالمسلمون يُعظّمون الكعبة لهذا المعنى، إنّها رمز التوحيد في الأرض، والحجر الأسود هو بداية المطاف، لا بدّ من مكان يبدأ النَّاس فيه الطواف فهو البداية، تبدأ من عند الحجر الأسود وتقول: بسم الله والله

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠)، كلاهما في الحج.

أكبر. لا باسم الحجر ولا باسم الكعبة، بسم الله والله أكبر، هذا هو شأن المسلم عند الطواف.

غير مرخصة للطباعة

### اللغة الرمزية في الحج:

ثم إنَّ الحج تغلب فيه اللغة الرمزية، واللغة الرمزية لغة عالميّة، نحن نعلم أنَّ الدول تهتم بشيء اسمه (العَلَم)، تنشُد النشيد الوطني وترفع علمها، وتأبى أن تُنكّسه إلّا في مناسبات معيّنة، ما هو العلم؟ قطعة قماش، ولكنها رمز لهذا البلد أو ذاك، فحينما يعظّم الإنسان هذا العلم لا يعظّم هذه القماشة، وإنّما هو يعظّم ما يرمز إلى بلده ووطنه الذي يعتز بالانتماء إليه.

وكذلك الحج تغلب فيه اللغة الرمزيّة، حينما يُقبّل الإنسان الحجر الأسود، أو يستلمه بيديه، أو يشير إليه من بعيد، معظم الحجاج في الزحمة الشديدة الآن يشيرون إليه من بعيد، هذا الأمر كما قال الشاعر العربي قديماً:

أمرٌ على الدِّيارِ ديارٍ لَيْلَى      أقبّل ذا الجِدَارَ وَذَا الجِدَارَا  
وما حبُّ الدِّيارِ شَغَفَنَ قَلْبِي      ولكنْ حُبٌّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارَا<sup>(١)</sup>

والإنسان حينما تأتيه رسالة من صديق أو حبيب أو كذا يمكن أن يُقبّلها، وما الرسالة إلّا ورقة مرت على ساعي البريد وعلى كذا، ولكن تقبيل الرسالة رمز للتعبير على حب وإعزاز من كتبها وأرسلها.

ورميّ الجمرات في الحج هو رمز لتجسيم الشر ومقاومة الشر، الذي تمثّله النَّاس في إبليس، ولذلك نرى النَّاس سمّوا الجمرات بأسماء، منها

(١) البيتان لمجنون ليلي، كما في خزانة الأدب (٢٢٧/٤، ٢٢٨)، تحقيق عبد السلام محمد هارون،

نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

إبليس الصغير، وإبليس الكبير، وإبليس (العود)، أو إبليس الجد، وإبليس الأب، وإبليس الابن، وبعضهم تأخذه الحماسة والتمثل؛ فيخلع نعله ويرميه به، وهذا لم يرد في الشرع، ولكن الشر تجسّد أمامه فهو يرميه بنعله، فهذه اللغة الرمزية يُعلّمها الإسلام للناس.

هذا الحج فريضة عظيمة، ينبغي لنا نحن المسلمين أن ننتفع بها، في تذويب الفوارق فيما بيننا، وفي تدارس أمورنا، يجب أن يجتمع أهل الرأي والحكمة من كل البلاد ليتباحثوا في أمورهم، وفي قضاياهم الكبرى، وفي قضاياهم المصيرية، هذا ما ينبغي للمسلمين أن يفعلوه، هذه فريضة عظيمة ينبغي لنا نحن المسلمين أن نحرص عليها.

### فرائض على الأمة أهم من الحج التطوعي:

ولكن أريد أن أؤكد معنى طالما كررته: هناك مسلمون يحرصون على الحج في كل عام، وأنا أقول لهؤلاء الذين يحرصون على التنفل بالحج: يمكنكم أن تتقربوا إلى الله بنوافل وعبادات أخرى، وأن تتركوا أماكنكم لغيركم؛ بدل أن ترحموا الحجاج بما ليس واجباً عليكم.

وهناك أمور أهم من الحج التطوعي، بل أراها فرائض على الأمة: إعانة البلاد الإسلامية: البلاد التي تجاهد من أجل حقوقها، الجائعون الذين يموتون من الجوع حقيقة لا مجازاً، واليتامى الذين لا يجدون كافلاً، والبلاد التي لا تجد مدرسة تتعلم فيها، والبلاد التي تتعرض لحمولات التنصير؛ وما أكثرها في ديار الإسلام! هذه البلاد كلها واجب علينا أن نعينها؛ فلماذا نحرص على أن نكرّر الحج، وهذه الفرائض تُطالبنا؟!

نحن هنا في قطر عندنا مشروع لخدمة الإسلام على الإنترنت (إسلام أون لاين)، ونحتاج إلى ملايين في السنوات الأولى حتى يستمر المشروع، ولا نجد مَنْ يُموّله؛ أليس هذا أولى من أن تذهب كل سنة لتحج وتزاحم الآخرين؟!

القاعدة الشرعية تقول: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ النَّافِلَةَ حَتَّى تَوَدَّى الْفَرِيضَةَ، وَمَنْ شَغَلَهُ الْفَرَضُ عَلَى النَّفْلِ فَهُوَ مُعْذَرٌ، وَمَنْ شَغَلَهُ النَّفْلُ عَلَى الْفَرَضِ فَهُوَ مُغْرَرٌ. لَا تُقْبَلُ مِنْكَ نَافِلَةٌ وَأَنْتَ تَارِكٌ فَرِيضَةَ، وَلِذَلِكَ قَالُوا: إِنَّ الْمَدِينِ لَيْسَ عَلَيْهِ حَجٌّ. لماذا؟ لأن عليه قبل أن يحج أن يسدد الدين.

نصيحتي إلى الإخوة الذين يكررون الحج أن يتبرّعوا بنفقات حجّهم إلى الجمعيات الخيرية، والمشروعات الإسلامية، والمؤسسات الإسلامية في بلادنا المختلفة، التي تحتاج إلى كل فلس ولا تكاد تجده!

أسأل الله تعالى أن يُفَقِّهَنَا فِي دِينِنَا، وَأَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، اللَّهُمَّ آمِينَ، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

\* \* \*







## الخطبة الثانية

أمّا بعد، أيُّها الإخوة المسلمون:

هناك أحداث كبيرة تمرُّ على أمتنا في هذه الأيام، يحتار الإنسان علام يُعلق عليه منها؛ وكلها ذات أهميّة؟

### قضية الشيشان:

أنعلق أيُّها الإخوة على مأساة الشيشان وما حدث لهم في ظل هذا الصمت العربي والإسلامي، وهذا الغياب العالمي، والتخاذل الغربي والأمريكي، وإطلاق العنان لروسيا المتجبرة الظالمة تفعل في هذا الشعب ما تشاء؟

وقد رأينا في الأيام الأخيرة مشاهد مذهلة لما صنعه هؤلاء القوم، المقابر الجماعية، النَّاس يرمون من فوق السيارات في الحفر، وهؤلاء الذين تجرُّهم السيارات وقد رُبطوا فيها تجرُّهم جرًّا، ولا أدري هل هم أحياء أم أموات؟ أغلب ظني أنّهم ربطوهم وهم أحياء انتقامًا من المقاتلين.

تمرُّ هذه المآسي وهذه المجازر البشريّة أمام أعيننا، ماذا نملك نحن المسلمين؟ لا نملك إلّا أن نجود ببعض الأشياء تذهب إلى المُشرّدين واللاجئين في الجمهوريات المجاورة للشيشان.

وماذا نفعل إلّا أن ندعو لهؤلاء الإخوة الصابرين المصابرين المرابطين، الأشاوس الأبطال، الذين أثبتوا أنّهم بإيمانهم أقوى من هذه الدبابات، وهذه الطائرات وهذه المصفّحات.

صحيح أنهم لم يستطيعوا أن يقاتلوا هذه القوة الهائلة، لكن مهما يكن من شيء لأنه إذا كان الله تعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥]. لكن لن يغلبوا ألفين، بل يغلبوا مائتين، الواحد بعشرة، ثم ليس هناك تكافؤ في الآلات والمعدات، فلا نملك أيها الإخوة إلا أن ندعو الله تبارك وتعالى لهؤلاء الإخوة: أن يشدّ أزهرهم، وأن ينزل عليهم السكينة، وأن يجعل العاقبة لهم إن شاء الله.

قد يقفون اليوم أو يقفون مدة من الزمن، ثم لا تلبث النار أن تشتعل؛ لأن الحق حق، جولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

طلب مني الإخوة في الشيشان أن أصدر لهم فتوى تحرم على مسلمي روسيا أن ينتخبوا هذا السفّاح المجرم (بوتين) رئيساً لروسيا، وكتبت الفتوى، وحاولت أن أرسلها إليهم؛ فلم تصل إليهم للأسف عن طريق الفاكس، وأنا أقول من هذا المنبر لإخوتنا، ولعل منهم من يسمعي أو يوصل إليهم أنه لا يجوز لمسلم في روسيا أن ينتخب هذا المجرم السفّاح الجزّار، الذي لا تزال يديه ملطختين بدماء المسلمين هناك، لينتخبوا غيره: مَنْ هو أقل منه شرّاً، وكل خصم هو أقل منه شرّاً، يجب أن يثبت المسلمون وجودهم، ولا يجوز لهم أن ينتخبوا هذا الجزّار المجرم رئيساً لروسيا.

### قضية فلسطين:

أحدثكم أيها الإخوة عن الشيشان؟ أم أحدثكم عن القضية القديمة الجديدة الدائمة: قضية فلسطين، وما يجري على ساحة فلسطين،

وما يجري في ساحة لبنان، وما يجري في الساحات الأخرى المتصلة بفلسطين، وكيف تسخر إسرائيل من الناس وتضحك عليهم، وتؤجل ما تؤجل، وتعجل ما تعجل.

إنّ السلام الذي تفرضه إسرائيل ليس سلامًا حقيقيًا، هو إملاء القوي على الضعيف، وللأسف لضعفنا وعجزنا ووهننا وتهافتنا: قبلنا هذا السلام، ومع هذا نقبله وهم لا يقبلون، ونتنازل في كل مرة عن جزء ممّا اتفقنا عليه، ثمّ يرجعون ويغدرون، ثمّ نتنازل مرة ثانية وثالثة، فإلى متى هذا؟!

ها هي إسرائيل تعربد في المنطقة: في لبنان تضرب البنية التحتية، وتضرب محطات الكهرباء، تضرب المدنيين لا تبالي؛ لأنها مسنودة من حليفها القوي أمريكا، لولا المال الأمريكي، ولولا السلاح الأمريكي، ولولا الفيتو الأمريكي ما استمرت إسرائيل، إسرائيل تضربنا بقوة أمريكا. وهي بالأمس تقتل عددًا من الفلسطينيين؛ بدعوى أنّهم كانوا يحضّرون لشيء، الله أعلم بهذا الكلام، وحتى لو كانوا كذلك فمن حقّ الفلسطينيين أن يفعلوا ما يستطيعون لمقاومة هذا الاحتلال الظالم، وهذا الكيان العدواني الغاشم.

من حقّ أي بلد مُحتل أن يدفع عدوّه المحتل بكل ما يستطيع، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ومن رحمة الله أنّه قال: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾. لم يطالبنا أن نعد مثل ما عند الأعداء، ليس عندنا ترسانة نووية، لكن علينا أن نعدّ ما استطعنا من قوّة، دافع عن نفسك، دافع عن أرضك، دافع عن عرضك، دافع عن مقدّساتك بكل ما تستطيع من قوّة، هذا هو الواجب علينا نحن المسلمين.

### كيسنجر مستشاراً لرئيس إندونيسيا:

عَلَامَ أَعْلَقَ أَيُّهَا الإخوة من قضايانا؟ لقد هَزَّنِي نبأ سَمَعْتَهُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ، أَنَّ الرَّئِيسَ الإِنْدُونِيسِي عبد الرحمن واحد عَيْنِ الْيَهُودِي الأَمْرِيكِيِّ العَتِيد (هنري كيسنجر) مستشاراً خاصاً له.

ما علاقة كيسنجر بإندونيسيا؟! وكيف يُعَيَّن هذا الرجل الذي يرأس أكبر بلد إسلامي رجلاً يهودياً أمريكياً معروفاً بتاريخه؛ ليكون مستشاراً خاصاً له، أي مصيبة هذه، وأيُّ بلوى هذه؟! إِنَّهَا بلوى كبيرة، ومصيبة عظيمة، ودليل على أَنَّ الصَّهْيُونِيَّةَ تخترقنا من مشرقٍ ومغرب، ومن شمال وجنوب، ونسأل الله السلامة والعصمة.

### الانتخابات الإيرانية:

من الأشياء الإيجابية في هذه الفترة أَيُّهَا الإخوة: الانتخابات الإيرانية وما أسفرت عنه، وهذا يدلُّنا على أَنَّ هناك في إيران حرية في أَنْ ينتخب النَّاسُ فلاناً أو علاناً، وَأَنْ يقولوا: نعم أو لا لهذا أو ذاك.

وهذا ما نحب أن نراه في بلادنا العربيَّة، للأسف لا نجد هذا في أيِّ بلد من بلادنا العربيَّة إِلَّا القليل، أحياناً في الكويت أو لبنان، ولكن معظم البلاد العربيَّة لا نرى فيها الحرية، الانتخابات فيها كما قيل عن الانتخابات في البلاد الاشتراكية: إِنَّهُ سباق يعدو فيه حصان واحد. ليس سباقاً بين عدة أحصنة، لا يوجد منافس آخر تنتخبه، هذا ما ينقصنا في بلادنا العربيَّة، فنحن نُحْيِي الشورى، ونُحْيِي الحرية، ونُحْيِي الانتخابات في إيران أَيَّْا كانت نتائجها، ونسأل الله ﷻ أَنْ يلهمهم الرشداً، وَأَنْ يسدّد لهم الخُطَا، وَأَنْ يهيئ للمسلمين جميعاً من أمرهم رشداً.

### وفاة العلامة الشيخ سيّد سابق:

أيّها الإخوة، نسيّت في غمرة الأحداث أن أنعى إليكم أحد علماء الأُمَّة وفقهائها العلامة الشيخ سيّد سابق، صاحب كتاب (فقه السُّنة)، وهو رجل داعية فقيه، عاش عمره في خدمة هذا الدين وخدمة فقهه، وكتب كتابه (فقه السُّنة) في ثلاثة مجلدات، وانتشر في أنحاء العالم، وطُبِع طبعات مشروعة وغير مشروعة؛ لأنّه يسدُّ فراغاً في المكتبة الإسلاميّة ويُعلّم المسلمين.

كان الشيخ سيّد أحد الدعاة إلى الله تبارك وتعالى، وله كتب أخرى في العقائد الإسلاميّة، وفي الدعوة الإسلاميّة، وقد فارق دنيانا كما فارقها عدد من علماء الأُمَّة في هذه السنة الأخيرة، فارق هذه الدُّنيا يوم الأحد الماضي، وصَلّت عليه الأُلوف في القاهرة، ونحن نودعه داعين الله تبارك وتعالى أن يتقبله في الصالحين، وأن يغفر له ويرحمه، ويجزيه عن دينه وإسلامه وعن العلم: خير ما يجزي العلماء العاملين، والدعاة الصادقين، اللهم آمين.

سنصلي عليه صلاة الغائب بعد صلاة الجمعة إن شاء الله، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبّت أقدامنا وانصُرنا على القوم الكافرين، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

\*\*\*





## الخليل إبراهيم عليه السلام (١)

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

في هذا اليوم يُصَلِّي نحو مليوني حاجٍّ من المسلمين والمسلمات في المسجد الحرام بالأرض المُقَدَّسة، وفي الغد يذهبون إلى مِنَى لِيُصَلُّوا بها الصلوات الخمس ويبيتون بها.

ثم في اليوم التالي يذهبون إلى صعيد عرفات ليقفوا هذا الموقف العظيم بين يدي الله تبارك وتعالى مُهَلِّلِينَ، وَمُكَبِّرِينَ، وَمُصَلِّينَ، وَمُتَضَرِّعِينَ، وداعين الله تبارك وتعالى أن يعود كل منهم بحجٍّ مبرور، وسعي مشكور، وذنب مغفور، وتجارة لا تبور.

### يوم الحج الأكبر:

وبعد ذلك يأتي يوم العيد: يوم الحج الأكبر.. يوم النحر، حين يفيضون من عرفات بعد غروب شمس يوم عرفة، ويذهبون إلى مزدلفة، ويذكرون الله عند المشعر الحرام، ثُمَّ يفيضون منها إلى مِنَى ليرموا جمرَةَ الْعَقْبَةِ، ويحلقوا أو يقصروا.

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْدَوْحَةِ، بِتَارِيخِ ٢ مَارَس ٢٠٠١ م.



ويستطيعون بعد ذلك أن يتحللوا التحلل الأول، ثم يذهب الحجاج بعد ذلك إلى مكة لطواف الإفاضة، وهو طواف ركن، ﴿وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

في هذه المشاعر والمناسك كلها - أيها الإخوة - نذكر رجلاً، هذا الرجل يذكره الناس كلما جاء الحج إلى بيت الله الحرام، وكلما جاء عيد الأضحى، هذا الرجل هو إمام الحنفاء، وأبو الأنبياء، وأسوة المؤمنين، خليل الرحمن: إبراهيم عليه السلام.

### شخصية إبراهيم عليه السلام :

لا بدّ لنا أن نقف عند هذه الشخصية، شخصية إبراهيم الذي اتّخذه الله خليلاً، ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، والذي قال الله تبارك وتعالى فيه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ \* شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ أَحَبُّنَهُ وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ \* ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢٣].

كان إبراهيم أمة وحده، كان الناس في كفة وهو في كفة، كان الناس على الوثنية والشرك وهو على التوحيد، كان إماماً في الخير، يُعلّم الناس الخير، ويدعو الناس إلى الله وحده، حتّى قال لامرأته سارة: ما على الأرض أحد غيري وغيرك يعبد الله وحده<sup>(١)</sup>.

وكان إبراهيم ﴿قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، مال عن كل أنواع الشرك إلى الإسلام، إلى التوحيد، ولذلك اعتبر رأس الملة الحنيفية،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٥٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣٧١)، عن أبي هريرة.

وكان من فضائله أَنَّ الله تعالى قال لأفضل أنبيائه وسيد رسله مُحَمَّد ﷺ : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. فنحن على الملة الحنيفة، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١]. ما كان إبراهيم من المشركين، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

علينا أن نقف أمام سيرة إبراهيم عليه السلام كما اتضحت لنا في المصدر الذي لا يضل ولا ينسى، المصدر المحفوظ المعصوم: القرآن الكريم، فهو السجل الحافل لهذا الرسول العظيم، نبي الحنيفة السمحة ومؤسسها: إبراهيم عليه السلام.

كان إبراهيم إمامًا في الدعوة إلى التوحيد، آتاه الله الحجة، ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]،

كان يحاج قومه، تنقل في التدرج معهم حتى وصل إلى التوحيد، حينما ظهر نجم في السماء قال: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]. ليس من شأن الإله أن يظهر ويغيب، ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾. ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٧، ٧٨]، هذه النجوم والكواكب التي تعبدونها، سواء كانت نجومًا في السماء تظهر ما بين الحين والحين، أو هذا القمر، أو تلك الشمس، كلها لا تصلح أن تكون إلهاً ومعبوداً للناس، ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، هذا هو المعبود الحق الذي اهتدى إليه.

لكن هذا لم يرضيهم منه فحاجوه: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدِنِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠]، وكانوا يُخَوِّفونه بأصنامهم أن تمسه بسوء، أو تناله بأذى، ويحذرونه من هذه الأصنام، فقال لهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١]. مَنْ الَّذِي يَأْمَنُ؟ وَمَنْ الَّذِي يَخَافُ؟! ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. هكذا حاج إبراهيم عليه السلام قومه بما آتاه الله من حجة دامغة، ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣].

### دعوة إبراهيم لأبيه لعبادة الله:

ودعا إبراهيم أباه آزر، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَا زَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]. بعض المفسرين يقولون: ليس أباه، وإنما هو عمه<sup>(١)</sup>.

وهذا خروج على الظاهر بلا ضرورة، فقد كرر القرآن في آيات كثيرة أنه أبوه: ﴿وَاعْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦]، ﴿وَمَا كَانِ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاقِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]. والآيات كثيرة تدل على أنه أبوه.

(١) ذكره الرازي في تفسيره، وجها من الوجوه ورده (٣٢/١٣)، نشر دار إحياء التراث العربي،

بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

وهذه سنّة الله، هناك الأب الكافر والابن المؤمن، مثل إبراهيم وأبيه، والأب المؤمن والابن الكافر، مثل نوح وابنه، والزوجة المؤمنة والزوج الكافر، مثل امرأة فرعون، والزوج المؤمن والزوجة الخائنة، مثل امرأة نوح، وامرأة لوط، هذه سنّة الله تبارك وتعالى.

ذكر القرآن في سورة مريم محاوره إبراهيم لأبيه، وهي محاوره تتسم بأدب البنوة مع الأبوة، وأدب الداعية مع الذين يدعوه: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۚ﴾ [مريم: ٤١، ٤٢]. لِمَ تعبد ما لا يدرك، ما ليست عنده أدنى أدوات الإدراك الحسي: السمع والبصر، ولا يدفع عنك ضرراً؟ ﴿يَتَأْتِيَ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۚ﴾ [مريم: ٤٣]. صحيح أنا صغير وأنت كبير، وأنا ابن وأنت أب، ولكن الله آتاني من العلم ما لم يؤتك، والمفروض أن يتبع الجاهل العالم، وإن يكن العالم أصغر سنًا أو أصغر مقامًا، ﴿يَتَأْتِيَ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۖ يَتَأْتِيَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۚ﴾ [مريم: ٤٤، ٤٥]، وإنما لا يعبد الشيطان لأنه هو الذي يدعو إلى الضلال وإلى الشرك، ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۖ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۚ﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۚ﴾ [مريم: ٤٦]، أترغب عن الآلهة التي يعبدها أبوك، وتتخذ لك إلهاً آخر غير آلهتنا؟! ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦]، ولأُسَبِّحَنَّكَ ولأُؤَذِّنَنَّكَ، ﴿وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]، واهجرني زمناً طويلاً.

ولكن إبراهيم عليه السلام لم يقابل كلمة أبيه - ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ - بمثلها، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]،

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِيلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥]. هذا هو شأن الدعاة: ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤٧، ٤٨]، عودني الله أن يجيب دعائي، ولا يتخلى عني، ﴿ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٩، ٥٠]، عوّضه الله عن إعراض أبيه بأن أعطاه ذريةً سالحة، أعطاه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، هكذا كان إبراهيم عليه السلام إمامًا في الدعوة إلى التوحيد.

### محاكاة إبراهيم عليه السلام لقومه:

لقد ناقش إبراهيم قومه، وجادلهم وأفحمهم، وقال: ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنبياء: ٥٢ - ٥٤].

ثم توعد هذه الأصنام التي يعبدها هؤلاء القوم: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٧]. فولّوا ذاهبين إلى عيد من أعيادهم بقضّهم وقضيضهم، وتركوا هذه الأصنام وحدها، وأرادوا أن يأخذوا إبراهيم معهم فتعلل وقال: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ فَنَوَلُّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿ [الصفات: ٨٩، ٩٠].

ثم ذهب إلى هذه الآلهة فوجد عندها الكثير من ألوان الطعام الطيب، فقال لهم: ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿ [الصفات: ٩١ - ٩٢]. عندهم أطعمة ولا يأكلونها، ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ [الصفات: ٩٣]، يكسرها بيمينه، ويحطمها بفأسه، ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاًّا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٨]، ترك الصنم الكبير وعلق الفأس في عنقه، قال: لعلمهم يظنوا أن هذا الصنم الكبير غار من هذه الآلهة الصغيرة التي حوله أن تُعبد معه، فقام وكسرها!



فرجع القوم ووجدوا آلهتهم جذاذاً وحطاماً، فقالوا: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٩]. فقال بعض القوم: ﴿سَمِعْنَا فِتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، كان إبراهيم فتًى شاباً، والشباب دائماً هم الذين يتحمسون لنصرة الحق، ولمقاومة الباطل، فقالوا: سمعنا فتًى يتوعددهم ويهددهم يسمّى إبراهيم، ﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٦١]، على مرأى ومسمع من الناس ليشهدوا أمره.

وهذا ما كان يريده إبراهيم، يريد أن يُحاجّهم على الملأ، على رؤوس الأشهاد، ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢]، فقال ساخرًا: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٦٤]، أحياناً يرجع الإنسان إلى الفطرة في لحظة من اللحظات، فرجعوا إلى فطرتهم، ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤]، بعبادة هذه الأحجار التي لا تبصر ولا تسمع، ولا تضر ولا تنفع.

ولكنهم لم يبقوا على هذه الفطرة إلا لحظات، ﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٦٥]، عادوا إلى طبيعتهم السيئة، وقالوا لإبراهيم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥]. أنت تعلم أنهم لا يتكلمون، فقال لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧]. ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧].

هنا حار القوم، لم يجدوا جواباً يجيبون به إبراهيم، فلمّا عجزوا عن قوّة المنطق لجأوا إلى منطق القوّة، وقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، ليس لهذا علاج إلا النار نُحرقه بها، وهذا هو منطق الطغاة دائماً، ليس أمامهم إلا القوّة إذا عجز منطقهم، وإذا ضعفت حجتهم لجأوا إلى القوّة والطغيان والغلبة، ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨].



وجمعوا حطبًا، وأَجَّجُوا نَارًا عظيمة، وتعاون النَّاسُ فيها، حتَّى كانت المرأة تدفع بِحُلِيِّهَا لِيشترى حطب حتَّى تتأجَّج النار، وحينما تأججت لم يستطيعوا أن يلقوا إبراهيم فيها، لاتساعها وامتداد حرارتها ولهيبها، فجاء من يخترع لهم حيلة المقلع، قيّدوا إبراهيم عليه السلام، وقذفوه بهذا المقلع في قلب النار.

ولكن الله سبحانه الذي يقول للشيء: كن. فيكون: أبطل مفعول النار، وقال للنار: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. تحوّلت النيران إلى روح ورياحين، وكانت بردًا وسلامًا على إبراهيم، ومن رحمة الله أنّه لم يقل: بردًا. فقط، وإلا آذاه بردّها وزمهريرها، ولكن قال: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ \* وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الْأَخْسَرِينَ \* وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ \* [الأنبياء: ٦٩ - ٧١]. هاجر من أرضه إلى أرض الشام، إلى أرض فلسطين، الأرض الّتي بارك الله فيها للعالمين، حينما آمن له لوط، وقال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

هكذا ضحّى إبراهيم بنفسه حينما ألقي في النار، قال ابن عباس: لم يكن له كلام حين ألقي في النار إلّا: حسبي الله ونعم الوكيل<sup>(١)</sup>. فكان الله حسبه، وكان الله كافيه، ولم يتخلّ عنه، وهكذا كلُّ مَنْ توكل على الله كفاه همّه، وأخذ بيده، ولم يدعه إلى خلقه.

### البشارة بالغلام الحليم:

ذهب إبراهيم إلى الشام، ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ \* رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ \* [الصافات: ٩٩، ١٠٠]، كان إبراهيم إلى ذلك الوقت ليس له ذريّة، وقد بلغ ما بلغ، فسأل الله تبارك وتعالى أن يهب له من الصّالحين، يُعوّضه عن أبيه وعن قومه الّذين أعرضوا عنه، والّذين شاقّوه، والّذين

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٥٦٤)، عن ابن عباس.

ألقوه في النار، ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، بشره الله بغلام حلیم، هذا الغلام الحلیم هو أوّل أولاد إبراهيم، ابنه البكر: إسماعيل عليه السلام.. غلام حلیم، وقد بدا حلمه وصبره في قصة الذبح المعروفة.

وُلِدَ إسماعيل بعد شوقٍ من أبيه، وبعد أن بلغ الكبر، كما قال الله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. والإنسان إذا رُزِقَ بمولود في الكبر تعلق قلبه به، فكيف إذا كان غلامًا؟ وكيف إذا بشرته الملائكة به؟ وكيف إذا كانت البشري بغلام حلیم؟ لا بدّ أن يتعلّق قلبه به أكثر وأكثر، وهكذا نما حبُّ إسماعيل في قلب إبراهيم، وكلما نما الغلام ازداد هذا الحب في قلب الأب، حتّى إذا بلغ معه السّعي، أصبح يخرج مع أبيه، ويدخل مع أبيه، ويعمل مع أبيه، شبّ عن الطّوق، وأصبح يُرتجى منه، هنالك جاء الامتحان الإلهي.

### الاختبار العظيم والبلاء المبين:

الله ﷻ يغار على قلوب أصفياه وأوليائه، فكيف بقلب خليله إبراهيم؟ إنّه يريد أن يكون هذا القلب لله وحده، فأراد أن يختبره بهذا الاختبار العظيم، البلاء المبين، فرأى إبراهيم في الرؤيا أنّه يذبح ولده، وفهم الإشارة، وعرف المقصود، ورؤيا الأنبياء حق ووحى، فجاء بولده وفلذة كبده وقُرّة عينه إسماعيل، وقال: ﴿يَبْنِيْٓ إِنِّيْ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّيْ أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: ١٠٢]؟ لم يشأ أن يباغت الغلام ويقطع رقبتة، ولكن أراد أن يشركه في الأمر، وأن يهيئ نفسيّته لأمر الله تبارك وتعالى حتّى يشركه في الأجر.

وهنا لم يكن في روعة موقف الوالد إلّا روعة موقف الولد، والولد سر أبيه،

ومن يشابه أباه فما ظلم

ذرية بعضها من بعض، هنالك قال إسماعيل لأبيه إبراهيم: ﴿يَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصفات: ١٠٢]. لم يتلعثم، ولم يتلگا، ولم يتردد، ولم يقل له: دعني يا أبي أفكر في الأمر، أعطني مهلة يومًا أو يومين، فليس الأمر بسهل، إنه يتعلق برقبتي وبحياتي، دعني أفكر. لا، بل قال: ﴿يَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾. حتى إنه لم يقل: افعل بي ما تؤمر. كأنما فني عن نفسه، نسي ذاته أمام أمر الله ﷻ، ﴿أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾، نفذ ما عندك من أمر الله، ولم يفعل ذلك ادعاءً للبطولة أو الشجاعة، بل استند إلى جدار مكين، واعتصم بحبل متين، وقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصفات: ١٠٢].

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصفات: ١٠٣]، أسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عنقه، أسلما جميعاً لله ﷻ، وأضجع إبراهيم إسماعيل ليذبحه، واستسلم الولد لأبيه تمامًا، هنالك جاءت البشرى من الله تبارك وتعالى، وناداه من فوق سبع سماوات: ﴿أَنْ يَتَابَرَهِيمُ﴾ \* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ [الصفات: ١٠٤، ١٠٥]، صدقت الرؤيا، فلم يكن المقصود إراقة دم الولد، إنما المقصود الطاعة لأمر الله، وقد أطعت وأطاع ولدك، فكان لا بد أن يكون جزاء ذلك فرجاً من الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿ [الطلاق: ٢، ٣]، هكذا انتهت هذه القصة، ﴿أَنْ يَتَابَرَهِيمُ﴾ \* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿ وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿ [الصفات: ١٠٤ - ١٠٧]، قالوا: «إنه كبش أبيض أعين أقرن»<sup>(١)</sup> من خيار الكباش ذبحه إبراهيم وفدى الله به إسماعيل، فداه

(١) رواه أحمد (٢٧٠٧)، وقال مخرجه: رجاله ثقات. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٧٥٩): رجاله رجال الصحيح، غير أبي عاصم الغنوي، وهو ثقة. عن ابن عباس.

الله بهذا، وشرع به سنة الأضحية، حينما نُضحِّي يوم العيد نذكر هذا الموقف البطولي الرائع من إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل.

### الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق:

حَرَّف أهل الكتاب وقالوا: إِنَّ الذبيح إسحاق. وكل الدلائل تدل على أَنَّ الذبيح هو إسماعيل، لأن هذا الأمر تم في مكة وحولها، ولم يكن إسحاق في مكة، بل كان في الشام، الَّذِي كان في مكة هو إسماعيل وأمه هاجر، حينما وضعهما إبراهيم ﷺ، وقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. هؤلاء هم الَّذِينَ كانوا عند البيت الْمُحَرَّم، فالقصة كلها جرت في مكة وحولها عند الصفا والمروة، ومنى وعرفات، هذه المنطقة كلها تُذكر بهذه الأحداث، ولذلك نحن حينما نطوف بالبيت الحرام نذكر باني البيت الحرام، إبراهيم وابنه إسماعيل، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ \* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨]. فالَّذِي بنى البيت هو إبراهيم وإسماعيل ﷺ.

### ذكريات إبراهيم ومواقفه تتجدد في الحج:

ولذلك فنحن نذكر إبراهيم ﷺ كلما طفنا بالبيت نذكر قول الله تعالى له: ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

نذكر إبراهيم عليه السلام ، ونذكر هاجر أم إسماعيل عند الصفا والمروة، وهي تسعى بينهما ذهابًا وإيابًا؛ حتَّى فجَّر الله لها ماء زمزم ليحيا صغيرها، ويشرب مَنْ حولها.

نذكر إبراهيم عليه السلام عند رمي الجمرات حينما عرَضَ له الشيطان وأراد أن يثنيه عن عزمه في ذبح ابنه، فرماه بحصيات سبعٍ عند جمرة العقبة، ثمَّ عند الجمرة الوسطى، ثمَّ عند الجمرة الثالثة، رماه في كل مرَّة بسبع حصيات، يرميه بها، ولذلك يقول سيِّدنا عبد الله بن عباس: الشيطان ترجمون، وملة أبيكم إبراهيم تتبعون<sup>(١)</sup>. فنحن نحيا هذه الذكرى، ونذكر أننا حين نرمي الشيطان بهذه الجمرات نتخيل الشر، ونتمثل الفساد والإفساد ونرميه، ولذلك يسمي النَّاس هذه المناسك: إبليس الكبير، وإبليس الصغير، وإبليس الأصغر. كأنهم يرون إبليس أمامهم، هذا تجسيد للشر.

### إبراهيم خليل الرحمن، وأسوة المؤمنين، وإمام الحنفاء، ووالد الأنبياء:

نحن نذكر أبانا إبراهيم عليه السلام دائمًا، وهو قدوة للمؤمنين، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كُفْرًا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، فهنا مفاصلة بين إبراهيم وقومه المشركين، وفيهم أبوه، ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤]، أي إن إبراهيم عليه السلام أسوة إلا في هذه القضية، فالاستغفار للمشركين لا يجوز، كما قال الله

(١) رواه الحاكم في المناسك (٤٦٦/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين.



تعالى: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]. ولكن الذي دعا إبراهيم أن يستغفر لأبيه أنه كان قد وعده بذلك، حينما قال له: ﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم: ٤٧]. ولذلك تقول سورة التوبة: ﴿ وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤].

### الذكر الطيب، والثناء الحسن لإبراهيم:

هذا هو خليل الرحمن، أسوة المؤمنين، إمام الحنفاء، ووالد الأنبياء، ومؤسس الملة الحنيفية الذي أمر الله رسوله أن يتبع ملته، والذي سأل الله وَعَلَىٰ فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ [الشعراء: ٨٣، ٨٤]. الذكر الطيب، والثناء الحسن، وهذا ما نراه، نحن حينما نُصَلِّي نقول: اللهم صل على مُحَمَّد وعلى آل محمد، كما صَلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على مُحَمَّد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. أي لسان صدق، وأي ذكر حسن أعظم من هذا الذكر، مئات الملايين يثنون على إبراهيم في كل يوم خمس مرَّات أو أكثر، إذا اقتصرنا على الصلوات الخمس، فكيف بالسنن؟ وكيف بالوتر؟ وكيف بقيام الليل؟ وكيف بصلاة الضحى والنوافل؟ هذا ثناء على إبراهيم، جعل الله له لسان صدق في الآخرين، وذلك جزاء ما بذل لله، وما ضحَّى لله، وما قام لله، فما كان لله لا يضيع أبدًا، فهذا هو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا على ملَّته الحنيفة، وأن يُحْيِيَنَا على الإسلام، وأن يَمِيتَنَا على الإسلام، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فادعوه يستجب لكم.



## الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

### الأمّة الواحدة في مواجهة التحديات:

لا توجد أمة تملك من الذخيرة الروحية، ومن الرصيد الإيماني ما تملكه أمتنا الإسلامية، العالم اليوم يتخلّى عن الدين، الكنائس تُباع في بلاد الغرب، وأهل الكنائس يشكون من قلّة روّادها، أقصى ما وصلت إليه الأرقام أن خمسة في المائة (٥٪) من المسيحيين في البلاد المتديّنة هم الذين يذهبون إلى الكنائس أيّام الأحاد، وليس كل هؤلاء يذهبون تدينًا وتعبّدًا، فكثيرًا ما يذهب هؤلاء لتغيير نمط الحياة الروتيني، وكثيرًا ما يلتقي الأصدقاء بعضهم ببعض، وكثيرًا ما يلتقي العاشق بمعشوقته في ذلك المكان، فليس كل الذين يذهبون إلى الكنائس متدينين.

الأمّة المتمسكة بدينها في الأرض - على ما فيها من علات، وما فيها من عيوب - هي الأمّة المسلمة، ونرى ذلك في مواسم الخيرات، انظر إلى المسلمين في أنحاء العالم وهم يصلون التراويح، أو يقيمون الليل في السحر طوال شهر رمضان، انظر إلى الذين صلوا في المسجد الحرام أو في المسجد النبوي في العشر الأواخر أو في ليلة السابع والعشرين من رمضان، ملايين من المسلمين يُقبلون على الله تبارك وتعالى.

وانظر الآن إلى الذين يذهبون إلى حجّ بيت الله الحرام من آفاق الأرض، من آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا وأستراليا، من كل مكان، ﴿مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ \* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

هذه الأمة تملك من الرصيد الروحي ما لا تملكه أمة أخرى، ولكننا للأسف لا نوظف هذا الرصيد، لا نوظف هذه الثروة الإيمانية الربانية كما ينبغي، لو وظفناها كما ينبغي لم تكن هذه الأمة في مؤخرة الأمم، لم تكن في ذيل القافلة، لم تصبح فريسة لغيرها، لم يطمع فيها الأقوياء، ويغلبها الغالبون.

ولكن للأسف أصبحت هذه الأمة في مؤخرة الأمم، تجرأ عليها الجبناء، وتعزز عليها الأذلاء، حتى اليهود أحرص الناس على حياة اليهود الذين عاشوا في كنف المسلمين قرونًا، يراعهم المسلمون، ويحفظون ذمتهم، ويتيحون لهم فرصة المال والجاه، حينما طردهم العالم من أوربا ومن غيرها لم يجدوا كنفًا يؤويهم إلا ديار المسلمين، هؤلاء اليهود قلبوا لنا الآن ظهر المجن، وأصبحوا يطردوننا من ديارنا، طردوا إخواننا وأبناءنا وبناتنا الفلسطينيين من ديارهم، شرّدوهم بالملايين وديارهم موجودة، واحتلوا ديارهم رغم أنهم، والآن يتبجحون بالباطل، ويريدون أن يفرضوا إرادتهم علينا وعلى العالم، لا، لسنا أيها الناس فريسة لغيرنا، لسنا نعاجزًا تساق إلى حتوفها، وكما يقول الشاعر العربي:

وَإِذَا الذُّنَابُ اسْتَنْعَبَتْ لَكَ مَرَّةً فَحَذَارٍ مِنْهَا أَنْ تَعُودَ ذُنَابًا<sup>(١)</sup>

لن نضلّ نذبح كما يُذبح النعاج أو الدجاج، لا بدّ لهذه الأمة أن تقاوم، نريد المليونين الذين يحجّون، ونريد مَنْ وراءهم من المسلمين

(١) من شعر صفى الدين الحلبي. انظر: أعيان العصر (٧٢/٣)، تحقيق د. علي أبو زيد، وآخرين، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، والوافي بالوفيات (٢٩٣/١٨)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

في كل مكان أن يقاوموا كيد الصهيونية، ومن وراءها من القوى الإمبريالية التي تشدُّ أزرهم، وتقوي ظهرهم، وتقف من خلفهم بالمال والسلاح والتأييد.

هذه الأمة قادرة على أن تقف بالمرصاد لتنال حقها بأيديها، فما ضاع حق وراءه مطالب، ولا يمكن أن يُسترد الحق الذي أخذ بالقوة إلا بالقوة، فمجرد المفاوضات ومجرد المحادثات دائما ينتصر فيها منطق القوي على الضعيف.

وما دمنا ضعفاء في نظر أنفسنا فلن ننال حقًا، لا بد لهذه الأمة أن تقف وقفة رجل واحد، وهذا ما نريده من القمة العربية المقبلة في عمان، أن تقف وقفة الرجال، أن تقول: لا. بملء فيها، كما قيل: يعجبني الرجل إذا سيم الخسف أن يقول بملء فيه: لا<sup>(١)</sup>. نريد من يقول: لا. لقد تعودنا على كلمة (نعم)، نعم للسلام، نعم للتطبيع، نعم للمفاوضات، نعم نعم حتى نعمنا، وحتى هنا، وحتى ضعنا.

ولا يمكن أن تنال هذه الأمة حقها إلا بالقوة، وأول القوة الوحدة، الاتحاد يقوي القلة، والتفرق يضعف الكثرة، نحن حوالي ثلاثمائة مليون من العرب، ووراءهم أكثر من ألف مليون من المسلمين، قوة هائلة، ولكنها قوة مبعثرة، قوة متناثرة، قوة غير منظمة، قوة لا تجد لها قيادة تقودها، وتدفع بها إلى الأمام، وتوظفها في نصرة الحق ومقاومة الباطل.

إننا نريد في هذه الأيام المباركة، والمسلمون يتجهون في كل مكان إلى الله في هذه الأيام العشر، الأيام المباركة، أيام ذي الحجة، وفي يوم

(١) رواه البلاذري في أنساب الأشراف (٢٠١/٥)، من قول زياد بن أبيه، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، نشر دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

الحج الأكبر وعرفات ومنى والتروية، في هذه الأيام المباركة نريد أن يتَّجه الجميع إلى الله أن ينصر إخواننا في فلسطين، أن ينصر الانتفاضة، وأن يمدّها بروح من عنده؛ حتّى تستمر وتقوى، وتزدهر وتظل شعلة لا تنطفئ، علينا أن نمدّ هذه الانتفاضة بالمال، ونمدّها بالمقاطعة للأعداء، ونمدّها بالدعاء، ونمدّها بكل ما نستطيع فهي انتفاضتنا، وهي منا، وهي لنا، ونصرها نصر لنا، وضعفها ضعف لنا، وخسارتها خسارة لنا.

نسأل الله ﷻ أن يجمع الكلمة على الهدى، والقلوب على التّقى، والنفوس على المحبّة، والعزائم على عمل الخير وخير العمل؛ إنّه سميعٌ قريب.

\* \* \*

## الرسائل الثلاث للمسلم في هذه الحياة

### الخطبة الأولى

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

يقول الله تبارك وتعالى في ختام سورة الحج: ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

في هاتين الآيتين يخاطب الله تعالى الجماعة المؤمنة، ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وابن مسعود رضي عنه يقول: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ فأرעה سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه<sup>(١)</sup>.

﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، هذا النداء الإلهي الجليل للإنسان المؤمن وللجماعة المؤمنة، ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، لم يُعرف هذا النداء إلا في القرآن المدني بعد الهجرة!

بعد الهجرة كان للمسلمين جماعة فكانوا ينادون بـ ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، يا من رضيتم بالله تعالى ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلّى الله عليه وآله نبيًّا

(١) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٥٠)، تحقيق سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد،

نشر دار الصميعي، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

ورسولاً، يا أيُّها المؤمنون استمعوا لما يلقي عليكم من أوامر ونواهٍ، فاعملوا بما أمرتم به، واجتنبوا ما نهيتم عنه، أعدهم الإيمان ليتلقوا أمره الله تعالى ونهيه، فالإيمان هو الأرضية التي لا بدَّ منها؛ لتنفيذ الأوامر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

### إعداد الجيل المؤمن:

ولذلك ظل النبي ﷺ ثلاثة عشر عاماً في مكة، مهمته أن يعد هذا الجيل المؤمن! أن يصب في عروقه دم الإيمان! أن يغرس بين جنوبه ألا إله إلا الله! أن يلقي في قلوبهم عقيدة التوحيد حتى تستقر؛ فلا يرضوا بغير الله ربّاً، ولا يتخذوا غير الله وليّاً، ولا يبتغوا غير الله حكماً، وأن يعلموا أنهم ملاقوا الله تعالى في الآخرة، فمحاسبهم ومجازيهم على ما عملوا، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ \* ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

كان لا بدَّ من تهيئة النفوس بالإيمان، فإذا آمنت، وأيقنت، وعرفت ربها، وعرفت مصيرها؛ أصبحت مستعدة لأن تتلقى الأمر والنهي، فإذا ما أمرت أو نهيت قالت: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾، بهذه العبارات الموجزة حدد القرآن الكريم رسالة الإنسان المسلم في هذه الحياة، مهمة المؤمن في هذه الدار! إن رسالة الإنسان المسلم في هذه الحياة ذات شعب ثلاث، شعبة تحدد علاقته الأساسية بالله تبارك وتعالى، وشعبة تحدد علاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه، وشعبة تحدد علاقته بقوى الشر المعادية له ولدينه:



## الرسالة الأولى: علاقة المسلم بربه:

فأمّا الشُّعْبَةُ الأولى فتحدد علاقته بالله تبارك وتعالى؛ فهي التي يعبر عنها قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، علاقة الإنسان المؤمن بالله هي العبادة، إنّ الله إنّما خلق النَّاسَ ليعبدوه، والقرآن الكريم يحدد هذه الرسالة حينما يقول بصيغة الحصر: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ \* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا \* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

خلق الله النَّاسَ ليعبدوه، وقد قال ابن عباس: ليعبدون؛ أي: ليعرفون، فإنّه لا عبادة إلّا عن معرفة، لا بدّ أن تعرف من تعبد حتى تعبد على بصيرة، حتّى لا توجه العبادة إلى غيره وأنت تحسب أنك تعبد، وإنّما تعبد أوهامًا، أو تعبد أوثانًا، أو تعبد أشخاصًا، أو تعبد شيطانًا، أو تعبد هواك وأنت لا تدري! لا بدّ أن تعرف الذي تعبد، معرفة الله هي التي تسبق العبادة، وهي التي من أجلها خلقت الأكوان، وخلقت السماوات والأرض، كما قال الله تعالى في آخر سورة الطلاق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، خلق العالم العلوي والسفلي ﴿لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، ما خلق العالم بأرضه وسماواته إلّا ليعرف النَّاسُ ربهم، ﴿لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، فإذا علمتم ذلك وإذا عرفتموه، واستقر في عقولكم وقلوبكم: عبدتموه؛ لأنكم تعلمون حين ذلك أنّه لا يستحق العبادة إلّا هو.

## عطاء الله وإنعامه:

إذا كان الإنسان يشكر من أدّى إليه معروفًا أو أسدى إليه خدمة، فكيف بمن يغمره بإحسانه من قرنه إلى قدمه؟ كيف بمن لا عيش له

ولا وجود له إلا به؟ فهو ليس له وجود من ذاته، إنه وجود محدث فان، وإنما يستمد وجوده وبقائه من الله ﷻ، الله الذي أنعم عليه بالنعم الغامرة التي لا تحصى من حقه أن يُعبد، من حقه أن يطاع ولا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، أمّا أن ينعم الله عليه ولا يعبد الله، أو يعبد غيره فهذا ضد العقل وضد الفطرة وضد الدين، تأكل تمرّي وتعصي أمرّي! تأكل خيري وتعبد غيري!

ومما روي أنّ الله تعالى يقول: «إني والجنّ والإنس في نبأٍ عظيم، أخلق ويُعبدُ غيري، وأرزقُ ويُشكّرُ سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرُّهم إليّ صاعدٌ، أتحبُّ إليهم بنعمي وأنا الغنيُّ عنهم، ويتبغضون إليّ بالمعاصي، وهم أفقرُ شيءٍ إليّ»<sup>(١)</sup>، كما روي في بعض الآثار القدسية.

### واجب الإنسان نحو خالقه:

كان الواجب على الناس بعد أن أحسن الله إليهم، وأول إحسانه إليهم أنّه خلقهم من عدم، وخلقهم بشراً أسوياء، ووهبهم العقول وعلمهم البيان، وكرّمهم وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، وبعث لهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وقطع عنهم المعاذير، كان الواجب بعد هذا كله أن يعبدوا الله تبارك وتعالى، ولكنهم أهملوا عبادة الله، أو عبدوا غير الله!

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٩٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٢٤٣)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٣٧١)، عن أبي الدرداء.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ النَّاسَ لِيَعْبُدُوهُ، فمهمة الإنسان الأساسية أن يعبد الله، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وفي بعض الأحاديث الإلهية: «يا عبادي، إِنِّي ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة، ولا لأستكثر بكم من قلة، ولا لأستعين بكم من وحدة على أمرٍ عجزت عنه، ولا لجلب منفعة، ولا لدفع مضرّة، وإِنَّمَا خلقتكم لتعبدوني طويلاً، وتذكروني كثيراً، وتُسَبِّحُونِي بكرةً وأصيلاً»<sup>(١)</sup>.

الله تبارك وتعالى خلقنا لنعبده، وأعطانا كل ما نحتاج إليه؛ حتّى لا يتعلل أحد بأنّه لا يجد ما يعينه على العبادة! الله تعالى هياً الكون كله لخدمتنا نحن؛ لنستطيع أن نعبد الله تبارك وتعالى، فمهمتنا الأولى، والشعبة الأولى من مهمة الإنسان المسلم في الحياة أن يعبد الله تبارك وتعالى، فمن أهمل هذه الشعبة بأي شيء من الأشياء: بعمل الخير، بالقتال، بالجهاد، بالدعوة، فإنّه ما قدر الله حق قدره، وما عرف مهمته الأساسية حق المعرفة!

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْلَى من يعرف قدره، إذا كان على الإنسان أن يشكر من أحسن إليه: أن يبر أبويه، أن يصل أرحامه، فأول من يُشكر، وأولى من يُعرف قدره هو الله تبارك وتعالى، ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، عبادة الله!

وأوّل ما تتمثّل عبادة الله: في الصلاة التي عبر القرآن عنها هنا بالركوع والسجود، وهي جزء من العبادة، ولكنّه جزء له أهميّة فلذلك خصه بالذكر، ف«أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد»<sup>(٢)</sup>، هذه هي

(١) لم أقف عليه، ولكن معناه صحيح.

(٢) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٢)، وأحمد (٩٤٦١)، عن أبي هريرة.

الشعبة الأولى من شعب رسالة الإنسان المسلم في الحياة ورسالة المجتمع المسلم أيضًا.

### الرسالة الثانية: علاقة المسلم بمجتمعه:

وأما الشعبة الثانية فهي التي تحدد علاقة الإنسان بالمجتمع الذي يعيش فيه، وهي التي يعبر عنها القرآن بقوله تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، افعلوا الخير: كما أن على الإنسان أن يصلي، ويصوم، ويحج، ويعتمر، ويسبح الله، ويتلو القرآن؛ عليه كذلك أن يفعل الخير، أن يفيض بالخير فيضًا، أن يكون ينبوعًا يتدفق بالبركة والنفع للناس، الناس لا يرون منه الخير، إسلامه مصدر سلام لمن حوله وما حوله، وإيمانه مصدر أمان لكل الناس، فالمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، ومن أمنه الناس على دماءهم وأموالهم وأعراضهم، هذا هو الإنسان المسلم.

### المسلم فاعل للخير:

إنه فاعل للخير بكل ما يستطيع: فاعل للخير بيده، فاعل للخير بلسانه، فاعل للخير بماله، فاعل للخير بجاهه؛ يساعد الضعيف، يكون مع العاجز، يرعى اليتيم، يؤوي المشرّد، يُعلّم الجاهل، يكون دائمًا في موضع الخير؛ حتّى ولو كان إماطة الأذى عن الطريق، النبي ﷺ جعل على كل مسلم في كل يوم صدقة، وهذه الصدقة ليست صدقة مائيّة فيتميز بها الأغنياء، وليست بدنية فيختص بها الأقوياء، وليست علمية فينفرد بها العلماء، إنّها صدقة إنسانيّة عامة، يستطيع كل إنسان أن يؤدي هذه الصدقة اليوميّة، أو هذه الضريبة.

أمرُك بمعروف صدقة، نهيك عن منكر صدقة، إماتتك الأذى عن الطريق صدقة، حملك للرجل الضعيف على دابته صدقة، تصلح بين اثنين صدقة، تبسمك في وجه أخيك صدقة، الكلمة الطيبة صدقة، تمسح دمعة محزون، تخفف كربة مكروب، تخفف الألم عن متألم، كل هذا لك صدقة، أي خير تقدمه للناس لك صدقة؛ حتّى إن بعض الأحاديث جاءت لتجعل على كل سُلامى، أو كل مفصل، أو كل عظم من عظام الجسم صدقة، في كل يوم تطلع فيه الشمس، أي إن على المسلم أن يحاسب نفسه كل يوم: ماذا قدم من صدقات، أي من ضريبة اجتماعيّة، من نفع للناس في كل يوم تطلع فيه الشمس، هذا هو الإنسان المسلم، ليس مصدر أذى ولكنّه مصدر خير، إذا لم يستطع أن يفعل الخير يدل عليه، ف«الدالُّ على الخير كفاعله»<sup>(١)</sup>، و«من دلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله»<sup>(٢)</sup>، كما قال رسولنا ﷺ.

### نِيَّةُ عَمَلِ الْخَيْرِ، وَالْكَفُّ عَنِ الشَّرِّ:

ومن لم يستطع أن يفعل الخير فليَنوِ الخير، فإنَّ نِيَّةَ الخير كفعله، ليعش في نية الخير: لو كان عندي لفعلتُ كذا، لو آتاني الله كذا كنتُ أفعل وأفعل، وإذا علم الله صدق نيته فإن الله يكتبه له في صحائفه حسنة.

ومن لم يفعل هذا كله، فليمسك عن الشر، فإنَّه له صدقة، إذا لم يستطع أن يقدم شيئاً إيجابياً فعلى الأقل يكف الناس شرّه، لا يصيب الناس من ورائه أذى، هذا إذا لم يستطع أن يفعل أي شيء، هذا هو الإنسان المسلم.

(١) رواه أحمد (٢٣٠٢٧)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. عن بريدة.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٩٣)، وأحمد (١٧٠٨٤)، عن أبي مسعود الأنصاري.

﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، افعلوا الخير للناس جميعاً، للمسلمين وغير المسلمين، حتّى غير المسلم لا يناله من المسلم إلا الخير، ما دام ليس معادياً ولا محارباً للمسلمين، ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَقَسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨].

### المسلم يحسن لكل المخلوقات:

حتى الحيوانات العجماوات، فقد شكر الله لرجل سقى كلباً يأكل الثرى من شدة العطش فغفر له، قال رسول الله ﷺ: «بيننا رجلٌ يمشي، فاشتدّ عليه العطش، فنزل بئراً، فشرب منها، ثمّ خرج، فإذا هو بكلبٍ يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملاً خُفّه، ثمّ أمسكه بفيه، ثمّ رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له». قالوا: يا رسول الله، وإنّ لنا في البهائم أجراً؟ قال: «في كلّ كبدٍ رطبة أجر»<sup>(١)</sup>. أي كل كائن حيّ تحسن إليه لك فيه أجر عند الله.

﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ليت الذين يحاولون أن يتاجروا بأقوات الناس، بالمياه، بكل شيء من أجل أن يكسبوا ولو من حرام، وأن يبنوا أنفسهم بهدم غيرهم، ولا يبالون أن يبنوا قصوراً من جماجم البشر، وأن يزخرفوها بدماء عباد الله، ليت هؤلاء يفقهون أن مهمة الإنسان في المجتمع أن يفعل الخير، لا أن يمتص دماء خلق الله، ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

### الرسالة الثالثة: علاقة المسلم بأعداء دينه:

وأما الشعبة الثالثة لمهمة الإنسان المسلم، ورسالة المجتمع المسلم في الوقت ذاته؛ فهي الجهاد، هي التي تحدد علاقة الإنسان بقوى الشر،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٣)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.



القوى المعادية لله، ولدين الله، ولأمة الإسلام، ما موقف المسلم معهم؟  
إنَّه موقف الجهاد، إنَّه لا يستسلم، إنَّه لا يُسَلِّم، إنَّه يقف واضعاً رأسه  
على كفه، وروحه في يده، لا يبالي ما يصيبه في سبيل الله!

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾، مطلوب منه أن يجاهد، المسلم  
إنسان مجاهد، يبذل جهده في سبيل الله، يجاهد بالنفس، بالمال،  
باللسان، بالقلم، بالسيف، بكل ما يستطيع!

ولكن جهاده في الله، أي في ذات الله، في سبيل الله، وإنَّما يكون  
الجهاد في سبيل الله إذا كان المقصود به وجه الله تبارك وتعالى، أن  
يرضى الله تبارك وتعالى عنه: سئل النبي ﷺ عن الرجل يُقاتل شجاعة،  
والرجل يُقاتل حمية - أي غضباً لقومه -، والرجل يُقاتل رياء، والرجل  
يقاتل ليُرى مكانه، والرجل يُقاتل للمغنم: أي ذلك في سبيل الله؟  
فقال ﷺ وقد أوتي جوامع الكلم: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا  
فهو في سبيل الله»<sup>(١)</sup>.

فالجهاد في الله إنَّما يكون حينما يراد به أن تكون كلمة الله هي العليا،  
وكلمة الله كلمة الحق والخير، كلمة الإسلام، أن يكون أمر الله ونهيه وشرائعه  
فوق قوانين البشر وأنظمة البشر، أن تعلو كلمة الله على كلمة الطاغوت.

### الأمة كلها جيش مجاهد:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾، وانظروا: لم يرض الله  
تعالى من المؤمنين أن يجاهدوا في الله بعض الجهاد، أو أي جهاد، وإنَّما  
أرادهم أن يجاهدوا في الله حق الجهاد، معنى هذا أن يكون الجهاد نصب

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢٣)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤)، عن أبي موسى  
الأشعري.

أعينهم، وهذا ما كانت عليه الأمة الإسلامية في القرون الأولى، كان كل واحد منهم مجاهدًا في سبيل الله، كانت الأمة كلها جيشًا! ليس الجيش فقط مجموعة ممن أعدوا لذلك ودُّرَبوا عليه، ولكن كل مسلم مستعد أن يضحي بنفسه في سبيل الله، يوم ينادي المنادي ويقول: يا خيل الله اركبي، يا كتائب الله سيري، يا ريح الجنة هبي: حين ذلك يهب الجميع في سبيل الله، لا يثقلون إلى الأرض، كانوا يعلمون أنَّ الجهاد جزء أساسي من مهمة المسلم في الحياة، ولهذا كانوا سادة الدُّنيا.

وقف عقبة بن نافع عند المحيط الأطلسي يظن أنَّ الدُّنيا قد انتهت هناك، وقف يقول: أيُّها البحر، لو كنتُ أعلم أن وراءك أرضًا فيها أناس من البشر، لخضتكَ غازیًا في سبيل الله! انطلقوا في كل مكان ينشرون الإسلام ويفتحون الآفاق؛ ليقموا فيها شرع الله، شرع العدل والإحسان، لا يريدون أن يذلوا أحدًا، ولا أن يستعمروا أرضًا، ولا أن يفتحوا سوقًا، وإنَّما يريدون أن يعلوا كلمة الله، أن يخرجوا النَّاس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدُّنيا إلى سَعَتِها، ومن جَوْرِ الأديان إلى عدل الإسلام.

### حين غفل المؤمنون عن الجهاد:

جاهد المسلمون في الله حق الجهاد! ويوم ناموا عن هذه الفريضة احتلت أرضهم، وديست مقدساتهم، وانتهكت حرمتهم! ويوم صحوا لهذه الفريضة استعادوا هذه الحرمات والمقدسات: حينما جاء الصليبيون من أوروبا في تسع حملات مشهورة لم ينقذ المسلمين، ولم يحرر بيت المقدس بعد تسعين سنة ظل فيه الصليبيون إلاَّ نداء الجهاد من جديد، نادي به مثل عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود الشهيد، وصلاح

الدين الأيوبي، نادوا النَّاسَ بالجهاد، ونفخوا فيهم من روح الإيمان، فانطلقت الأمة من جديد تحارب أعداء الله، وتجاهد في ذات الله.

### رسالة المسلم أن يعمل في هذه الميادين كلها:

هكذا ينبغي أن نفهم مهمتنا نحن المسلمين، الإسلام هو هذه الشُّعب، ورسالة المسلم أن يعمل في هذه الميادين، يحدد علاقته بالله بالعبادة والركوع والسجود! ولكن لا يكتفي بهذا، لا يكتفي أن يكون راکعاً ساجداً خاشعاً عابداً، وهو في غفلة عن المجتمع من حوله، لا يُسدي إليه معروفًا، ولا يقدم إليه نفعًا، ولا يشارك في عمل من أعمال الخير، عضو أشل في جسم المجتمع، ليس هذا شأن الإنسان المسلم.

كما لا يغني عنه أن يؤسس جمعية خيرية، ويعمل على رعاية اليتيم، وإيواء ابن السبيل، ويعلم الجاهل، ولكنّه مع هذا مهمل فرائض ربه، لا يؤدي حق الله في صلاة أو صيام، لا! لا بدّ أن يجمع بين هذا وذاك.

ولا يغني عنه أن يكون عابداً راکعاً ساجداً فاعلاً للخير ومع هذا ليس مستعداً أن يجاهد في ذات الله، لا يهمله أمر المسلمين، وإنّما يعيش لنفسه، لهماوم نفسه، لهماوم أسرته، ينقض الكفار على ديار المسلمين وهو لا يبالي، تصرخ الأمة الإسلامية في كل مكان، وهو يُصم أذنيه، ويغمض عينيه ويقول: نفسي نفسي!

لا، ليس هذا هو الإنسان المسلم، الإنسان المسلم هو الذي يعرف أن لأمتّه حقاً عليه، و«من لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم

يصبح ناصحًا لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فليس منهم»<sup>(١)</sup>،  
و«المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضُه بعضًا»<sup>(٢)</sup>.

### المسلمون أمة واحدة:

والأمة الإسلامية أمة واحدة، وهم إخوة حيثما كانوا، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، وأرض الإسلام كلها أرض واحدة اسمها «دار الإسلام»: إذا اعتدي على أي بقعة منها ينبغي للمسلمين جميعًا أن يقفوا صفًا واحدًا للدفاع عنها، لو عرف المسلمون هذا، لو آمنوا بهذا وعملوا بمقتضاه، ما ضاعت بلاد المسلمين هنا وهناك، وما أذل المسلمون في عقر دارهم، وما ضاع منا المسجد الأقصى، ولا أرض النبوات، ولا الأرض التي بارك الله فيها للعالمين.

### يا أيُّها الإخوة المسلمون:

علينا أن نعرف مهمتنا، مهمتنا أن نحدد علاقتنا بالله، وهي علاقة العبادة والركوع والسجود، وبجوار هذا نحدد علاقتنا بالمجتمع، وهي فعل الخير، والدلالة على الخير، ونية الخير دائمًا، وأمّا علاقتنا بأعداء الله فهي الجهاد، ولا شيء غير الجهاد.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه الطبراني في الصغير (٩٠٧)، والأوسط (٧٤٧٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤): فيه عبد الله ابن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. عن حذيفة بن اليمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى.

## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

### ما يقوم به اليهود في الضفّة الغربيّة:

كنتُ في عَمّان في الأردنّ الأيّام الفائتة، اطلعت هناك على فيلم عرض علينا، عما يقوم به اليهود في الضفّة الغربيّة وفي قطاع غزة! إنّ هذه المشاهد التي رأيناها تبين لنا أنّ القوم لم يكتفوا، ولن يكتفوا بالأرض التي سموها إسرائيل، وأقاموا عليها دولتهم! إنّ القوم مصممون على أن يحتلوا كل فلسطين، إنّهم يبذلون جهدهم، ويعملون عملهم، ويبيتون أمرهم، ويدبرون خططهم، يعملون ساهرين، يواصلون الليل بالنهار لتدمير هذه الأرض، إنّهم يعملون على استلاب الأرض من أهلها، أخذوا أكثر من ثلث قطاع غزة، هذا الشريط الذي يراه الإنسان على ساحل البحر الأبيض، والذي يكتظ بالسكان، وفيه أعلى كثافة سكانية، وهو من أعلى الكثافات السكانية في العالم، لم يكتفوا بأن يدعوه لأهله، أخذوا نحو ثلث المساحة بطرق شتّى، وكذلك في الضفّة الغربيّة، والأرض الزراعية يحاولون أن يدمروها، وأن يسحبوا أهلها منها ليعملوا في القطاعات الصناعية في إسرائيل، ويعملون عملاً مستمرّاً!

### ماذا فعل العرب والمسلمون؟

ماذا فعلنا نحن؟ وماذا فعلت أمة العرب؟ القوم يحفرون الحفريات تحت المسجد الأقصى، القوم يعملون باستمرار، من يرّ العمارات

الشاهقة حول القدس العربيّة وهي تطل عليها ير القوم متحكمين في المكان تمامًا، من رأى هذا الفيلم رأى شيئًا غريبًا، القوم قد هدموا من قريب مسجد حسن باشا في يافا، وحرقوا مسجدًا آخر، ومن قبل أحرقوا المسجد الأقصى، ومن قبل، ومن قبل! ماذا فعلنا نحن العرب والمسلمين؟ وماذا نفعل؟ ماذا أعددنا لهذا؟ لا نعد شيئًا إلا الكلام إن كان هناك كلام، وإلا لقاءات، وإلا اجتماعات.

إنّ القوم ليسوا هازلين، وإنّ لهم خططًا في الثمانينيات نشرت، كتبوا عنها ونشروها، تريد أن تدمر المنطقة كلها، وأن تمزقها مِزْقًا، تقطعها إِرْبًا إِرْبًا، تريد تقطيع كل الدول من حولها، من سوريا، إلى لبنان، إلى مصر، إلى السعودية، حتّى السعودية، حتّى الخليج يريدون أن يقسموه، حتّى مصر، يريدون أن تقوم فيها دولة للأقباط في الصعيد، ودولة للمسلمين في الوجه البحري.

القوم يعملون، لا تقولوا هذه أمني وأحلام، فقد كنا نقول من قبل إنّ قيام إسرائيل نفسها أمني وأحلام، الآن يتمنى الناس لو رجع الأمر إلى التقسيم الذي رُفض من قبل، كل خُطوة رُفضت من قبل تمنى الناس لو قبلوها من بعد، القوم يعملون ونحن لا نعمل، لا بدّ من جهاد، لا بدّ أن ننفخ في روح هذه الأمة، ونعدها قبل أن نصبح عبيدًا لليهود؛ بعد سنوات تطول أو تقصر.

### سنن الله في الكون:

إنّ سنن الله أنّه مع من يعمل، نحن معنا الحق، ولكن الحق لا يعمل وحده، إذا كان الحق لا ينصره أهله فإنّه لا ينتصر، الله تعالى يقول: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بُصْرَهُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، لا بدّ من المؤمنين المؤتلفين



غير المختلفين، ولذلك قال: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ \* وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿[الأنفال: ٦٢، ٦٣]، كان اليهود قديماً كما وصفهم القرآن: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]. وأكثر ما ينطبق هذا الوصف اليوم إنما ينطبق علينا نحن المسلمين، فمتى نفيق؟ ومتى نعرف الأخطار المحدقة بنا حتى نعد للغد عدته، ونأخذ له أهبتة، ونهيئ الجيل المسلم القادر على المواجهة، الذي لا يبالي حين يجاهد في الله حق الجهاد أوقع على الموت أم وقع الموت عليه؟

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُنَبِّهَنَا من غفلتنا، ويجعل يومنا خيراً من أمسنا، وغدنا خيراً من يومنا، ويحسن عاقبتنا في الأمور كلها، ويُجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة!

اللهم حَبِّبْ إلينا الإيمانَ وزَيْنَهُ في قلوبنا، وَكَرِّهْ إلينا الكُفْرَ والفسوقَ والعصيانَ، واجعلنا من الراشدين فضلاً منك ونعمة.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ العفوَ والعافيةَ في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتِكَ أن نُغْتَالَ من تحتنا.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ونبيِّك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وأقم الصلاة.

\*\*\*



## الإنسان الناجي في سورة العصر

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

سألني أحد الشَّباب عقب خطبة الجمعة الماضية قائلاً: أنت مشغول بهموم الأُمَّة ومآسيها في المشرق والمغرب والشمال والجنوب، وتحثُّنا دائماً على العودة إلى الإسلام، ولكنَّنا لا ندري كيف نعود إلى الإسلام، وما هو نصيب الفرد في هذه العودة؟

إنَّنا إذا نظرنا إلى الأُمَّة في تعقُّد مشكلاتها، وتنوُّع همومها، وكثرة مآسيها وأحزانها، فربما غرقنا في هذا البحر الخِصَم، وتُهنأ في هذه الصَّحراء، وهذه المفازة المهلكة الواسعة، ونريد أن نعرف: ماذا نفعل نحن أفراداً أمام هذه المآسي والكوارث والمصائب، التي تتوزَّع أمَّتنا من هنا وهناك؟

وأريد أن أقول: إنَّ أساس العودة إلى الإسلام التي ننادي بها دائماً يبدأ من الفرد.

**ماذا نعني بالعودة إلى الإسلام؟**

ونعني بالعودة إلى الإسلام: العودة إلى الإسلام الصحيح والإسلام المتكامل.



لا نعني أننا قد ارتددنا عن الإسلام - والعياذ بالله - ونريد أن نرجع إليه، فإنَّ هذه الأمة لا زالت مؤمنة برَّبِّها وقرآنها ومحمَّدها، ولا زالت مستمسكة بهذه العروة الوثقى، ولكنها أساءت الفهم، وأساءت التطبيق للإسلام، وخصوصًا فيما يتعلَّق بالذين يُلُون أمرها هنا وهناك في بلاد شتى؛ يقربون أو يبعدون عن الإسلام، حتَّى إنَّ منهم من يحارب الإسلام حربًا ضروسًا لا هوادة فيها، في قلب بلاد العروبة والإسلام.

لا أعني بالعودة إلى الإسلام: أنَّ الأمة قد ارتدَّت عن دينها، فمعاذ الله أنْ أومن بذلك، وإنَّما أعني:

أنَّ الأمة قد انحرفت، وتحتاج إلى أن تستقيم على أمر الله.

وأنَّ الأمة قد تركت شريعة ربِّها وحكَّمت أنظمة وقوانين، استوردتها من هنا وهناك.

وأنَّ الأمة ساءت مفاهيمها وتصوُّراتها؛ فجلبت مفاهيم وتصوُّرات من شرق ومن غرب.

وأنَّ الأمة قد اختلطت تقاليدَها وأعرافها؛ فجاءتها أعراف وتقاليد من هنا وهناك.

فلا بدَّ أن تميِّز الأمة بين الطيِّب والخبيث.. وبين المستقيم والمعوجَّ.. وبين الأصل والمستورد.. بين ما هو من دين الله، وما ليس من دين الله.

نريد للأمة أن ترجع إلى الدين الصحيح، ترجع إليه فهمًا، وترجع إليه تطبيقًا، وترجع إليه إيمانًا، وترجع إليه أخلاقًا، وترجع إليه سلوكًا.

### الفرد أساس الأمة الصالحة:

وأول ما يتجلى هذا الرجوع هو في الفرد؛ فالفرد عندنا هو أساس الجماعة الصالحة، التي هي أساس الأمة الصالحة، ولن يصلح حال هذه الأمة إلا بإصلاح أفرادها.

إذا أردت أن تبني صرحاً عظيماً، فلا بد أن يبدأ هذا البناء على أساس متين، وأساس هذا البناء كله: اللبنة السليمة.

اللبنة الصالحة في بنيان المجتمع هو الفرد الصالح، هو الإنسان الصالح، هو المسلم الصالح، مسلم سورة العصر، المسلم الناجي في سورة العصر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

### الإيمان أولاً:

أول شروط النجاة قبل كل شيء هو الإيمان.. سلامة العقيدة، ظلّ النبي ﷺ ثلاثة عشر عاماً في مكة لا همّ له ولا شغل له؛ إلا أن يغرس العقيدة في العقول والنفوس.. أن يبني التوحيد الصحيح.. أن يطرد عبادة الطاغوت والإيمان بالطاغوت من القلوب.

لا بدّ من الكفر بالطواغيت كل الطواغيت، والإيمان بالله وحده ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والطاغوت: كل ما يُعبد ويُعظم ويُطاع طاعة مطلقة من دون الله، قد يكون وثناً.. قد يكون شجراً.. قد يكون حيواناً.. قد يكون جنّاً.. قد يكون بشراً.. قد يكون نجماً في السماء، أو نبتاً في الأرض، أيّا كان؛

ما دام يُعبد ويُعظَّم ويُتَّبَع اتِّباعًا أعمى، ويُطاع طاعة مطلقة من دون الله، فهو طاغوت!

وقد جاء الأنبياء جميعًا ليحرِّروا النَّاس من عبادة الطواغيت ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [الزمر: ١٧].

فالإيمان كان بداية النِّجاة من خُسْر الدُّنيا والآخرة، الإيمان القائم على التوحيد الَّذي بَعَثَ اللهُ به كلَّ الرسل، وأنزل به كلَّ الكتب.

### القضية المصيرية الأولى:

إنَّما بُعث الأنبياء وأنزلت كتب الله عامَّة من أجل هذه القضية الأولى.. القضية المصيرية.. قضية الوجود كله: أن يُعبد الله وحده لا شريك له، ولهذا كان النداء الأوَّل في كلِّ رسالة: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، قبل أن ينادي النَّبي بترك الفواحش؛ ما ظهر منها وما بطن، وقبل أن ينادي النَّبي بإصلاح أحوال النَّاس.. بإصلاح حال الحياة والمجتمع.. بعدم بخس الأشياء أو تطفيف المكايل أو الموازين أو غير ذلك، يناديهم بعبادة الله وحده ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

### الإيمان والتفكر في آيات الله:

أوَّل ما يُطالَب به الفرد أن يقوي إيمانه بالله، وأن يصبح الإيمان قاعدة حياته كلها، يتعلَّم.. ينظر في آيات الله في الأنفس وفي الآفاق؛ حتَّى يتبيَّن له أنَّه الحقُّ ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

يقرأ كتاب الله الصامت في هذا الكون، كما يقرأ كتاب الله الناطق، مصحفان لدى كل إنسان: مصحف صامت هو هذا الكون، ومصحف ناطق هو القرآن الكريم.

لا بد للإنسان أن يقوّي إيمانه عن طريق التأمل والنظر في الكون، والنظر في النفس، والنظر في التاريخ، وعن طريق التفكير في خلق السماوات والأرض.

وعن طريق المعرفة والدراسة للقرآن وللسنة يزداد المؤمن إيماناً، فيقوّي إيمانه برّبّه، ويقوّي إيمانه ببلقائه وحسابه وجزائه؛ فإن هذه الحياة الدُّنيا أيام معدودة، وأنفاس محدودة، ثمَّ يُطوى كتابها، وينتقل الإنسان إلى حياة أخرى يخلد فيها في عمله، ويُجزى بما كسبت يده ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ \* ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

### يد الله على الجماعة:

والقرآن حينما أشار إلى النّجاة من الخسر، واستثنى الناجين من الخسران، عبّر عن الإنسان الناجي بصيغة الجمع فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣]، أي: لا نجاة للفرد وحده، لا بدّ أن يضع يده في يد إخوته المؤمنين.

لا يوجد في الإسلام إنسان ينجو وحده، ف «يد الله على الجماعة، ومن شدّد شدّد إلى النار»<sup>(١)</sup>، وإنّما يأكل الذئب من الغنم القاصية، لهذا عبّر القرآن عن النجاة بصيغة الجماعة فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

(١) سبق تخريجه ص ٢٩.



فالمسلم لا يعيش وحده، ولا يعمل وحده، وإنما يعمل مع الجماعة المسلمة، يواؤها وتوآده، ويرتبط بها وترتبط به، وينصح لها وتنصح له، ويواليها وتواليه، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

المسلم يقف في الصلوة بين يدي الله فيقرأ الفاتحة، ويتلو في هذه الفاتحة قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ \* أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحة: ٥، ٦] بصيغة الجمع، ولو أنه يصلي فرداً، ولو كان في قعر بيته خالياً لا يراه أحد، فإنه ينادي ربّه بهذه الصيغة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وإذا دعا دعا للجماعة ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ ذلك لأن الإسلام يريد أن يغرس في نفس كل مسلم روح الجماعة، فإذا ناجى ربّه فإنما يناجيه بلسان الجماعة، وإذا سأل ربّه فإنما يسأله للجماعة لا لنفسه، يحشر نفسه في زمرة الجماعة، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، يتحدث بلسانهم، ويمثّلهم في ضميره، ويعبر عنهم بكلامه ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

### عمل الصالحات:

أول خطوات النّجاة للفرد الذي نريده أساساً للإصلاح هو: الإيمان. ولكن الإيمان الحقيقي هو الذي يُثمر عملاً، فلا معنى للإيمان بلا عمل، ولا معنى للعلم بلا عمل.

أسلافنا قالوا: علم بلا عمل كشجر بلا ثمر، أو سحاب بلا مطر. ثمرة العلم: العمل، وثمره الإيمان: العمل.

### حقائق الإيمان كما عرضها القرآن:

ولهذا نجد القرآن حينما يعرض علينا حقائق الإيمان يعرضها في أخلاق وأعمال:

١ - ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ \* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿ [الأنفال: ٢، ٣]. إيمانهم يتجلى في أعمال، بعضها أعمال قلبية ولها الصدارة: وجَل القلوب عند ذكر الله، وزيادة الإيمان عند تلاوة آيات الله، والتوكل على الله تعالى، ثم أعمال ظاهرة أبرزها: إقامة الصلاة، والإنفاق مما رزق الله، ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٤].

٢ - ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٩]. وهذه حقائق الإيمان في حياة المسلمين، هم يتصفون بأعمال إيجابية، ويتصفون بأشياء أخرى يتركونها؛ فالإيمان فعلٌ وتركٌ:

أ - إنهم يخشعون في الصلاة، ويحافظون عليها، لم يقل: إنهم يؤدون الصلاة، فهذا أمر مفروغ منه، ولكن وُصِفوا بالخشوع في الصلاة، ليست صلاتهم جسمًا بلا روح، ولكن صلاتهم هي الصلاة التي تخشع فيها القلوب، وتخشع فيها الجوارح ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ ... ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ بدأ بالصلاة وختم بها.

ب - ويؤدون الزكاة ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾.

ج - ويرعون العهود والأمانات للخلق أو للخالق ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾.

ولكنهم في الجانب الآخر.. في جانب المنهيات:

- أ - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾: لا يضيِّعون أوقاتهم في اللغو؛ فالوقت أثمن من أن يضيِّعوه في الكلام الفارغ وفي العمل الباطل؛ فالوقت هو الحياة، ومن ضيَّع وقته فقد ضيَّع عمره، وانتحر وقتل نفسه.
- ب - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾: إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، أي: أنهم يحفظون فروجهم؛ فلا يقعون في حرام، ولا يرتكبون الفواحش ما ظهر منها أو ما بطن.

### لا بدَّ للإيمان من عمل:

الإيمان إذن يتجلَّى في عمل، هكذا يعرضه القرآن!

أمَّا الإيمان الَّذي يكون مجرد معرفة ذهنية في العقل، لا تشرق بها جوانب النَّفس، ولا تتجلَّى فيه أعمال، فهذا ليس هو الإيمان.

الإيمان هو الَّذي ينير العقل، ويضيء القلب، ويحرِّك الإرادة، ويحيي الضمير، ويبعث على الخير، ويزع عن الشرِّ، هذا هو الإيمان الحقيقي.

لا بدَّ أن يتجلَّى الإيمان في عمل، ولا بدَّ أن يتجلَّى العلم في عمل.

كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يعرفون الإيمان إِلَّا مقرونًا بالعمل، كما علَّمهم رسول الله ﷺ.

الإيمان هو الَّذي يُثمر العمل، وأي عمل؟

### عمل الصالحات:

ولهذا قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٦، والعصر: ٣].

و﴿الصَّلَاحَتِ﴾ تعبير قرآني جامع، يشمل كل ما يصلح به الفرد، وما يصلح به المجتمع، من الناحية المعنوية أو من الناحية الحسية، من ناحية الرُّوح، أو من ناحية المادة.

كان هؤلاء الصَّحابة أسرع النَّاس إلى العمل، وإلى الجهاد وإلى البذل، لو نزلت آية كريمة كانوا أسرع النَّاس إلى تنفيذها.

نزل قوله تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، فجاء الصَّحابة يبذلون أفضل ما عندهم، حتَّى إن أبا طلحة كان عنده حائط - بستان - من أفضل البساتين، يُقدَّر بكذا وكذا، فجاء يقول للنَّبِيِّ ﷺ: يا رسولَ الله، أشهدُكَ أنِّي جعلته في سبيل الله<sup>(١)</sup>.

لم يكن القرآن ينزل لمجرد أن يتلذذوا بتلاوته أو بسماعه، ولكنهم جعلوه واقعًا حيًّا في حياتهم ومسيرتهم.

في حروب الردة والمسلمون يقاتلون المرتدين، ويقاتلون المتنبئين أتباع مسيلمة الكذاب، وسَجَّاح بنت الحارث وغيرها، كان أكثر النَّاس إقدامًا في هذه المعركة هم قُرَّاء القرآن، وكان ينادي بعضهم بعضًا: يا أصحاب سورة البقرة، قاتلوا في سبيل الله<sup>(٢)</sup>، وكان حذيفة بن اليمان يقول: يا أهل القرآن، زينوا القرآن بالفعال<sup>(٣)</sup>.

ولذلك قُتل من القُرَّاء عدد كبير في هذه المعركة.

وكان بشر بن الحارث - المعروف ببشر الحافي - يقول لطلبة علم

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوكايلة (١٤٦١)، ومسلم في الرُّكاة (٩٩٨)، عن أنس بن مالك.

(٢) رواه عبد الرزاق في الجهاد (٩٤٦٥)، عن عروة بن الزبير.

(٣) رواه الطبري في تاريخه (٢٩١/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

الحديث: يا أصحاب الحديث، أدّوا زكاة حديثكم، اعملوا من كلّ مائتي حديث بخمسة أحاديث<sup>(١)</sup>. الحد الأدنى: من كلّ مائتي حديث اعملوا بخمسة أحاديث «ربع العُشر»؛ إذ لا معنى لطلب الحديث، وأنت لا تعمل به، ولا معنى لأن تقرأ الكتب وتحضر الدروس وتستمتع إلى المحاضرات وأنت لا تطبقها على نفسك! المهم العمل.. العمل.

لا بدّ أن يراك الله تعالى حيث أمرك، ويفقدك حيث نهاك.

لا بدّ أن تعمل بما أمرك الله به، في نفسك وأهلك ومن حولك، مع من تحبّ، ومع من تكره.

لا بدّ أن تكون وقّافاً عند حدود الله، مراعيّاً لحقوق الناس، تُحلّ الحلال وتحرم الحرام، لا تُدخل إلى جيبك درهماً من حرام، ولا تُدخل إلى بطنك لقمة من حرام؛ حتّى لا ينبت بها شيء من جسدك، ف«كلّ جسدٍ نبت من سُخت؛ فالنار أولى به»<sup>(٢)</sup>.

الإيمان وعمل الصالحات هو ما نريده من الإنسان الناجي، الإنسان الذي هو أساس المجتمع الصالح.

### التواصي بالحق:

والشرط الثالث الذي دلّت عليه سورة العصر: التواصي بالحق.

والتواصي صيغة «تفاعل» كما يقول علماء العربيّة، التواصي تفاعل من الجانبين، أي: توصي غيرك بالحق، وتقبل من غيرك الوصية بالحق،

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٤٧، تحقيق د. نور الدين عتر، نشر دار الفكر، سوريا، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) رواه أحمد (١٤٤٤١)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. والترمذي في السفر

(٦١٤)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الصلاة (١٧٢٣)، عن جابر بن عبد الله.

فليس هناك أحد أصغر من أن يُوصي، ولا أحد أكبر من أن يُوصى، الحقُّ فوق الجميع.

كان رسول الله ﷺ يستمع إلى النصيحة من أصحابه.. ينصحه به، ويستمع إلى الرأي فيترك رأيه أحياناً، وينزل على رأي أصحابه في وقائع شتى، روتها كتب السنة والسيرة.

وكان أبو بكر يقول على المنبر في أوّل خطبة له: أيُّها النَّاسُ، إن رأيتُموني على حقٍّ فأعينوني، وإن رأيتُموني على باطلٍ فسدّدوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم<sup>(١)</sup>.

وكان ابن الخطّاب بعده يقول: مرحباً بالناصح أبداً الدهر، مرحباً بالناصح غدواً وعشيّاً<sup>(٢)</sup>، رحم الله امرأً أهدي إليّ عيوب نفسي<sup>(٣)</sup>.

ولما نصحه بعض النَّاسِ، وقال له: اتَّقِ الله يا أمير المؤمنين، غضب بعض من حوله وقال: أتقول هذا لأمر المؤمنين؟!

فقال عمر: دعوه، لا خير فيكم إذا لم تقولها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها<sup>(٤)</sup>.

والتواصي بالحقّ يعني أن كلّ واحد يوصي غيره بالحقّ، وأقرب النَّاسِ إلى أن توصيهم بالحقّ من كانوا في ذمّتك.. من كانوا في

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢١٠/٣)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٢٤٨/٥)، وصحّح إسناده، عن أنس بن مالك.

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٢٢٥/٤).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ص ٢١٧، تحقيق د. أبو اليزيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٤) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (٧٧٣/٢).



حضانتك.. من كانوا تحت رعايتك: زوجتك.. أبنائك.. بناتك.. إخوانك الذين يعيشون معك.. الذين يكونون تحت رئاستك وإدارتك.. كل من لك سلطان عليه ينبغي أن توصيه بالحق، فبالحق قامت السماوات والأرض، والحق ما جاء به الإسلام، كل ما جاء به الإسلام من عقائد وعبادات وأعمال وأخلاق فهو حق.

فأوصه بالحق، سواء كان يتعلّق بالدنيا أو بالدين، بأمر الله أو بأمر الناس، ومن هنا كانت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هنا كانت فريضة الدعوة إلى الله، فكل مسلم داعٍ إلى الله تعالى.

### كل المسلمين دعاة إلى الله:

كل مسلم يجب عليه أن يدعو إلى الله، يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، فهو مخاطب بقوله - تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

كل من اتّبع رسول الله ﷺ فهو داعٍ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، فإذا كنت ممن اتّبع رسول الله ﷺ؛ فلا بدّ أن تدعو إلى الله، وتدعو على بصيرة، على قدر ما آتاك الله، هناك من يدعو بتأليف كتاب، وهناك من يدعو بإلقاء محاضرة أو خطبة، وهناك من يدعو بإلقاء درس، وهناك من يدعو بالكلمة الطيبة - والكلمة الطيبة صدقة - وهناك من يدعو بالصحبة الصالحة.. بالأسوة الحسنة، وما أعظم الأسوة الحسنة في التأثير!

بهذا أثر المسلمون قديماً في العالم كلّ، وبأخلاقهم نشروا الإسلام. كل مسلم داعية إلى الله، من تعلّم شيئاً فعله أن يعمل به، وأن يُعلّمه

لغيره، وهذه هي الدعوة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٣].

و«الربّاني» - كما قال السلف - هو: الذي يَعْلَم ويعمل ويُعَلِّم.  
لو تعلّمت مسألة علّمها لغيرك، ولو عرفت شيئاً في الإسلام انقله إلى غيرك.

المسلم لا يعيش في هموم نفسه فقط؛ بل يهتم بالعالم من حوله، والمسلمون كانوا في مكّة قليلاً مستضعفين في الأرض، يخافون أن يتخطّفهم النَّاس، ومع هذا كانوا يهتمون بالصراع الدائر من بعيد بين الفرس والروم، ومن ينتصر ومن ينهزم؟ ومن يكون انتصاره في صالحهم أو يكون انهزامه في صالحهم؟

إلى هذا الحدّ كانوا يهتمُّون بالمعارك الدائرة في العالم، ولم يكن هناك تلفاز ولا إذاعة ولا صحافة.

ولذلك لا يعقل أن يعيش المسلم في عصرنا يهتمُّ بأمر نفسه.. بمكسبه.. بجمع الألف أو الملايين، ولا يهتمُّه ما يجري لإخوته المسلمين وأخواته المسلمات هنا وهناك، في مشارق الأرض ومغاربها، ليس هذا من الإسلام في شيء!

لا نستطيع إذن أن نعيش وإخوتنا وأخواتنا في البوسنة والهرسك، أو في فلسطين، أو في لبنان، أو في جامو وكشمير، أو في بورما، أو في الفلبين، أو في الصومال، أو فيما شئت من بلاد الله، فمآسي المسلمين قد ملأت الصحف وملأت الإذاعات، وأخذت مساحة واسعة من كل نشرات الأخبار.

لا يمكن أن يكون هناك مسلم حقيقي لا يهتم لأمر أمته، لا بد أن يتقطع قلبه زفرات، وتذهب نفسه حسرات، كلما سمع أو قرأ أو شاهد مآسي الأمة الإسلامية.

### المسلم الحق يهتم بأمر إخوانه:

التواصي بالحق: الاهتمام بأمر الآخرين، هذا هو شأن الإنسان المسلم. لو أنك تصلي في اليوم ألف ركعة، ولو أنك تصوم صيام داود: تصوم يوماً، وتفطر يوماً، ولو أنك تختم القرآن في كل ثلاثة أيام، ولو أنك تسبح الله تسبيحاً كثيراً، وتذكره بكرة وأصيلاً.

ولكنك تعيش غير مهتم بهموم الأمة وقضاياها، فلست من الإسلام في شيء، لست المسلم الصحيح، لست المسلم الذي يشعر بالأخوة الإسلامية، لست المسلم الذي يعيش في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

لست المسلم الذي يفهم قوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه»<sup>(١)</sup>.

لست المسلم الذي يعي الحديث النبوي: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم»<sup>(٢)</sup>، يجير أدناهم على أقصاهم، ويشد قوتهم أزر ضعيفهم، هذه هي الأمة المترابطة التي وصفها الرسول ﷺ بأنها كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٢) سبق تخريجه ص ٧٨.

## التواصي بالصبر:

الشرط الرابع الذي أرشدتنا إليه هذه السورة؛ التي قال عنها الإمام الشافعي: لو عمل بها الناس لكفتهم<sup>(١)</sup>! هذه السورة التي تُكتب بأقل من سطرين في المصحف الشريف لو عمل بها الناس لكفتهم؛ لأنها رسمت منهجاً كاملاً للإنسان؛ هو: التواصي بالصبر؛ وذلك أنه لا يوجد حقٌّ بغير صبر، إذا تواصى الناس بالحقِّ فإن تكاليف الحقِّ ثقيلة، وإن طعم الحقِّ مرٌّ، وإن طريق الحقِّ محفوفة بالأشواق، بل مليئة بالأشواق، مضرّجة بالدماء.

انظر إلى طريق الحقِّ منذ بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، تجد الضحايا من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ولذلك لا حقٌّ بغير صبر.

ومن هنا أوصى الله رسوله بقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الرُّوم: ٦٠]، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [التَّحَل: ١٢٧].

بضع عشرة آية تأمره بالصبر؛ لأنه لا يمكن أن تقوم دعوة للحقِّ بغير صبر.

وقد أوصى لقمان ابنه وصيته البليغة، التي خلّدها القرآن، فكان مما أوصاه به: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

لماذا قال له: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾؟

(١) تفسير الإمام الشافعي (١٤٦١/٣)، نشر دار التدمرية، السعودية، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

لأنه ما دام سيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فلا بد أن يوطن نفسه على الأذى، سيناله الناس بأذاهم رضي أم سخط، لم ينج من هذا نبي مرسل، ولم ينج منه أحد، فلا بد أن يصبر على أذى الناس، ولهذا قال الله تعالى لرسوله ولأصحابه: ﴿تَبْلَوْكُمُ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلِتَسْمَعُوا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وما دام الإنسان قد حقق الشرط الأول وهو الإيمان، فإنه لن يبالى بما أصابه في جنب الله، سيستمرئ المُرّ ويستعذب العذاب، ويهون عليه كل ما يلقي في سبيل الله، فمن عرف مقدار ما يطلب هان عليه مقدار ما يبذل، إنه يطلب الجنة فلا بد أن يبذل النفس والمال ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١].

الإيمان يهون عليه كل المتاعب، ويسهل عليه كل المصاعب، ويستصغر من أجله كل ما يلقي في سبيل الله.

بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشاً إلى الروم، وفيه أحد الصحابة: عبد الله بن حذافة السهمي، الذي بعثه النبي ﷺ قبل ذلك برسالته إلى كسرى، فأسر جمع من المسلمين وفيهم عبد الله بن حذافة، فقبل لملك الروم أو لأميرهم: إن في هؤلاء أحد أصحاب محمد.

فقال لهم: أجيئوه، امنعوا عنه الطعام والشراب. فمنعوا عنه الطعام والشراب أياماً، ثم قال: اعرضوا عليه لحم الخنزير، فعرضوا عليه لحم الخنزير فأبى أن يأكل منه، فجيء به أمام الملك فقال له: ما لك لا تأكل لحم الخنزير؟ أليس هذا حلالاً لكم في مثل حالتك؟

فقال له: قد علمت والله أنه حلال لي، وأن الله قد رخص لي في أكله، ولكن ما كنت لأقرّ عينك بأكلي من هذا الخنزير!

رفض أن يسره بالأكل وهي رخصة له ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

ثم قال له: ما رأيك أن تدخل في النصرانية وأشركك في ملكي وأمري وسلطاني؟

فقال له: والله لو عرضت عليّ ما تملك، وما ملك جميع العرب والعجم؛ على أن أترك دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت ذلك!

فقال: إذن أقتلك.

قال: أنت وذاك.

فقال لهم: اصلبوه، فصلبوه، وقال لهم: ارموا قريباً من يديه ومن رجله ولا تصيبوه.

أراد أن يفزعوه ويرعبوه. فرموه بالنبال من حوله قريباً من يديه ورجليه وهو ثابت كالطود الأشم لا يتزلزل ولا يتزعزع.

ثم أنزله وقال له: ألا تدخل في النصرانية؟ فأبى.

فجاء بأسيرين من المسلمين أمامه، وقد أمر بماء وُضع في قدر، وأوقد تحته حتى غلى واشتد غليانه، فجاء بأحد الأسيرين فألقي في هذا القدر، حتى بدت عظامه.

ثم قال له: أتريد أن تلقى مصير هذا؟ ادخل في النصرانية، فأبى.



فقال له: إذن أَلقيك في هذا القِدر كما فُعل بصاحبك، فذرفت عينه الدمع، فظنَّ أَنَّهُ قد جزع وضعف، قالوا: إِنَّه بكى.

فقال الملك في نفسه: هذه فرصة، فعرض عليه الدخول في النصرانية فأبى.

قال له: إذن لماذا بكيت؟

قال: بكيت لأنك إذا وضعتني في هذا القِدر هلكت وذهبت نفسي، وكنت أودُّ والله لو أن لي تحت كلِّ شجرة نفسًا تلقى حتفها في سبيل الله!

عجب الرجل من ثباته وصموده وصبره، فقال له: تُقبِّل رأسي وأخلي سبيلك وسبيل جميع أسرى المسلمين، فقال في نفسه: عدو من أعداء الله يخلي سبيلي وسبيل جميع أسرى المسلمين، ما عليَّ إذا قبَّلت رأسه، والله لا أبالي ذلك في سبيل الله، فقام وقبَّل رأسه.

فأطلق له جميع أسرى المسلمين.

وعاد إلى عمر رضي الله عنه، وقصَّ عليه الخبر، وكأنه يعتذر من عمر أَنَّهُ قبَّل رأس هذا الرجل الطاغية من أجل الإفراج عن جميع أسرى المسلمين، فقال عمر بن الخطاب: حقٌّ على كلِّ من هنا أن يقوم فيقبِّل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ، وقام وقبَّل رأسه، وقبَّل رأسه جميع المسلمين<sup>(١)</sup>.

هذا هو الصبر، هذه هي النفوس التي ربَّاهَا الإسلام، هذا هو الفرد الذي نريده إذا كنَّا نريد تغيير مجتمعاتنا من حال إلى حال أحسن.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٨/٢٧).



اللهم اجعلنا من الذين يؤمنون فيعملون؛ فيتواصون بالحق  
ويتواصون بالصبر.

اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو  
الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*





## إصلاح الإنسان بالعلم

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

كُنَّا تَحْدِثُنَا عَنْ مَشْكَلَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَمَا أَكْثَرُهَا، وَقُلْنَا إِنَّ الْأَسَاسَ الْأَوَّلَ لِحَلِّ هَذِهِ الْمَشْكَلَاتِ مِنْ جَذُورِهَا يَبْدَأُ أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ بِإِصْلَاحِ الْفَرْدِ، إِصْلَاحِ الْإِنْسَانِ وَذَلِكَ بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ، الْإِصْلَاحُ يَبْدَأُ مِنَ الدَّخْلِ، ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وَأَوَّلَ خَطَوَاتِ هَذَا الْإِصْلَاحِ هُوَ الْعِلْمُ: الْفَقْهُ فِي الدِّينِ، أَنْ يَعْرِفَ الْإِنْسَانُ غَايَتَهُ، وَيَعْرِفَ طَرِيقَهُ.

### معرفة الغاية:

تَحْدِثُنَا عَنْ مَعْرِفَةِ الْغَايَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ، الْغَايَةُ هِيَ اللَّهُ، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]، هِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ، هِيَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ، هِيَ السَّعْيُ فِيمَا يَرْضَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ حَتَّى يَحْصِلَ الْإِنْسَانُ عَلَى سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَمَثُوبَةِ الْآخِرَةِ، فَيَفُوزَ بِالْحَسَنِيِّينَ، وَبِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَآ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

## معرفة الطريق:

لا بدّ من معرفة الغاية، ولا بدّ من معرفة الطريق، لكي تصل إلى الغاية لا بدّ أن تعرف الطريق، وإلا فقد تكون مشرّقا وغايتك مغرّبة، ولا يزيدك السير إلّا بُعدًا عن الهدف، لا بدّ أن تعرف طريقك بعد أن عرفت غايتك، ولا يمكن أن نعرف الطريق إلّا من خلال الوحي المعصوم، إنّ الله ﷻ لم يدعنا هملًا، ولم يتركنا سدّي، لم يدعنا لأنفسنا فنضل يمينا وشمالًا، بل آتانا الله العقول، ولكن العقول وحدها لا تكفي، لا يستطيع العقل وحده أن يعرف ما يرضي الله وما يسخطه، لا يستطيع العقل وحده أن يعرف كيف يعبد الله تبارك وتعالى، لا يستطيع العقل وحده أن يعرف الحلال من الحرام؛ بل الفضائل والرذائل كم يضل فيها العقل الإنساني، كم من أناس ارتكبوا موبقات وهم يظنونها صالحات، وأد العرب بناتهم من إملاق أو خشية إملاق، وقتلوا أولادهم، يقتل الإنسان ولده وفلذة كبده خشية أن يطعم معه، أن يزاحمه في رزقه وهو يظن أنّه يفعل خيرًا، وأنّه يحمي هذه البنت من مستقبل مجهول!

## دور الوحي في هداية البشر:

الناس ارتكبوا موبقات باسم العقول، فالعقول وحدها لا تكفي، لهذا بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين؛ ليهدوا الإنسان في المتهاتات التي تحار فيها العقول، أو تضل الأفكار والأفهام، حتّى يجمعوا الناس على كلمة الحق، ولا تتفرق بهم السبل، لم يدع الله الناس وحدهم؛ بل أرسل إليهم رسلاً، وبعث الله في كل أمة رسولاً، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، هادٍ يهديهم من قبل الله تبارك وتعالى.



### البيان المبين:

وتتابع موكب الرسل، حتّى ختمهم الله بمحمد ﷺ، الذي آتاه الله الرسالة العامّة الخالدة الشاملة، هي عامة في المكان، خالدة في الزمان، شاملة في الأحكام، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فما ترك رسول الله ﷺ أمراً يقربنا من الله إلّا وأمرنا به، ولا أمراً يبعدنا عن الله إلّا ونهانا عنه، ولم يلقَ ربه حتّى تركنا على الطريقة البينة الواضحة: على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزغ عنها إلّا هالك. فلا عذر لأحد بعد أن بيّن الله ورسوله، لم يتركا أمراً إلّا بيناه للناس بكتاب مبين هو القرآن الكريم، سماه الله نورا وبرهانا وفرقانا؛ لوضوحه وبيانه وتفريقه بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال، بين الخطأ والصواب.

### السنة الصحيحة:

ثم جاءت السنة مكّملة ومُبيّنة، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فما كان في القرآن الكريم مُجْمَلاً فصّلته السنة المطهّرة، وما كان في القرآن مبهمًا بينه النبي ﷺ بقوله وفعله وتقريره، فهو المبين للناس ما نُزِّلَ إليهم، وطاعته من طاعة الله، ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، فمن أراد أن يعرف الطريق فليرجع إلى هذين المصدرين المعصومين: الكتاب الكريم، والسنة المطهّرة، وكل أحد بعد ذلك يُؤخذ من كلامه ويُرد عليه إلّا رسول الله ﷺ، لا أحد له العصمة بعد رسول الله ﷺ، إلّا ما أجمعت عليه الأمة إجماعًا يقينيًا مقطوعًا به؛ فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة.

### الرجوع إلى أهل العلم المجتهدين الورعين:

من أراد أن يعرف الطريق إلى الله، فليرجع إلى القرآن الكريم وإلى السنة الصحيحة، وكيف يعرف المسلم الاهتداء بالقرآن والاهتداء بالسُّنة؟ لا بدّ أن يأخذ ذلك من أهل العلم، فلكلّ علم أهله، ولكلّ فنّ رجاله، لا يستطيع الإنسان أن يأخذ من القرآن مباشرةً إلاّ الأمور العامّة الميسرة للذكر ولفهم، ولكن الذي لا يعرف العربيّة، ودلائل الألفاظ العربيّة، لا يعرف نحو العربيّة وصرفها، وبلاغتها ومعانيها وبيانها؛ كيف يستطيع أن يستدل بالقرآن أو بالسُّنة، إن هناك أناساً جرّاء أصبحوا يتناولون على أهل العلم، ويزعم أحدهم أنّه يعرف ما يعرفه الأئمّة السابقون، أو يعرف ما هو أفضل منهم، ويقول عن الأئمّة المعترين؛ بل عن الصحابة الأكرمين: هم رجال ونحن رجال. ويخطئ كبار الفقهاء، ولعله لا يعرف كيف يُعرب جملة من الجمل.

لا بدّ من أخذ العلم من أهله، ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ﴿فَسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿وَلَا يَنْبِئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، لا بدّ من الرجوع إلى أهل العلم لناخذ عنهم.

ولكن أهل العلم قد يختلفون، فماذا يصنع المسلم؟ عليه أن يبحث عن العالم الذي عُرف بالعلم وبالورع وبالاعتدال، هناك علماء - للأسف - يبيعون دينهم بديناهم أو بدنيا غيرهم، فهؤلاء لا يؤتمنون على فتوى، ولا يؤتمنون على أمر، وهناك أناس متشددون يعسّرون ما يسر الله ﷻ، ويوقعون المسلمين دائماً في الحرج الذي نفاه الله عن



هذا الدين حيث قال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]،  
يوقعونهم في العسر وقد نفاه الله تعالى بقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا  
يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وهناك آخرون يريدون أن يبيحوا كل شيء، يريدون أن يحلوا كل  
شيء، حتّى يعيش الناس في حياتهم كما يعيش الأوروبيون والأمريكيون،  
هؤلاء وهؤلاء مرفوضون، المترخصون الذين يحلّون الحرام، والمتشددون  
الذين يحرمون الحلال، هؤلاء وهؤلاء لا يؤخذ عنهم، إنّما يؤخذ العلم  
عن أهل الورع والاعتدال، والمسلم يجتهد في ذلك.

#### إذا اختلف العلماء في المسألة:

إذا اختلف عليك الأطباء في تشخيص مرض لك، أو لابنك أو  
لزوجتك؛ ماذا تفعل؟ إنك تأخذ بقول أشهرهم عند الناس، وأقربهم إلى  
الاختصاص، أو تأخذ بقول الأكثر منهم، هكذا فافعل مع العلماء،  
ما يطمئن إليه قلبك، وأحياناً قد تسمع الفتوى ترخص لك في أمر، وأنت  
لا تطمئن إليه، حين ذلك استفت قلبك كما جاء في الحديث: «وإن أفتاك  
الناس وأفتوك»<sup>(١)</sup>.

هل يلزمك أن تتبع عالمًا معينًا من مذهب معين في كل عباداتك  
ومعاملاتك وشؤونك؟ لم يلزمك بذلك الله ولا رسوله، ولا واجب في  
الدين إلّا ما أوجبه الله ورسوله، ولكن إذا نشأت في بلد كان فيها مذهب

(١) رواه أحمد (١٨٠٠٦)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والدارمي في البيوع (٢٥٣٣)، وحسن  
إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٦٨٣)، وحسنه النووي في الأربعين، الحديث  
السابع والعشرون، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٣٤): حسن لغيره. عن  
وابصة بن معبد.

معين، قد ساد وانتشر، وأخذت عن علماء هذا المذهب فلا حرج عليك، على شرط ألا تتعصب لهذا المذهب، إذا لاح لك ضعف المذهب الذي تنتسب إليه في مسألة من المسائل؛ فتركه وخُذ بالمذهب الآخر، إذا كان أقوى دليلاً، وأرجح برهاناً، هذا هو شأن الإنسان المسلم.

والمسلمون في القرون الأولى أيام الصحابة والتابعين وأتباع التابعين - في خير القرون - لم يكونوا يتبعون مذهباً معيناً، ولم يكونوا يتبعون إماماً معيناً، إنما يسألون من أهل العلم من تيسر لهم، فيسأل اليوم هذا، ويسأل غداً ذاك، ويسأل بعد غد عالماً آخر، ويأخذ بقول من يُفتيه، وهذا هو شأن العامي، قال العلماء: العامي لا مذهب له، إنما مذهبه مذهب من يُفتيه. ويقصدون بالعامي: من لم يصل إلى درجة الاجتهاد الكلي أو الجزئي، من لا يستطيع أن يرجح رأياً في الأمور الخلافية، من ليس عنده من أدوات العلم ووسائله ما يَمَكِّنه من النظر والترجيح، فهذا لا مذهب له؛ لأنَّه كيف يختار مذهباً؟! ما الذي يجعله يختار مذهب مالك على مذهب الشافعي؟ أو مذهب أبي حنيفة على مذهب أحمد؟ هل يعرف أصول المذاهب؟ وبماذا تتميز المذاهب؟ وبماذا يستدل أئمتها على أصولهم؟ إنَّه لا يعرف ذلك، ولذلك فإن العامي لا مذهب له، العامي يتبع العالم ويتبع الدليل.

### معرفة الإسلام من منابعه الصافية:

يجب على المسلم أن يعرف الإسلام من منابعه الصافية، إن كان من أهل الثقافة والقراءة يقرأ الكتب الموثقة المعتمدة، الصادرة عن أهل العلم المعروفين، ليس كل ما تخرج المطابع يصلح للقراءة، فكثير من الكتب فيها سموم فكرية، وللأسف هناك تفتيش على الأغذية الجسمية مشدد فيه، ولكن التشديد على الأغذية الفكرية والروحية قد يُتساهل فيه،

تأتي كتب لا يُعرف أصلها من فصلها، تأتي كتب لا نسب لها، فيها كثير من الخرافات والأباطيل، فيها أحاديث واهية أو منكرة، أو موضوعة أو لا يعرف لها سند؛ ولكنها تروج بين الناس، هناك من يأخذ كل ما وُجد في المكتبات ويقرؤه، ويظن أنه صحيح، وكلما قرأ قول رسول الله ﷺ ظن أن هذا حديث يُؤخذ به، لا، لا بد أن تميز بين الغث والسمين، بين الصواب والخطأ، بين المرفوض والمقبول، وهذه إحدى ثمار العلم، أن تعرف ما يُقبل وما يُرد، وتميز بينهما.

### بداية الطريق على نور:

كذلك من ثمار العلم أن تبدأ طريقك على نور من أوّل الأمر، فتعبد الله على عقيدة سليمة، خالية من الشرك، سالمة من الخرافة والأباطيل، لا تكفي النية الصالحة، ولا يكفي القصد الحسن، فكثير من المسلمين وقعوا في الشريكيات وهم أصحاب نيّات صالحة، طافوا بالقبور كما يُطاف حول الكعبة، ونذروا للموتى وذبحوا لهم، ودعواهم من دون الله، واستغاثوا بهم من دون الله، وهذا شرك في الدين، لا يستطيع أحد أن يقول هذا مُباح أو مقبول بحال من الأحوال.

إنّ الله علمنا أن نقول كلّ يوم سبع عشرة مرّة على الأقل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، لا بدّ أن تتعلم كيف تعبد الله وحده، وتستعين به وحده، «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَاً مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، أي من المشركين، فإن الشرك ظلم عظيم.

(١) رواه أحمد (٢٦٦٩)، وقال مُخَرِّجوه: إسناده قوي. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح. وصحّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٣٠٢)، عن ابن عباس.

## إخلاص العبادة لله:

لا تدع إلا الله، ولا تسأل إلا الله، روح العبادة هو الدعاء، الدعاء مخ العبادة؛ بل هو العبادة، كما جاء عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، فلا تتوجه بها لغير الله، إن من تدعوه من الناس أحياء أو أمواتاً عباد أمثالكم، لا يملكون لأنفسهم ولا لكم ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فلماذا تسأل المخلوق ولا تقف بباب الخالق؟!

النية الحسنة لا تشفع لك، إن المشركين من العرب كانت نيتهم حسنة في عبادة أصنامهم، ماذا قالوا؟ قالوا عن آلهتهم المزعومة فيما حكى القرآن عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، هذه كانت نيتهم، فهل تشفع لهم هذه النية؟ لا، حكم القرآن عليهم بالشرك والكفر والخلود في النار، مع أنهم يعترفون بأن الذي خلق السماوات والأرض هو الله، لا ينفع توحيد الربوبية ما لم ينضم إليه توحيد الألوهية، وتوحيد العبادة، وتجريدها لله وحده.

## الفقه في الدين:

إن الفقه في الدين مطلوب من أول خطوة في الطريق حتى تعبد الله وحده على بصيرة، وتجنب الطاغوت، كل طاغوت، كل ما يُعظم ويُطاع طاعة مطلقة من دون الله، من أحياء وأموات، فأخلص طاعتك لله وحده، وأخلص عملك لله وحده، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، لا بد من أن تتعلم وتتفقه حتى تعرف المقبول

(١) رواه أحمد (١٨٣٥٢)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الوتر (١٤٨١)، والترمذي في تفسير القرآن (٢٩٦٩)، وقال: صحيح. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٢٨)، عن النعمان بن بشير.

من العبادة من المردود منها، فبعض الناس يعبد الله بما لم يشرعه، يعبد الله ببدع ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها في الشرع برهان، إن نيته طيبة، يريد أن يزيد في طاعته وعبادته لله، ولكن الله لا يُعبد إلا بما شرع.

### هناك أصلان أساسيان في العبادة:

الأصل الأول: ألا يُعبد إلا الله وحده.

والأصل الثاني: ألا يُعبد إلا بما شرع، لا بالأهواء ولا بالبدع، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، كلُّ مُحدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، «من أحدث في أمرنا هذا - أي في ديننا - ما ليس منه فهو ردٌّ»، «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(١)</sup> أي مردود عليه، هكذا علمنا رسول الله ﷺ.

### موازين قبول الأعمال:

وهناك ميزانان لقبول العمل: ميزان باطني، وميزان ظاهري، الميزان الباطني يتعلق بالنية والإخلاص، وهذا ما أشار إليه الحديث المشهور: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»<sup>(٢)</sup>.

والميزان الظاهري أن يكون العمل وفقاً للشئنة، وفقاً للصورة التي جاء بها الشرع، وهذا ما جاء به الحديث الآخر: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». لا بد أن يكون على أمر رسول الله ﷺ، وعلى شرع رسول الله وسنته ﷺ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧) عن عمر بن الخطاب.

لا بدّ للمسلم أن يتعلم حتّى لا يتعبد إلى الله بمبتدعات ما أنزل الله بها من سلطان، ولا بدّ للمسلم أن يتعلم حتّى يعرف الحلال من الحرام، فلا يقع في الحرام وهو لا يدري، يرتكب أشياء يظنها حلالاً وهي حرام، وإنّما يعرف ذلك بالعلم، يقف عند الحلال ويتحرّاه، ويتعد عن الحرام مهما كان، ف«كلّ جسم نبت من سُحتٍ، فالنّار أولى به»<sup>(١)</sup>.

بل يتحرّى أن يجتنب الشُّبهات، ف«إنّ الحلال بيّن، وإنّ الحرام بيّن، وبينهما أمور مُشْتَبِهَات لا يعلمهنّ كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشُّبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه، ومن وقع في الشُّبهات وقع في الحرام، كالذي يرمى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه»<sup>(٢)</sup>.

### لا تُقبل النافلة حتّى تُؤدّى الفريضة:

لا بدّ للمسلم أن يعرف الحلال من الحرام، حتّى يسلك سلوكه عن بيّنة، ولا بدّ للمسلم أن يكون على علم وفقه؛ حتّى يعرف مراتب الأعمال، يعرف تسعيرة كل عمل، فلا ينشغل بالمفضول عن الفاضل، ولا بالمرجوح عن الراجح، ولا بغير المهم عن المهم، ولا بالمهم عن الأهم، إنّ الله لا يقبل النافلة حتّى تؤدّى الفريضة!

بعض النّاس يذهبون لأداء الحجة العاشرة أو العشرين، أو يذهب للعمرة في كل رمضان، وعليهم ديون للعباد لم يوفوها، أولى بهم من الحج والعمرة أن يوفوا ديون العباد، أن يردوا المظالم إلى أهلها، أن يُبرئوا ذمتهم قبل كل شيء.

(١) سبق تخريجه ص ١٧١.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.



وبعض النَّاس يقيمون الولائم عريضة واسعة، ولكنهم لا يخرجون الزكاة، زكَّ مالك، أدَّ الركن الدعامة الثالثة للإسلام، إيتاء الزكاة قبل التوسع في هذه المظاهر التي يدفع إليها كثيرًا الرياء الاجتماعي.

وبعض النَّاس ينشغل بالنوافل عن الفرائض، ومن شغله الفرض عن النفل فهو معذور، أمَّا من شغله النفل عن الفرض فهو مغرور، إنَّ الله لا يقبل النافلة حتَّى تؤدَّى الفريضة، وإذا كان هناك فرض كفاية وفرض عين؛ فقدَّم فرض العين على فرض الكفاية.

ومن هنا جاء في الأحاديث أنَّ النبي ﷺ أمر من طلب منه الجهاد إذا كان له والدان أن يرجع لير والديه، «ارجع فأضحكهما، كما أبكيتهما»<sup>(١)</sup>، «ففيهما فجاهد»<sup>(٢)</sup> ما دام الجهاد فرض كفاية؛ فإنَّ برَّ الوالدين فرض عين فيقدم فرض العين على فرض الكفاية، ولكن إذا صار الجهاد فرض عين كما إذا هجم الكفار على بلد؛ فإن على جميع أهله أن يقاوموا ويجاهدوا، وهنا يكون فرض العين المتعلق بالأمة والجماعة أهم من فرض العين المتعلق بالأفراد، فيجاهد الولد بغير إذن أبيه، والمرأة بغير إذن زوجها، والخادم بغير إذن سيده؛ لأن الجهاد هنا أعظم من تلك الفروض العينية الفردية.

### مراتب الأعمال:

هناك مراتب للأعمال، لا يجوز للإنسان أن ينشغل بعمل عما هو أهم منه، فبعض النَّاس يشتغل بالأمور المختلف فيها ويُهمل الأمور المتَّفَق

(١) رواه أحمد (٦٨٣٣)، وقال مخرَّجوه: حسن. وأبو داود في الجهاد (٢٥٢٨)، والنسائي في البيعة (٤١٦٣)، وابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٢)، والحاكم في البر والصلة (١٥٣/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٤٠/٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٠٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٤٩)، عن عبد الله بن عمرو.

عليها، هناك أشياء تختلف فيها المذاهب، ويختلف فيها الفقهاء، لا ينبغي أن تكون هذه محور شغلنا وهمنا، إنما نهتم بما اتفق عليه قبل الاهتمام بالمختلف فيه، إنَّ العلماء قالوا: لا إنكار في المسائل الاجتهادية. أي إذا رأيتَ أمرًا مجتهدًا فيه بين العلماء ومختلفًا فيه بينهم؛ فلا تنكر على من خالفك؛ فإنَّه يتبع إمامًا معتبرًا ومذهبًا معتبرًا.

### لا إنكار في مسائل الخلاف:

كنتُ في الجزائر في هذا الصيف، وكان معي بعض الإخوة الذين لم يروا آثار المذهب المالكي؛ فاستغربوا حيث وجدوا الأذان (الله أكبر الله أكبر) مرتين وليس أربعًا، (قد قامت الصلاة) مرّة واحدة، والمصلي يقف في الصلاة مسدلاً يديه، ولا يضع يداً على يد عند القراءة وعند القيام، والخروج من الصلاة بتسليمة واحدة، عدد من الأشياء استنكرها! كاد يصرخ: ما هذا الذي تفعلون أيُّها الناس، فقلتُ له: هذا مذهب الإمام مالك، الذي يسير عليه أهل هذا البلد.

من جهل العلم يمكن أن ينكر الأمور التي يختلف فيها الناس، ولكن لا بدّ للمسلم أن يعرف ما الذي يمكن أن ينكره، وما الذي لا ينكره، الأمور المختلف فيها بين الأئمة المعبرين لا يجوز إنكارها إلّا بين أهل العلم بعضهم وبعض، من باب الحوار العلمي الهادئ البناء، أمّا أن يعتبر ذلك منكرًا يجب تغييره باليد أو باللسان؛ فهذا أمر لا يجوز.

يا أيُّها الإخوة، إنَّ علينا أن نتفقه في ديننا، إنَّ التفقه في الدين هو أوّل ما ينبغي أن نفعله، يقول الإمام الحسن البصري: اطلبوا العلم طلبًا لا يضر بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا يضر بالعلم، فإن قومًا طلبوا العبادة قبل أن يطلبوا العلم؛ فخرجوا بأسياهم على أمة

مُحَمَّد ﷺ<sup>(١)</sup>. يعني بذلك الخوارج الذين كانوا من أشد الناس تعبدًا، يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم، وقراءته إلى قراءتهم، ولكنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، لم يتعمقوا في فهمه، ولم يحسنوا التفقه فيه، فوقفوا عند الظواهر وضربوا النصوص بعضها ببعض، وخرجوا بأسيافهم يقتلون أمة مُحَمَّد ﷺ، حتى جاء في الحديث: «يَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، وَيَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ»<sup>(٢)</sup>. وهذا من سوء فهمهم وفقههم.

لا بدّ - إذن - من الفقه السليم الذي يجمع النصوص بعضها إلى بعض، ويرد المتشابهات إلى المحكمات، والظنيات إلى القطعيات، لا بدّ من فقه، هذا الفقه هو الأساس الأوّل لمن أراد أن يصلح نفسه، وأن يسير على طريق الله المستقيم، إنّ السير على غير هُدى لا يؤدي إلى استقامة، ولا يؤدي إلى الغاية المنشودة، إنّما يؤدي إلى الغاية المنشودة أن تسير على بيّنة من أمرك، وعلى هُدى من ربك، وعلى بصيرة من دينك، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

(١) جامع بيان العلم (٥٤٥/١).

(٢) سبق تخريجه ص ٩٢.



## العلم والتعليم (١)<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

اقترح عليّ بعض الإخوة بمناسبة بدء العام الدراسي الجديد أن أتحدث عن العلم والتعليم، وأهميّة العلم والتعليم في حياتنا، وماذا علينا أن نفعل حتّى نرقى بالتعليم ليؤدي رسالته، ويحقق أهدافه، ويؤتي أكله لأفرادنا ومجتمعاتنا؟

### أمة العلم:

نحن المسلمون أمة العلم، العلم عندنا دين، والدين عندنا علم، أنزل الله ﷻ أوّل ما أنزل من كتابه على رسوله مُحَمَّد ﷺ هذه الآيات: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥].

تحدثت هذه الآيات عن القراءة والتعليم، والقراءة مفتاح العلم، ولكنها ليست مجرد قراءة، أي قراءة، إنّما هي قراءة باسم الرب الذي

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٨ سبتمبر ٢٠٠٠م.

خلق، باسم الرب الأكرم الذي علّم بالقلم، قراءة باسم الله، وهذا هو المطلوب في العلم الإسلامي: أن يكون علما في حضانة الإيمان، وليس مجرد علم معزول عن الدين وعن الربانية.

نحن أمة العلم ولهذا ينبغي علينا أن نهتم بهذا العلم. الله تبارك وتعالى قال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. بهذه الصيغة العامة: لا يستوي مَنْ يعلم وَمَنْ لا يعلم، أي علم كان، لا يستوي العالم والجاهل، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ \* وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ \* وَلَا الظُّلُ وَلَا الْحُرُورُ \* وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٢]، الأحياء هم أهل العلم.

أمّا الأموات فهم أهل الجهل، كما قال الشاعر:

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتُ لِأَهْلِهِ وَأَجْسَادُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورٌ<sup>(١)</sup>

فالجاهل مقبور في بدنه، رافل في كفنه، غريب في وطنه. والجهلاء مقبورون في أبدانهم، وأجسامهم قبل القبور قبور، فالإنسان يحيا بالعلم ويموت بالجهل.

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. والآيات في فضل العلم كثيرة.

### فضل العلم:

كما أن الأحاديث في فضل العلم كثيرة أيضاً، يقول النبي ﷺ: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يورَثُوا دِينَارًا وَلَا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ

(١) عزاه لبعض شعراء البصرة الماوردي في النكت والعيون (١٦٣/٢)، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

بحظ وافر»<sup>(١)</sup>. ويقول: «العلماء ورثة الأنبياء»<sup>(٢)</sup>. ويقول: «إِنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع»<sup>(٣)</sup>. ويقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا: سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»<sup>(٤)</sup>.

ويقول: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتْهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»<sup>(٥)</sup>. هذه الفوائد الأربع لمن يجتمعون ليتلوا كتاب الله ويتدارسوه، ليس مجرد التلاوة؛ بل التلاوة والتدارس، تذاكر العلم فيما بينهم، إقامة حلقات العلم.

ولذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه: خير المجالس مجلس تُعَلَّم فيه الحكمة، وتُنشَر فيه الرحمة<sup>(٦)</sup>. وجاء في بعض الآثار: مجلس علم خير من عبادة سنة، أو من عبادة ستين سنة<sup>(٧)</sup>. ويقول ابن عباس: لأن أتذاكر العلم بعض ليلة أحب إليّ من إحيائها<sup>(٨)</sup>.

(١) رواه أحمد (٢١٧١٥)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) كلاهما في العلم، وابن ماجه في المقدمة (٢٢٣)، وابن حبان في العلم (٨٨)، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (٧٠٣): صحّحه ابن حبان والحاكم وغيرهما، وحسنه حمزة الكتاني، وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها. عن أبي الدرداء.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) رواه أحمد (١٨٠٩٨)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الدعوات (٣٥٣٥)، وقال: حسن صحيح. وأبو داود الطيالسي (١٢٦١)، عن صفوان بن عسال.

(٤) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

(٥) جزء من الحديث السابق.

(٦) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٤٤).

(٧) رواه الطبراني (٣٣٧/١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٣٧٩)، وحسن إسناده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ص ٢٠٥، وضعفه الألباني في الضعيفة (٩٨٩)، عن ابن عباس.

(٨) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن (٤٥٨)، تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، نشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.



من أجل هذا كان للعلم في هذه الأمة منزلة عظيمة، كانت المساجد مدارس للعلم، كانت الجوامع جامعات للعلم، جامعاتنا الكبرى في العالم الإسلامي نشأت تحت سقوف الجوامع: جامعة الأزهر أو جامع الأزهر، وجامعة الزيتونة أو جامع الزيتونة، وجامعة القرويين أو جامع القرويين، هذه الجامعات نشأت على حصر الجوامع، ثم أنشأ المسلمون المدارس لتعليم الناس، بعد أن أخذ التعليم صفة تنظيمية أنشؤوا المدارس، ووقفوا عليها الأوقاف وحبسوا عليها الحبوس.

وكان المسلمون هم أمة العلم الأولى في العالم، كان المسلمون لعشرة قرون هم سادة الدنيا، تعلم منهم الناس في أوروبا وغيرها، كانت مدارس المسلمين وجامعاتهم موطناً لطلاب العلم، يفدون إليهم، ينهلون من مناهل العلم عندهم، وكانت كتب المسلمين في العلم هي مراجع العالم، وكانت أسماء علماء المسلمين أجمع الأسماء في دنيا العلم في العالم كله.

وكانت اللغة العربية هي لغة العلم، وكان الذين يريدون أن يتعلموا العلم الحقيقي يحاولون أن يتقنوا اللغة العربية، كما نحاول نحن في عصرنا دراسة الإنجليزية أو الألمانية أو الفرنسية، كانوا يتعلمون العربية ليستفيدوا العلم من معينه الصافي من علمائنا.

هكذا كان أمرنا لمدة عشرة قرون، كنا نحن الأمة الأولى، وكنا نحن العالم الأول المعلم للآخرين، كنا نقوم بأستاذية الدنيا كلها، كنا العالم الأول والأمة الأولى لأننا جمعنا بين العلم والإيمان، بين الرقي المادي والسمو الروحي والأخلاقي، هكذا علمنا ديننا.

والآن ما حالنا؟ إذا نظرنا إلى حالنا نحن العرب، ونحن المسلمين نجد أننا في مؤخرة الأمم، في ذيل القافلة، وكنا في مأخذ الزمام منها،

نحن الآن يُسمُّوننا (العالم الثالث)، وإن كان هناك عالم رابع يمكن أن  
نُنسب إليه!

### محاربة الإسلام للأمية:

الأمية منتشرة في عالمنا الإسلامي، هناك عشرات الملايين، بل  
مئات الملايين في عالمنا الإسلامي لا يقرؤون ولا يكتبون ولا يحسبون،  
مع أنَّ محمدًا ﷺ - وهو النبي الأمي - أوَّل مَنْ حارب الأمية، جاء يُعلِّم  
النَّاس الكتاب والحكمة.

ولذلك حينما أُتيحت له أوَّل فرصة علَّم النَّاس الكتابة، في غزوة بدر  
كان هناك أسرى من مشركي قريش، وكان بعض هؤلاء الأسرى يتقنون  
الكتابة، فجعل النبي ﷺ فداءهم أن يُعلِّم كل واحد منهم عشرة من أولاد  
المسلمين الكتابة. قال زيد بن ثابت: فكنت ممَّن تعلَّم على أيدي  
هؤلاء<sup>(١)</sup>. زيد بن ثابت كاتب الوحي، وهو الَّذي نسخ القرآن بعد ذلك  
تعلَّم الكتابة على أيدي هؤلاء المشركين.

نحن المسلمين نجد أننا في أوائل الأمم التي تنتشر فيها الأمية،  
ونجد أنَّ التعليم في ديارنا لا يُؤتي أكله كما ينبغي، عندنا آلاف  
المدارس، وربَّما ملايين المدارس، وعندنا آلاف الجامعات في العالم  
الإسلامي، ولكن هل تُخرِّج العلماء الحقيقيين؟ هل تُخرِّج الباحثين  
الحقيقيين؟ أم تُخرِّج مجرَّد أناس موظفين.. حفظوا أشياء وامْتَحَنُوا فيها،  
ونسوها بعد الامتحانات؟

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٢٢/٢)، عن الشعبي مرسلاً. تحقيق إحسان عباس، نشر دار  
صادر، بيروت، ط ١، ١٩٦٨م.

طريقة التعليم عندنا لا تزال تقوم على الحفظ والصم، لا على الفهم والهضم، كان علماء السلف يقولون: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم نور يقذفه الله في القلب. هذا النور لا يوجد عندنا، كثيرًا ما نشتكى من ضحالة مستوى الخريجين، أنهم لا يعرفون شيئًا لا عن دينهم ولا عن دنياهم، لا يحسنون أن يقرؤوا جملة صحيحة، لا يعرفون فاعلاً من مفعول، بل كثيرون لا يحسنون أن يكتبوا الكلمات العادية في الإملاء.

حكى بعض الصحافيين أن بعض الخريجين أرسل إليه رسالة يشتكي أنه لم يجد وظيفة، وقد تخرّج منذ سنتين أو أكثر، وكتب له في هذه الرسالة التي فيها كلمة (نحن)، كيف كتبها؟ كتبها (نحنوا)، جعلها كأنها فعل وفيه واو جماعة، فهناك مَنْ لا يعرف أن يكتب كلمة (نحن) التي نقرأها في اليوم مئات المرات في أيّ كتاب أو أيّ صحيفة، هذا هو المستوى الذي وصلنا إليه.

### الأمم ترتقي بالعلم:

إنّ الأمم المتقدمة تحاول أن ترقى بتعليمها، أمريكا - وهي أقوى دولة في العالم - نظرت إلى مستوى التعلّم والثقافة، ووجدت أنه قد انحطّ إلى حدّ بعيد، وأنه ينذر بكارثة لهذه الأمة المتفوقة، واجتمع المجتمعون وألفوا لجانًا، ونظروا في التعليم وفلسفته وأنظمته، ومناهجه ومؤسساته، وانتهوا إلى أن كتبوا كتابًا موجزًا مُرَكَّبًا عنوانه (أمة على حافة الخطر)، هكذا ترجمه أخونا وصديقنا المربي الكبير الدكتور يوسف عبد المعطي في الكويت، وبينوا معالم هذا الخطر، وعناصر هذا الخطر، ما عاد التعليم يُخرّج إنسانًا مستنيرًا، إنسانًا مثقفًا، إنسانًا باحثًا؛ فكيف بالحال عندنا؟!

والعجيب أنَّ هؤلاء الأمريكيان جاؤوا بفريق من اليابانيين، وطلبوا منهم أن ينظروا في أنظمة التعليم ومؤسساته عندهم، ويحددوا ما هي الأمراض التي يشكو منها التعليم؟ وما هي الأدوية التي يصفونها لعلاج هذه الأدوية؟ لم يستح الأمريكيان أن يعرضوا مشكلتهم على غيرهم؛ فكيف بنا نحن؟!

لا بدَّ لنا من نظرة في تعليمنا كله، في أساس هذا التعليم، في فلسفته العامة، لا بدَّ لكل تعليم من فلسفة، التربية الحديثة معظم اهتمامها للأسف بالوسائل والآليات، طريقة التدريس، والمعينات السمعية والبصرية، إلى آخره، وهذا مطلوب لا بدَّ منه، ولكن قبل الوسائل لا بدَّ أن نعرف الأهداف والغايات، لكل نظام في الدنيا فلسفة وأهداف، فمنَّ هو الإنسان الذي نربيّه؟

كان الشيوعيون يقولون: نريد أن نربي الإنسان البروليتاري، وليس الإنسان البرجوازي، ولا الإنسان الرأسمالي. وجماعة أخرى يقولون: نريد الإنسان الثوري. وآخرون يقولون: نريد الإنسان الليبرالي. فمن نريد نحن؟ لا بدَّ أن تكون لنا فلسفة من وراء التعليم، ما هو الإنسان الذي نريده؟

نحن نريد الإنسان الناجي في سورة العصر، الله تعالى يقول: ﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

كل النَّاس هالكون وخاسرون في الدنيا والآخرة إلا هذا الإنسان، الإنسان المؤمن، والإيمان عندنا نحن المسلمين لا بدَّ أن يُبنى على العلم، ليس الإيمان مضاداً للعلم ولا مقابلاً له، بل لا يقوم الإيمان إلا

على أساس من العلم، وأي إيمان يقوم على أساس من التقليد الأعمى، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، أو ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ [الأحزاب: ٦٧]، هذا الإيمان مرفوض.

لا بدّ أن يكون الإيمان على بينة، وعلى بصيرة، وعلى علم، ولذلك يقول القرآن: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤]. تأمل التعبير: علم فإيمان فإخبات، علماء اللغة يقولون: الفاء تفيد التعقيب والترتيب بلا مهلة. فهو لاء يعلمون الحق، فيؤمنوا به، فتخبت له قلوبهم.. تتحرك بالإخبات والخشوع والتواضع لله وَعَلَيْكُمْ، فالعلم عندنا نحن المسلمين أصل الإيمان، وليس ضد الإيمان.

ولذلك يقول القرآن: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦]. العلم والإيمان معاً، فإذا قلنا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. عرفنا أنهم آمنوا إيماناً مؤسساً على علم وبصيرة، نظروا في آيات الله في الكون، في الآفاق، وفي أنفسهم، ونظروا في القرآن الكريم ودلالته على أنه من عند الله، ونظروا في سيرة مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ فعلموا أن هذه السيرة لا يمكن أن تكون سيرة متنبئ دجال، ولا سيرة كاهن يتاجر بالدين، ولا سيرة طالب للملك، عرفوا من هذا كله صدق هذا الدين.

وانظر إلى هذا التعبير، السورة تقول: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ \* إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا. لم تقل: إِلَّا الَّذِي آمَن. بل قالت بصيغة الجمع: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. دليلاً على أن الإنسان لا بدّ أن يعيش في مجتمع، إن الفرد وحده لا يمكن أن يسعى وينهض ويسعد إلا بجماعته، المرء قليل بنفسه كثير بجماعته.

ولا يكفي الإيمان النظري، لا بدّ أن يثمر الإيمان واقعاً، ويحقّق نفسه في الحياة، ولذلك الإيمان الحق هو ما وقر في القلب وصدّقه العمل، وأيُّ عمل؟ عمل الصالحات، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، والصّالحات تعبير قرآني جامع يشمل ما يصلح به الفرد، وما تصلح به الجماعة، وما تصلح به الدُّنيا، وما تصلح به الآخرة، سواء كانت هذه الصّالحات من أمور الدين؛ كالعبادات، أو من أمور الدُّنيا؛ كإتقان العمل المعيشي: الزراعة، والصناعة، والاحتراف، والطب، والهندسة، وغيرها.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، لا يكفي أن يكون الإنسان مؤمناً صالحاً في نفسه، ولكنه يعيش في صومعة منعزلاً عن الناس، يقول: نفسي نفسي، ما لي وللناس، ما لي وللمجتمع؟ لا، لا بدّ أن يُعنى بهموم المجتمع، لا بدّ أن يحمل هم الأمّة من حوله، لا بدّ أن يعيش للآخرين كما يعيش لنفسه، فإذا رأى منكراً نهى عنه، وإذا رأى معروفاً مُضيّعاً أمر به، وإذا رأى خيراً أهمل النَّاس فيه دعا إليه، فهو داعٍ إلى الخير، أمّار بالمعروف، نهّاء عن المنكر، هذا هو شأن الإنسان المؤمن، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾.

وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا﴾. صيغة تفاعل، تعني أنّ الإنسان المؤمن يتفاعل مع المجتمع من حوله تفاعلاً إيجابياً، يُوصي ويوصى، يوصي غيره بالحق والصبر، ويقبل من غيره الوصيّة بالحق والصبر، وليس هناك أحد أصغر من أن يُوصي، وليس هناك أحد أكبر من أن يُوصي، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

وقد قرن القرآن الحقّ بالصبر ليدلّنا على أنّ الطريق طويل، وأنّه مليء بالأشواك، وأنّه يحتاج إلى تضحيات، فلا بدّ من الصبر على طول



الطريق، وعلى مشاق الطريق، وعلى أشواك الطريق، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. هذا هو الإنسان الذي نريد أن نربيّه، لا بدّ أن تقوم فلسفتنا على هذا الأساس.

ومن هنا، فالتربية التي لا تُخرّج إنساناً مؤمناً، وإنّما تُخرّج إنساناً فارغاً من الدين، خاوياً من العقيدة، مُزعزع اليقين: ليست التربية المنشودة؛ بل هذه التربية تُدمّر ولا تبني، تميت ولا تحيي.

والتربية التي تُخرّج إنساناً يقول: أنا مؤمن. ولا يعمل الصّالحات في نفسه ولا فيما حوله، وكذلك التربية التي تُخرّج إنساناً صالحاً في نفسه غير مصلح لغيره - ليست هي التربية المنشودة.

لا بدّ إذن أن نحدّد فلسفتنا نحن المسلمين في التعليم والتربية، نحن نريد أمة ينتشر فيها النور، تتعلم دينها ودنياها معاً، وليس كما يدّعي بعض النّاس أننا نُعلم النّاس علوم الدين ولا نعلمهم علوم الدُّنيا، لا، بل كل علم نافع هو علم مطلوب، سواء كان للدين أم للدنيا.

علماؤنا الأقدمون المحققون قالوا: إنّ كل علم يحتاج إليه المسلمون في دينهم أو دنياهم فإن تعلمه وإتقانه والتفوق فيه فرض كفاية على الأمة. إذا كانت الأمة تحتاج إلى علم الطب، أو علم الهندسة، أو علم الفلك، أو علم الفيزياء، أو علم الكيمياء، أو علم الجيولوجيا، أو علم البيولوجيا، أو غير ذلك فلا بدّ أن تتعلم الأمة هذه العلوم وتتنقنها، حتّى تكتفي اكتفاءً ذاتياً، ولا تكون عالة على غيرها، كما نرانا نحن اليوم.

نحن اليوم عالة على غيرنا في أمور كثيرة، في الصناعات الثقيلة نحتاج إلى غيرنا، في الأسلحة الثقيلة نحتاج إلى غيرنا، لم نصنع

(موتورًا) مُحَرِّكًا إلى اليوم في عالمنا العربي، هذا لا يليق بأمة جعلها الله خير أمة أخرجت للناس، وبوأها مكانة الأستاذية للبشرية، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

الله تعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. كيف نستطيع أن نعد القوة التي ترهب الأعداء؟ كيف تستطيع أن تكون عندك ترسانة نووية مثل الترسانة النووية التي تملكها إسرائيل؟ هذا لا يكون بمجرد قراءة صحيح البخاري ولا بقراءة الكتب الدينية القديمة، لا بد أن يكون فينا من العلماء والمتخصصين والخبراء مَنْ يوازي الآخرين أو يتفوق عليهم، ولسنا أقل ذكاءً من غيرنا؛ بدليل أن هناك عشرات الألوف من العقول المهاجرة من العرب والمسلمين في أوروبا وأمريكا، بلغت مبلغًا عظيمًا هناك، وكانت لهم منازلهم في العلم والتكنولوجيا، ولكنهم لو عادوا إلى بلادنا لوضعوا على الرف، ولرُكنوا في ركن بعيد، ولم يُتفَع بهم للأسف!

نحن إذن في حاجة إلى علوم الدُّنيا وإلى علوم الدين، وليس الأمر كما قال بعض هؤلاء وقد صعد المنبر يوما، وقف بعض الدعاة إلى الدين من الجامدين والمتشددين يقول: الحمد لله الذي سخر لنا الإفرنج الكفرة ليشغلوا بعلوم الدُّنيا، وفرغنا نحن المسلمين لنشغل بعلوم الدين.

تصوِّروا يحمد الله على هذه المصيبة.. أن الإفرنج الكفرة يشغلون بعلوم الدُّنيا، وسخروا الفضاء، وصنعوا الإلكترونيات، واخترعوا الكمبيوتر، ووصلوا إلى القمر، ويحاولون أن يغزو الكواكب الأبعد، وقاموا بثورة الاتصالات، وثورة المعلومات، والثورة الإلكترونية والثورة

البيولوجية إلى آخره، هو يقول: سخر الله هؤلاء لهذه العلوم، وفرغنا نحن لنجلس فقط نقرأ في كتب الفقه وكتب التفسير وكتب الحديث، ونترك غيرنا يقود العالم بهذه العلوم! أهذا فهم لدين الله أم سوء فهم؟!

### الأمة الأولى في علوم الدين والدنيا:

نحن في حاجة إلى أن تكون أمتنا هي الأمة الأولى في علوم الدين، وفي علوم الدنيا.

ونجد للأسف بعض هؤلاء يفتح دور العلم للرجال دون النساء، لا زال في بلادنا من يرى أن المرأة لا ينبغي أن تتعلم أكثر من التعليم الابتدائي، ناقشت أحدهم فقال لي: لا يجوز أن نُعلِّم المرأة أكثر من التعليم الابتدائي. قلت له: ولكننا في حاجة إلى المرأة الطيبة التي تعالج النساء، وإلى المرأة الممرضة التي تُمرِّض النساء، وفي حاجة إلى المرأة المُعلِّمة التي تُعلِّم البنات. قال: أجاز العلماء أن تُعالج المرأة عند الرجل للضرورة. قلت له: هذه الضرورة استثناء فكيف نريد أن نجعلها أصلاً وقاعدة للحياة الإسلامية؟! المفروض أن المسلمين لا يستسلمون للضرورة حتى تصبح قاعدة أساسية في حياتهم، لا بدّ أن يخرجوا عن هذه الضرورة فهي مجرد استثناء.

ثم قلت له: ألسنا في حاجة إلى مُعلِّمات يَعْلَمْنَ هؤلاء البنات في المدارس؟ لا بدّ أن يكون المعلمات أكثر علماً منهنّ فلا بدّ أن يكنّ معهن شهادة أعلى، وهؤلاء المعلمات لا بدّ أن يعلمهن مَنْ هو أعلى منهن فلا بدّ من شهادة أعلى من الجامعية، فالتعليم يجر بعضه إلى بعض.

وقال لي بعض الإخوة: إن بعض الجماعات في أفغانستان لا تجيز للفتاة أن تذهب إلى المدرسة إذا بلغت ثماني سنين أو تسعة لأنها أصبحت أنثى تُشتهى، فلا ينبغي أن يُسمح لها بالذهاب إلى المدارس لأن هذا فتنة.

قلت: سبحان الله! إذا كانت هي تذهب إلى المدرسة في سنِّ السابعة، وتُحبس في سن الثامنة فماذا تتعلم؟ وهل يمكن أن تتعلم شيئاً؟ والله تعالى يقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، ويقول: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثِي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. أي الرجل من المرأة، والمرأة من الرجل، هو يُكَمِّلُها وهي تُكَمِّلُها، ليس الرجل عدواً للمرأة، ولا المرأة خصماً للرجل، ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾، ويُعبر النبي ﷺ عن هذا المعنى فيقول: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ»<sup>(١)</sup>. فلا بد أن نفتح أبواب التعليم للرجال والنساء جميعاً.

### تعليم الفتيات:

ولا زلت أذكر منذ حوالي أربعين سنة أوّل ما قدمت إلى قطر وقد وجدت آثار معركة دارت بين بعض المشايخ وبعض: هل تتعلم الفتاة القطريّة أو لا تتعلم؟ كانت تتعلم في الكُتّاب وتحفظ القرآن ونحو ذلك، فلما فُتحت المدارس الابتدائية دخلتها، هل تُفتح لها المدارس الإعداديّة

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرّجوه: حديث حسن لغيره. وأبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، وقال أبو عيسى: وإنّما روى هذا الحديث عبد الله بن عمر عن عبيد الله ابن عمر، وعبد الله ضعّفه يحيى بن سعيد من قبل حفظه. كلاهما في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.

والثانوية أيضًا؟ حدث نقاش طويل، ومعركة حامية، بعضهم كان يقول: لا يجوز أن تذهب للتعليم بعد المدرسة الابتدائية. وبعضهم يقول: لا بد أن نفتح لها باب العلم.

وانتصر الرأي الثاني الذي يقول بفتح باب العلم للفتاة لتتعلم، إنَّ التعلم ليس خطرًا، التعلم ينير الطريق ويهدي السبيل، الجهل هو الخطر، يمكن حين تتعلم الفتاة أن تتعلم بعض ما يضر، ولكن العلم في جملته نافع، وخصوصًا إذا كان علمًا مستوفيًا للشروط، إذا كانت هذه الأدوات التعليمية تؤدي وظيفتها كما ينبغي، تغرس العلم والإيمان، تغرس المعرفة والخُلُق، تهتم بالسلوك الذي يحتاج إليه الإنسان كما تهتم بحشو الذهن بالمعلومات، هذا هو الذي حدث أيُّها الإخوة.

ثم بعد مدّة من السنين رأيت بعض الذين يمنعون الفتاة من الذهاب إلى المدرسة يكتبون إلى مدير جامعة قطر يطالبونه بفتح باب التعلم لكل الطالبات في قطر، كانت الجامعة تشترط ستين أو خمسة وخمسين في المائة، وكانت بعض الطالبات لا ينطبق عليهن هذا الشرط فلا يقبلن، فبعض الذين كانوا يمنعون تعلم الفتاة في المدرسة الإعدادية جاؤوا بعد عدة سنوات وقد تغير تفكيرهم، وأصبحوا يطالبون بفتح باب الجامعة لكل الفتيات، هذا دليل على أن أذهان البشر وأفكارهم لا عصمة لها، وأنّها تتغير بتغير الزمان والمكان والإنسان.

والذي نريد أن نوّكده أيُّها الإخوة أننا لا بدّ أن ننظر في التعليم، في أسسه، وفي المتعلم، وفي المعلم، وفي المنهج، وفي الكتاب، وفي المدرسة، وفي الأسرة والمجتمع، وفي كل هذه المقومات التي لا بدّ أن تتوافر في صورة صحيحة حتّى تُنتج تعليمًا نافعًا، تعليمًا يحقق رسالة



الأُمَّة، ويحافظ على هُويتها وشخصيتها الإسلامية والتاريخية حتَّى تؤدي دورها في هذه الحياة كما يريد الله لها، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*







## الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لي كلمتان في هذه الخطبة:

### المساومة على القدس:

الكلمة الأولى حول قضيتنا المحورية والمركزية، قضية المسلمين الأولى، قضية القدس الشريف والمسجد الأقصى، ولا يتسع المقام لتطويل الحديث حول هذه القضية، وطالما تحدثنا عنها، وسنظل نتحدث عنها ما دامت إسرائيل تحتل أرض الإسراء والمعراج والمسجد الأقصى، وتحفر حوله الحفريات، وتدعي أنّها صاحبة الحق وحدها في السيطرة على هذه الأماكن المقدسة، وأنّ القدس جزء لا يتجزأ من العاصمة الموحدة الأبدية لإسرائيل.

ولا زالت المفاوضات التي يحرص عليها مَنْ يحرص تتوقف ثمّ تتحرك، وتسير ثمّ تتباطأ، ولا نجني ثمرة من ورائها، إسرائيل متمسكة، وللأسف المفاوضات الفلسطينية والعرب في كل يوم يقولون كلاماً يُشعر بالتهاون في هذا الأمر.

هناك مَنْ يقول: إنّنا إذا لم نقبل أن تكون لنا القدس الشرقية، فلنكن القدس الشرقية والقدس الغربية عاصمة للعالم جميعاً! ما معنى هذا؟ أتنازل عن حقوقك وسيادتك على أرضك للعالم أجمع؟ وما معنى العالم أجمع؟ هذه كلمات مطاوعة لا يفهم منها إلا التنازل عن الحق وعن السيادة.

وآخر يقول: تكون السيادة لمنظمة المؤتمر الإسلامي. وهل تملك

منظمة المؤتمر الإسلامي شيئاً تستطيع أن تسيطر به؟ ومع هذا إسرائيل ترفض هذا كله، وتتمسك بأنها صاحبة الحق وصاحبة الأرض، هو منطق القوة وليست قوة المنطق.

تَكَلِّمُ السَّيْفُ فَاسْكُتْ أَيُّهَا الْقَلَمُ      تحكّم الذئب فاخضع أيُّها الحملُ

هم يتكلمون من منطق القوة، ونحن نتكلم من منطق الوهن، الله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَتَمَلَّكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

ليس أمامنا إلا أن نرفض هذه المساومات رفضاً قاطعاً، وقد نوهت هنا من قبل بما قاله الرئيس عرفات: إننا نحن الفلسطينيين لا نملك حق التصرف في القدس؛ لأنها ملك أمة العرب وأمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها. وهذا كلام صحيح، نحن أمة الإسلام نرفض السيادة لإسرائيل على هذه الأرض المقدسة، على القبلية الأولى للمسلمين، على ثالث المسجدين المُعظَّمين، نتمسك بحقنا حتى يُظهر الله الحق أو نهلك دونه، ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٤].

### خطف جماعة أبي سيف للرهائن:

الكلمة الثانية أيُّها الإخوة، حول ما نقرؤه ونشاهده ونسمعه من هذه الجماعة التي تُسمى (جماعة أبو سيف)، أي جماعة هذه التي تدّعي أنها تجاهد من أجل الإسلام، وتنتمي إلى الإسلام والجهاد الإسلامي، ثم تختطف أناساً ليس لهم في الحرب ناقة ولا جمل، ولا عنزة ولا حمل، وليس لهم بهذه الأمور سبب ولا نسب، أناس جاؤوا من بلاد أخرى؛ فلماذا تأخذهم وتختطفهم وتحتجزهم، وتهدّد الآخرين بهم، وتهدّد الآن بذبحهم؟ ما ذنب إنسان ليس له شأن في هذا الأمر؟

الله تعالى يقول: ﴿أَلَا نَزَرُ وَأَزَرُهُ وَزَرَ أُخْرَى﴾ [النجم: ٣٨]. هذا هو المبدأ الإسلامي، مبدأ العدل المطلق، لا يؤاخذ أحدٌ بذنب آخر، ولو كان أباه وأمه، أو ابنه أو أخاه، الإنسان مسؤول عن نفسه.

والنبي ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها»<sup>(١)</sup>. فكيف بمن حبس أناسًا لا ذنب لهم، والنبي ﷺ يقول: «لا يحلُّ لمسلم أن يروّع مسلمًا»<sup>(٢)</sup>. وإنما قال: «يُروّع مسلمًا». لأنَّ الترويع كان قد حدث لمسلم، إنما لا يجوز لإنسان أن يروّع إنسانًا بغير سبب، إذا لم يكن محاربًا للإسلام والمسلمين؛ فلا يجوز ترويعه، وإنما المطلوب أن تبره وتقسط إليه، ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

ولهذا ننكر هذه الأعمال، وقد أنكرت من قبل خطف الطائرات، أن يخطف إنسان طائرة ويروّع أهلها ولا ذنب لهم، يمكن أن أكون أنا وأنت من ركاب هذه الطائرة فما ذنبنا؟ وفي بعض حوادث خطف الطائرات قتلوا بالفعل بعض الناس وألقوهم، ما ذنب هذا المقتول، وهو ليس عدوك ولا شأن له بك؟!!

هذه جرائم ينكرها الإسلام، وتنكرها الشريعة الإسلامية، ولا يجوز لنا أن نسكت عن هذا حتَّى يُنسب إلى الإسلام ما ليس منه، هؤلاء سيؤولون إلى سمعة الإسلام، وإلى صورة الإسلام الصحيحة، ويتهم الناس الإسلام والإسلاميين والمجاهدين المسلمين بأنهم وحوش

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (٢٣٠٦٤)، وقال مخرجه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٥٠٠٤)، عن رجال

من أصحاب النبي ﷺ.



مفترة، لا يبالون بالخلق، ولا يبالون بالأخلاق، ولا يرحمون المخلوق، ولا يخشون الخالق، وهذا أمر لا يجوز.

نحن نبرئ الإسلام من هذه الجرائم ومن هذه المنكرات، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا مَنْ لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سقاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين، اللهم آمين.

\*\*\*





## العلم والتعليم (٢) (١)

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

تحدثنا في الخطبة الماضية عن التعليم والتربية، عن أهمية التعليم في حياة الأمم، وأنه كلما ارتقى التعليم كمًّا وكيفًا، وغاية وطريقًا: ارتقت الأمة في مدارج الكمال البشري النسبي، وكلما ساء التعليم في غاياته، وساء في أساليبه، وساء في مناهجه، وساء في أنظمتها، وساء في طلابه، وساء في معلميه، انحطَّت الأمة إلى أسفل الدركات بقدر بعدها عن التعليم المثالي، الذي تنشده وتصبو إليه.

إِنَّ التعليم لا ينهض ولا يرقى، ولا يبلغ أهدافه، ولا يحقق أغراضه، ولا يوتي أكله إِلَّا إذا تكاملت مقومات العملية التعليمية، وتساندت فيما بينها، بعضها مع بعض.

### مقومات العملية التعليمية:

وللعملية التعليمية عناصر ومقومات لا بدَّ أن تتحقَّق وأن تتكامل، التعليم يقوم على المتعلِّم، والمُعَلِّم، ومادة التعليم، ووسائل التعليم،

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٤ أكتوبر ٢٠٠٠م.

ومكان التعليم، وأهداف التعليم، وبتعبير آخر: مَنْ نُعَلِّم؟ الطالب أو التلميذ، وَمَنْ يُعَلِّم؟ الأستاذ أو المدرس، وماذا نُعَلِّم؟ الأشياء التي تُعَلِّم ما هي؟ وبماذا نُعَلِّم؟ المنهج والكتاب، وفيما نُعَلِّم؟ الحضانة أو المدرسة أو الجامعة، وَلِمَ نُعَلِّم؟ أهداف التعليم وغاياته، لا بد أن تتكامل هذه العناصر والمقومات حتى يؤتي التعليم أكله، ويحقق هدفه.

إذا نظرنا إلى العنصر الأول: المتعلم.. التلميذ، لا بد أن نهَيَّ التلميذ الذي يرغب في العلم، ويُقبل عليه، ويحرص عليه، ويراه ضرورة له، ليس التلميذ الذي يُستكره على التعلم استكراهًا، ويُساق إلى المدرسة سوقًا، ويعتبر المدرسة سجنًا، لا يعتبرها مكانًا مُحببًا، سمعت من كثير من التلاميذ من يسمي المدرسة سجنًا، فهناك مَنْ يقول: أنا ذاهب إلى السجن. ومن يقول: أنا ذاهب إلى المزبلة. ومن يقول: أنا ذاهب إلى الزريبة. وهكذا يكره الطلاب المدرسة التي يتعلمون فيها.

أذكر أنني عندما كنت صبيًا كنت أذهب إلى الكُتَّاب بحرص وشوق ورغبة، كنت أوَّل تلميذ يذهب إلى الكُتَّاب، وما بالكم بأول تلميذ يذهب إلى الكُتَّاب، وهو ليس مُبلِّطًا بالبلاط، إنّما هو أرض ترابيَّة، فيها من البراغيث ما فيها، فكان أوَّل تلميذ يذهب تتكالب عليه البراغيث، ولذلك سرعان ما أجلس على الدكة متربّعًا فرارًا من البراغيث، ولم يكن لتلك الدكة مساند يسند الإنسان إليها ظهره، لم تكن كدكك المدارس الآن لها مساند ومكاتب وأدراج، لا، لم يكن في الكتاتيب شيء من هذا، ومع هذا كنت أذهب برغبة وحرص؛ فلماذا لا يذهب التلاميذ إلى مدارسهم بهذه الرغبة وهذا الحرص؟ لماذا يكرهون مدارسهم؟ ما السبب في هذا؟ وَمَنْ السبب في هذا؟!



كلنا هذا السبب، المعلم سبب، والمناهج سبب، والمجتمع سبب، والأسرة سبب، أصبح هناك جو لا يحبب التلميذ في العلم، ولا يرغبه في احترامه، المجتمع الإسلامي الأوّل كان يعتبر العلم عبادة، وطلب العلم فريضة، ويعتبر العلماء ورثة الأنبياء، ويعتبر كل علم نافع مطلوباً من الأمّة، ويُلقن ذلك لأولاده، ويشيعوا هذه المعاني فيما بينهم فينشأ عليها الصغير، ويتربى عليها الكبير، أنّ العلم شرف، وأنّ العلم عبادة، وأن من منزلة العلم أنّه يرفع المملوك، حتّى يجلسه بجوار الملوك.

### العلم يرفع أهله:

قابل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عامله أو واليه على مكة المكرمة: عبد الرحمن بن الحارث، فسأله عن حال الناس في مكة، فقال: هم بخير. قال: مَنْ استخلفت عليهم؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبزى. قال: وَمَنْ ابن أبزى؟ اسم غير معلوم ولا مشهور، من أي قبيلة هذا؟ ومن أي فخذ من أفخاذ قريش؟ قال: مولى من موالينا. قال: استخلفت عليهم مولى؟! يعني لم تجد أحداً من العرب، ولا من قريش تستخلفه على أهل مكة إلّا مولى؟! قال: يا أمير المؤمنين، هو عالم بكتاب الله، عالم بالفرائض. فقال عمر: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيُضَعُ آخَرِينَ»<sup>(١)</sup>. بحفظ القرآن وعلم القرآن وبعلم الفرائض ارتفع هذا الرجل، وأصبح والياً على مكة، وفيها مَنْ فيها من أفذاذ قريش، ومن فطاحل العرب، بالعلم بلغ هذه المكانة.

وعطاء بن أبي رباح، من علماء التابعين ومن فقهاء مكة، كان عبداً لامرأة من قريش وأعتقته، وطلب العلم، وكان رجلاً أسود اللون، أعور،

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٨١٧)، وأحمد (٢٣٢)، عن عمر بن الخطاب.

أفطس الأنف، أعرج، ولكنه كان يُنادى في موسم الحج: لا يُفتي النَّاس إلاَّ عطاء بن أبي رباح<sup>(١)</sup>. أصبح مصدر الفتوى ومصدر العلم للمسلمين في أنحاء الأرض.

وذهب إليه سليمان بن عبد الملك وابناه يسألونه في بعض المناسك، فأجلسهم وصار يتكلم مع النَّاس ويعظهم، لم يبال بهذا الخليفة ولا بولديه، وأقبل على الناس، وهم يسألونه ويرد عليهم كما يرد على الآخرين، ثمَّ خرجوا من عنده وقال سليمان لابنيه: يا بُنَيَّ، اطلبوا العلم فقد وجدتم ذلنا بين يدي هذا الرجل الأسود<sup>(٢)</sup>. أذلَّ الخليفة بعلمه.

وكان هناك رجل يُسمَّى مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن هشام: أبو خالد القاضي المكي، وكان قصير الرقبة بحيث لا تكاد تُرى رقبتة، رآته امرأة مرَّة يقول: اللهمَّ أعتق رقبتي من النار. فقالت له: يا ابن أخي، وهل لك رقبة حتَّى يُعتقها؟ قالت له أمه في الصغر وقد رأت أمه شكله هذا: يا بُنَيَّ، إنَّك لن تكون في مجلس من المجالس إلاَّ وأنت المضحوك عليه والمسخور منه، فإذا أردت أن ترفع مرتبتك وتعلي من قدرك فاطلب العلم<sup>(٣)</sup>.

العلم هو الَّذي يعلي من شأنك، فطلب العلم، وبلغ منزلة فيه، حتَّى وُلِّي القضاء في مكة عشرين سنة، قالوا: وكان الخصوم يجلسون بين يديه يرتعدون ويرتعبون من قوَّة شخصيته حتَّى ينتهي المجلس. بالعلم ارتفع قدره.

(١) رواه الفاكهي في أخبار مكة (١٦٤٣)، تحقيق د. عبد الملك عبد الله دهيش، نشر دار خضر، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ.

(٢) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٤٠/١)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط ٢، ١٤٢١هـ.

(٣) الوافي بالوفيات للصفدي (١٨٦/٣).

ورأت إحدى نساء هارون الرشيد في الرقة عشرات ومئات من الناس يهرولون أمامها من كل جانب، فسألت: ما بال هؤلاء؟ ما الذي حدث؟ قالوا لها: هذا عالم من خراسان اسمه عبد الله بن المبارك جاء إلى الرقة، فجاء إليه الناس مئات وألوف من كل مكان ليتلقوا عنه العلم. فقالت المرأة: هذا والله هو الشرف، وليس ما يُصنع لهارون حيث يُجمع إليه الناس بالرغب والرهب<sup>(١)</sup>.

هذه هي الروح التي يجب أن تسود في المجتمع.  
 الْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ وَالْجَهْلُ يَخْفِضُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ<sup>(٢)</sup>

علي بن أبي طالب يقول لكُميل بن زياد: يا كُميل، اطلب العلم؛ العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، العلم يركو بالإففاق، والمال تنقصه النفقة، مات خُزَّان المال وهم أحياء، وعاش العلماء وهم أموات، أعيانهم مفقودة وآثارهم في الأرض موجودة<sup>(٣)</sup>. الناس يموتون، ولكن العلماء لا يموتون، ما دام علمهم يُنتفع به فهم أحياء.

استدعى المأمون الفراء، وكان مؤدبا لأبنائه؛ فلما دخل عليه، قال له: من أعز الناس؟ قال: ما أعرف أعز من أمير المؤمنين، قال: بلى، من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليًا عهد المسلمين<sup>(٤)</sup>. يقصد الفراء نفسه؛ لما له من مكانة في العلم عرفها أبناء الخليفة!

(١) البداية والنهاية (٦١١/١٣)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) ذكره من غير نسبة نجم الدين الغزي في الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة (٣٥/٢)، تحقيق خليل المنصور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧٩/١، ٨٠)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ.

(٤) تاريخ بغداد (٢٢٤/١٦)، تحقيق بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ نَوَّهَ بِالْعُلَمَاءِ، وَالسُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ نَوَّهَتْ بِالْعُلَمَاءِ،  
وَالْمَجْتَمَعَ الْإِسْلَامِي عَرَفَ قَدْرَ الْعُلَمَاءِ، وَقَفَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْعُلَمَاءِ  
وَمَدَارِسَ الْعِلْمِ أَوْقَافًا هَائِلَةً طَوَالَ التَّارِيخِ، وَظَلَّ الْمُسْلِمُونَ هُمُ الْأُمَّةُ  
الْأُولَى فِي الْعَالَمِ لِعَشْرَةِ قُرُونٍ، أُمَّةٌ تَتَعَلَّمُ وَتُعَلِّمُ.

هذا الجو - جو العلم - لم يعد موجودًا في عصرنا، إذا كان علي بن  
أبي طالب يقول: العلم خير من المال. فالناس في عصرنا يقولون: المال  
خير من العلم. علي بن أبي طالب يقول:

رَضِينَا قِسْمَةَ الرِّزَاقِ فِينَا لَنَا عِلْمٌ وَلِلْجُهَّالِ مَالٌ  
فَعَزُّ الْمَالِ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ وَعَزُّ الْعِلْمِ بَاقٍ لَا يَزَالُ<sup>(١)</sup>  
ولكن النَّاسُ في عصرنا يقولون: البيزنس أفضل من العلم. فتنة  
البيزنس، وثنية البيزنس، أصبح ما يسمَّى (البيزنس) وثنا يُعبد عند  
الناس، وأهمَل النَّاسُ العلم.

هذه ثقافة المجتمع، هذه هي الروح التي تسري في مجتمعاتنا،  
ولذلك قلما نجد مَنْ يُقْبَلُ عَلَى الْعِلْمِ، وَيَتَفَرَّغَ لَهُ، وَيَعِيشَ مِنْ أَجْلِهِ،  
وَيَتَقَبَّلُ الْأَلَمَ، وَيَحْتَمِلُ الْأَذَى فِي سَبِيلِهِ، عُلَمَاؤُنَا رَحَلُوا مِنْ بِلَدٍ إِلَى بِلَدٍ،  
جَابُوا الْفِيَّافِي وَالْقَفَارَ طَلَبًا لِلْعِلْمِ، لَمْ يَكُنِ السَّفَرُ بِالْقَطَارَاتِ  
وَلَا بِالسَّيَّارَاتِ وَلَا بِالطَّائِرَاتِ، كَانَ السَّفَرُ إِمَّا عَلَى الْجِمَالِ، أَوْ الْبُغَالِ، أَوْ  
الْحَمِيرِ، أَوْ عَلَى الْأَقْدَامِ.

### رحلة العلماء السابقين في طلب العلم:

سافر الإمام أحمد إلى اليمن ليسمع من عبد الرزاق الصنعاني  
مصنفه، وما روى من أحاديث، ولم يكن عنده مال فكأرى نفسه لإحدى

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ص ١١٠، تحقيق د. عبد المنعم خفاجي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

القوافل يخدمها حتّى يستطيع أن يصل<sup>(١)</sup>، طبعًا كان هذا في أوائل حياته، قبل أن يصير إمامًا ويعرفه الناس.

ونحن لم نتعود ولم نُعوّد أبناءنا: أنّ العلم يحتاج إلى معاناة وإلى تعب، حتّى نُحصّل ما نريده منه، نريد حياة مرفّهة ليس فيها أي معاناة، لا يريد الطالب أن يتعب وأن يسهر وأن يكّد، وإذا لم يفعل هذا فهيّئات أن ينال شيئًا. الشاعر قديمًا يقول:

بِقَدْرِ الْجِدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي      وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ  
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهْرَ اللَّيَالِي      أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ<sup>(٢)</sup>

ويقول الآخر:

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ أَرَهَا      تُنَالُ إِلَّا عَلَى جَسَرٍ مِنَ التَّعَبِ<sup>(٣)</sup>

لا بدّ من التعب لنيل العلم، بعض الصحابة<sup>(٤)</sup> سافر من المدينة إلى مصر ليسمع حديثًا واحدًا من صحابي آخر، وكان سعيد بن المسيب يقول: إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص ٣١٠، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٩هـ.

(٢) ذكرهما المناوي في فيض القدير من غير نسبة (٥٠٥/٤)، نشر المكتبة التجارية، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.

(٣) شرح ديوان أبي تمام للتبريزي (٤٩/١)، فهرسة راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م، بانيته الشهيرة.

(٤) وهو أبو أيوب الأنصاري رحل من المدينة إلى مصر ليسمع من عقبة بن عامر. رواه أحمد (١٧٤٥٤)، وعبد الرزاق (١٨٩٣٦)، عن ابن جريج.

(٥) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٥٦٩).

هذا ونحن عندنا العلوم مُيسّرة، والمدارس موجودة، والكتب مطبوعة.. ما عادت تُنسخ باليد، أصبحت المطبعة تطبع الآلاف من النسخ، والملايين لو أردنا، ولكن الجو العام لا يُشجّع على العلم، إنّما يجعل المال هو الإله المعبود، ولذلك نجد كثيرًا من الشباب يقول: ليس مهمًّا أن يكون معي علم، المهم أن أجد وسيلة لكي أحصل المال، ويصبح عندي آلاف وملايين.

هذه هي الروح السائدة والشائعة أيُّها الإخوة، المجتمع لا يشجع على العلم والتعمق في بحوره، والغوص على لآله، ولذلك قلّ النوابغ، ليس معنى هذا أنّه لا يوجد أذكىء في المجتمع، كل مجتمع فيه أذكىء، وكل مجتمع فيه نوابغ، ولكن النبوغ قد يواد ويموت ويُقبر إذا لم يُنمّ، وإذا لم تُستثمر هذه المواهب، ولم تُتعهّد بالسقاية والرعاية.

المجتمع لا يعين أبناءه على طلب العلم، والأسرة لا تعين على طلب العلم، في عصرنا لا بدّ أن يتعاون البيت والمدرسة، لا بدّ أن يتعاون الآباء والمعلمون، ولذلك تُنشئ المدارس مجالس للآباء ومجالس للأمهات، ولكن قلّمًا يجتمع هؤلاء، وقلّمًا يكون لهم شأن يُذكر.

هناك آباء لا يكادون يعرفون عن أولادهم شيئًا، بعض الآباء لا يعرف هل نجح ابنه أو رسب؟ بعض الآباء لا يعرف في أيّ صفّ من الصفوف يدرس ابنه؟ بعض الآباء يعودون إلى بيوتهم آخر الليل بعد أن يكون أولادهم قد أخلدوا إلى النوم، وغرقوا في سبات عميق، ويذهب الأولاد إلى المدرسة وآباؤهم مستغرقون في النوم؛ فلا يرون أولادهم في الصباح، ولا يراهم الأبناء في المساء؛ أيّ أبوة هذه؟ أيّ رعاية هذه؟ والنبي ﷺ يقول:



«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا»<sup>(١)</sup>.

### شعور الأسرة بالمسؤولية:

الشعور بالمسؤولية مفقود، لا نجد هناك مَنْ يتحرق على أولاده، مَنْ يتألم إذا وجد ابنه قد رسب في سنة من السنوات، أو نجح بمجموع ضعيف، أو تخلف عن المدرسة، بعض الأولاد يتخلفون عن المدرسة، يخرج من البيت على أنّه ذاهب إلى المدرسة ولا يذهب إليها، وفي آخر النهار يعود إلى البيت؛ وكأنه ذهب إلى المدرسة، ثمّ يُفاجأ الأب بعد مدة طويلة أنّ ابنه لم يذهب إلى المدرسة، ولم يتلقَ علماً.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. ارعَ أولادك، احفظهم من النار، لا تتركهم، لأن الطالب إذا ترك المدرسة وذهب هنا وهناك لا تدري أين يذهب؟ في أيّ مكان يذهب؟ ومع مَنْ يذهب؟ إنّه كثيراً ما يكون فرصة للصيادين الذين يصطادون بعض الأولاد، يكون فريسة سهلة وضحية لهؤلاء المغامرين، وتجار المخدرات، وتجار الدعارة، وأمثالهم.

الأسرة مسؤولة عن هذا الجو، والجو المدرسي مسؤول أيضاً، المُعَلِّمُ مسؤول، لا بدّ أن يؤدي المُعَلِّمُ دوره، المُعَلِّمُ وارث مُحَمَّد ﷺ، فإن الأنبياء كلهم كانوا مُعَلِّمين؛ بل المُعَلِّمُ الأوّل هو الله تبارك وتعالى، هو مُعَلِّمُ الْخَلْقِ، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، المُعَلِّمُ الأوّل هو الله، وأنبياءه ورسله

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

مُعَلِّمُونَ لَخَلْقِهِ، بَعَثَهُمُ اللَّهُ مُعَلِّمِينَ لِلنَّاسِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَالتَّبَشِيرُ وَالْإِنْذَارُ نَوْعٌ مِنَ التَّعْلِيمِ.

وقد كان التعليم من مهمّة مُحَمَّدٍ ﷺ كما ذكر الله في القرآن في أربع آيات، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، فهو يُزَكِّي وَيُعَلِّمُ الكتاب والحكمة.

### التربية هي التزكية:

التزكية هي ما نسمّيها الآن بالتربية، ولو أَنَّ الَّذِينَ تَرَجَّمُوا الْكَلِمَةَ تَرَجَّمُوهَا بِالتَّزْكِيَةِ لَكَانَتْ أَوْلَى مِنْ كَلِمَةِ (التَّربِيَةِ)، لِأَنَّهَا كَلِمَةٌ قَرَأْنِيَّةٌ صَرِيحَةٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى، إِذَا كَانَ التَّعْلِيمُ يَتَعَلَّقُ بِالرُّؤُوسِ فَالتَّزْكِيَةُ تَتَعَلَّقُ بِالنُّفُوسِ، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾،

الزكاة تعني معنيين: الطهارة، والنماء، فهو يُزَكِّيهِمْ بِمَعْنَى يَطْهَرُهُمْ مِنَ الشَّرْكِ، وَمِنَ النِّفَاقِ، وَمِنَ رَذَائِلِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ لِيَبْنِيَ وَيُنْمِيَ الْمَعَانِي الْمُقَابِلَةَ، فَيُضَعُّ بَدَلَ الشَّرْكِ التَّوْحِيدَ، وَبَدَلَ النِّفَاقِ الْإِخْلَاصَ، وَبَدَلَ الرَّذَائِلِ الْفَضَائِلَ، فَالتَّزْكِيَةُ تَخْلِيَّةٌ وَتَحْلِيَّةٌ كَمَا يَقُولُ الصُّوفِيَّةُ.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، الْحِكْمَةُ النَّظَرِيَّةُ، وَالْحِكْمَةُ الْعَمَلِيَّةُ، ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ مُعَلِّمَ الْأُمَّةِ، وَقَدْ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُسَيَّرًا، وَلَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَنًا وَلَا مَتَعْنًا»<sup>(١)</sup>. بَعَثَهُ بِالْيَسْرِ لَا بِالْعُسْرِ، بِالتَّبَشِيرِ لَا بِالتَّنْفِيرِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٨)، وأحمد (١٤٥١٥)، عن جابر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

ومن هنا كان على المُعَلِّم أن يتَّخذ من رسول الله ﷺ أسوة حسنة في تعليمه وتيسيره وتبشيره، وتحبيب العلم إلى الطلاب، وتحبيب الطلاب إليه حتَّى يستحق المُعَلِّم أن يكونوا كما قال القائل:

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبْجِيلَا      كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا  
أَرَأَيْتَ أَعْظَمَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي      يَبْنِي وَيَنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا<sup>(١)</sup>؟

هكذا قال شوقي، ولكن التلاميذ سخروا من هذه القصيدة، ورووها بطريقة أخرى، إلى آخر ما سخروا به.

كنا قديمًا نقول: مَنْ عَلَّمَنِي حَرْفًا صَرْتُ لَهُ عَبْدًا. هكذا كنا نتلقى من المجتمع من حولنا، ولكن التلاميذ في عصرنا لا يبالون بمن علَّمهم، يحتقرونهم ويسخرون منهم ويكرهونهم؛ لِمَ هذا؟ ما هذه العلاقة؟

### المعلم هو الأب الروحي للطلاب:

المفروض أنَّ المُعَلِّمَ أبٌ روحيٌّ، أبٌ نفسيٌّ، أبٌ فكريٌّ للطالب، وقد قيل لبعض العلماء: لماذا نراك تحترم مُعَلِّمَكَ أكثر مما تحترم أباك؟ فقال لهم: إنَّ أبي سبب حياتي الفانية، وإنَّ مُعَلِّمي سبب حياتي الباقية. أي أنَّ أبي يغذِّيني ويربِّيني ليبقى جسمي، أمَّا مُعَلِّمي فيربي عقلي وروحي وضميري، والمفروض أنَّ هذه هي الحياة الباقية، والحياة الباقية خير من الحياة الفانية. أخذ الشاعر هذا المعنى ونظمه فقال:

فذاك مُرَبِّي الرُّوحِ والرُّوحُ جَوْهَرٌ      وذاك مُرَبِّي الجِسْمِ والجِسْمُ كالصَّدْفِ<sup>(٢)</sup>

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٨٠/١)، نشر دار العودة بيروت، ١٩٨٨م.

(٢) ذكره بلا نسبة الميهمي الشيبيني في حاشيته على شرح الرملي للسيتين مسألة من الفروض الواجبة على مذهب الشافعي ص ٥٥، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

المجتمع أيضًا مسؤول عما وصل إليه المُعلِّم، فالناس تنظر إلى المُعلِّم نظرة دونية عمن سواه، ويعتبرونه أقل درجة من المهندس ومن الطبيب ومن الصيدلي، ومن غيرهم من المثقفين الجامعيين؛ لماذا يُنظر إلى المُعلِّم هذه النظرة؟! هذا أمر غريب، المجتمع فقد المعايير الصحيحة في تقويم الناس.

وكثيرًا ما يكون المُعلِّم أدنى درجة في الناحية المادية، أكثر الناس ظلمًا هو المُعلِّم، أذكر أنني بعد أن خرجت من السجن الحربي سنة ١٩٥٦م. ومُنعت من التعيين في وظائف الحكومة، فذهبت أبحث عن وظيفة مُعلِّم في المدارس الخاصّة، ولا تكاد مدرسة تقبلني، قالوا: نحن نريد مدرسًا للغة العربيّة، وأنت خريج أصول الدين، نحن نُفضل خريجي كلية اللغة العربيّة، أو خريجي كلية دار العلوم. وظللت أمزح مع بعض إخواننا وقلت لهم: يظهر أن أبأس الناس في هذه الدُّنيا الموظفون، وأبأس الموظفين المُعلِّمون، وأبأس المُعلمين معلمو اللغة العربية والدين، وأبأس مُعلمي اللغة العربيّة والدين خريجو كليات الشريعة وأصول الدين؛ إنَّهم لا يجدون لهم مكانًا بين الناس. هذا ظلم من المجتمع.

المجتمع ظلم المدرسين، وكثير من المدرسين ظلموا أنفسهم حين لم يقوموا بحق التعليم، لم يؤدوا واجبهم، لم يُتعبوا أنفسهم في تحضير الدروس وإعدادها، وفي الإخلاص للعلم حتّى يستطيعوا أن يوصلوا المادة العلمية إلى الطالب بأحسن طريقة ممكنة، وهذا يحتاج إلى ممارسة وإلى معاناة وإلى تهيئة وإلى إعداد.

ولكن آفة مجتمعاتنا أنّها أخذت الأمور كلها بسهولة وببساطة، لا يريد المُعلِّم أن يتعب ويعاني؛ إلّا مَنْ رحم ربك، وقليل ما هم،



ولا يريد التلاميذ أن يتعبوا ويُعانوا إلا مَنْ رحم ربك أيضًا، ولا تريد الأسرة أن تتحمّل المعاناة إلا مَنْ رحم ربك، المجتمع مُقصر في حق العلم والتعليم.

ولا يمكن أن ينال التعليم حقه إلا إذا كان كل منا واعيًا بواجبه، عارفًا به، مؤديًا له، حريصًا عليه، وإذا تكاملت القوى بعضها مع بعض، وشد بعضها أزر بعض، ووقف الجميع في صف واحد، حريصين على أن يكون هناك تعليم حقيقي، ينهض بالأمة من عثراتها، ويوقظها من سباتها، ويقويها من ضعف، ويُعزها من ذل، ويجعل لها مكانتها تحت الشمس، إذا فعلنا ذلك كنا قادرين على أن نحقق أهدافنا ونصل إلى مرادنا؛ فإذا صدق العزم وضح السبيل، ومَن سار على الدرب وصل، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

### زيارة شارون للمسجد الأقصى:

لا زالت قضية المسلمين الأولى، قضية فلسطين، قضية أرض النبوات، قضية القدس الشريف، قضية المسجد الأقصى، قضية أرض الإسراء والمعراج، لا تزال هذه القضية هي القضية الحية الساخنة في حياتنا الإسلامية.

وحق لها أن تظل هذه القضية ساخنة، وأن تظل حرارتها مرتفعة ما دام المسجد الأقصى محتلاً من اليهود الصهاينة، ما زال هذا المسجد الأقصى، وما دام هذا المسجد أسيراً في أيدي هؤلاء الذين اغتصبوا الديار، وسفكوا الدماء، وشرّدوا أهل هذه الديار بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله. ولا تزال الأيام والليالي المثقلات يلدن كل عجب، كما قال الشاعر من قديم.

ومن عجائب ما ولّدت له الليالي هذه الأيام: زيارة هذا الإرهابي المعروف الذي حفل تاريخه بالدماء وبالمجازر البشرية (أريل شارون)، أنّه أراد أن يفرض نفسه، ويتجول في ساحات المسجد الأقصى، متحدّياً لمشاعر الأمة العربية والإسلامية، ومستفزاً للجميع، لأنّه للأسف يعلم أنّ الأمة لا تزال نائمة نومة أهل الكهف، يجري ما يجري على القدس وعلى المسجد الأقصى والأمة لا تفعل شيئاً.

حينما أحرق منبر صلاح الدين، وأحرقت بعض الأشياء البسيطة في المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩م. ثار العالم الإسلامي، ثار الناس في المشارق



والمغرب، أجبر الناس القادة والزعماء على أن يجتمعوا، واجتمعوا في أول قمة إسلامية انبثق عنها ما يُعرف الآن بمنظمة المؤتمر الإسلامي. ولكن أين الآن منظمة المؤتمر الإسلامي؟ وأين المسلمون؟ وأين الشعوب؟ أين الجماهير العربية والمسلمة؟ أين الناس؟ لا نرى للأسف تجاوبا مع هذه الأحداث.

كنا قديمًا ننكر على الناس أنهم ليس عندهم إلا الصراخ، يصرخون ويحتجون، ولكن حتى هذا الصراخ لم يعد موجودًا، هناك همس والهمس بطبيعته يُنيم اليقظان، ولكن الصراخ يوقظ النائم، نحن لا نصرخ.

ولو أن هذه الأمة من مشارقها إلى مغاربها، ومن شمالها إلى جنوبها صرخت، وقالت لأولئك اليهود: لا، لا، لن نقبل التهاون في المسجد الأقصى، لن نقبل التهاون في القدس الشريف، لن نقبل التهاون في أرض النبوات. لو أن هذه الأمة صرخت وأرسلت صوتها العالي مُدويًا يشقُّ أجواء الفضاء، ويبلغ عنان السماء لحسب اليهود ألف حساب لأيِّ خطوة يُقدمون عليها.

ولكن اليهود يختبروننا يومًا بعد يوم، يضمُّون ما يضمُّون من الأراضي، ويحتلون ما يحتلون، ويهدمون ما يهدمون من البيوت، ويشردون ما يشردون، ويعتقلون مَنْ يعتقلون، ولا يجدوا مَنْ يصرخ ضد هذا الظلم وهذا العدوان الصريح الواضح البين.

أين أمتنا مما يجري اليوم من المفاوضات التي تتم في خفاء وفي علانية، ولا ندري ما يُدبر فيها وما يبيت؟ وعلامَ تنتهي؟ وبم سيفاجئنا القوم بعد ذلك؟ لا ندري ما يدور في الخفاء.

ولكن الذي يجب أن نعلنه دائماً: أننا لا نرضى إلا أن تكون القدس إسلامية عربية فلسطينية، كل هذه المقترحات التي يجس بها بعضهم النبض، ويريد أن يعرف موقعها من الناس؟ أن تكون القدس تحت سيادة المؤتمر الإسلامي، أو أن تكون القدس عاصمة للعالم أجمع، هذه كلها تنازلات لا ينبغي أن نقبلها بحال من الأحوال، كيف نسمح أن تكون القدس للعالم أجمع، ولا يكون لنا السيادة عليها؟! هذا كما قال بعض الدارسين مُعلقاً أشبه بما يروى في التاريخ من أن أبا موسى الأشعري قال: أنا أخلع عليّ بن أبي طالب. وإن كان هذا ليس بصحيح من الناحية التاريخية، لكنّه قال هذا، لما قال: أنا عليّ أن أخلع عليّ بن أبي طالب، وأنت عليك أن تخلع معاوية بن أبي سفيان. فقام عمرو بن العاص وقال: قبلت خلعتك لعلي بن أبي طالب، وأنا أثبتُ صاحبي معاوية! فهؤلاء إن قلنا لهم: نحن نقبل أن نتنازل عن القدس ليشرف عليها المؤتمر الإسلامي أو تكون عاصمة للعالم. هذا معناه أن هناك استعداداً للتنازل عن سيادتنا لأيّ جهة كانت.

القدس فلسطينية عربية إسلامية، ولا يمكن التنازل عنها مهما كان، ونحن مع إخواننا من أهل فلسطين، ومع إخواننا في حماس، وفي الجهاد الإسلامي، ومع علماء فلسطين الذين دعوا العلماء في العالم ليقفوا معهم، ويشدوا أزرهم، ويسندوا ظهرهم، ويقفوا عضدهم في هذا الموقف، نحن معهم جنباً إلى جنب، لا يمكن أبداً أن نتخلى عن أرض الإسراء والمعراج، وعن أولى القبلتين وثالث المسجدين المُعظَّمين.

ولا بدّ لهذه الأمة أن تقوم بدورها في هذه المعركة، ولا يجوز السكوت بحال من الأحوال، أن نبقي متفرجين كأنّ الأمر لا يعنيننا،

ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم؛ فكيف إذا كان الأمر هو أمر المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وإليه انتهى الإسراء، ومنه ابتداء المعراج.

### مشروع طالب العلم:

أيُّها الإخوة، قبل أن أغادر مكاني هذا، هناك إخوة من لجنة الزكاة يجمعون تبرعات لمشروع (طالب العلم)، وهو مشروع نافع، نحن نعلم أن هناك أسراً فقيرة، بعضها من القطريين أنفسهم، وبعضها من غير القطريين من المقيمين الذين لا يملكون أن يدفعوا النفقات لأولادهم ليتعلموا، وهذا عارٌ على المجتمع المسلم، وعار على دولة قطر أن يوجد فيها أناس لا يستطيعون أن يذهبوا بأولادهم إلى المدارس، حرام في هذا القرن الذي يسمونه (القرن الحادي والعشرين) أن توجد في دولة متقدمة متحضرة مثل قطر أسر لا تملك أن يذهب أولادها إلى المدرسة أو الجامعة أو نحو ذلك، خصوصاً إذا كانوا نابهين وأذكياء، حرام على هذه الأمة أن تترك هؤلاء.

ولذلك يحاول هذا المشروع أن يعطي هؤلاء مساعدات عينية ونقدية؛ حتى يستطيع الجميع أن يصل إلى المدرسة، ويصل إلى حقه في العلم، من حق كل إنسان أن يتعلم، ولهذا ينبغي أن نشجع هذا المشروع (مشروع طالب العلم) ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم هيئ لنا من أمرنا رشداً، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى،



وقلوبها على التقى، ونفوسها على المحبة، ونياتها على الجهاد في  
سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، اللهم لا تهلكنا بما  
فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا مَنْ لا يخافك ولا يرحمنا،  
واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين،  
اللهم آمين.

\* \* \*





## موقف الإسلام من العلم (١) (١)

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

طلب إليّ بعض الإخوة أن أتحدث في العلم، وطلب العلم، وموقف الإسلام من العلم، بمناسبة أمرين: بمناسبة معرض الكتاب في الدوحة، وبمناسبة شكاوى بعض الآباء والأمهات من إعراض أبنائهم عن الدراسة، وعن التفوق فيها.

### اهتمام الإسلام بالعلم:

وأحبُّ أن أقول: إِنَّهُ لَا يَوْجَدُ دِينَ مِنَ الْأَدْيَانِ عُنِيَ بِالْعِلْمِ وَاهْتَمَّ بِهِ فِي تَعَالِيهِمْ، وَفِي أَحْكَامِهِ، وَفِي تَشْرِيعَاتِهِ، وَفِي تَوْجِيهَاتِهِ، وَفِي قُرْآنِهِ وَسُنَّتِهِ كَمَا فِي الْإِسْلَامِ.

الإسلام يعتبر العلم دليل الإيمان، ويعتبر العلم إمام العمل، لا إيمان بغير علم، هناك أديان تقول: آمن ثم اعلم. الإيمان مُقَدَّم، والإسلام يقول: لا، العلم مُقَدَّم. هناك أديان تقول: اعتقد وأنت أعمى، أغمض عينيك ثم

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدُّوْحَةِ، بِتَارِيخِ ٢٧ نَوْفَمْبَرِ ٢٠١٠م.

اتبعني. اتبع الكاهن أو القسيس، والقرآن يقول: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

ولهذا يعتبر المحققون من علماء الأمة أنَّ إيمان المقلد غير مقبول، لا بدَّ أن يكون عنده علم، ولو كان هذا العلم إجمالياً، تقول له: ما الذي يجعلك تؤمن بالله؟ لا يستطيع أن يُقدم لك دليلاً مرتباً ترتيباً منطقيّاً، ولكن يقول لك: إذا لم يكن الله خلقي فمن خلقي إذا؟ ومن خلق هذا الكون حولي؟ لا بدَّ أنه الله.

هذا هو الدليل عنده، إنَّه استدلَّ بدليل فلسفي عقلي يُسمَّى (دليل العلية أو دليل السببية)، أن كل شيء لا بدَّ له من علة، كل حركة لا بدَّ لها من مُحَرِّك، كل سبب لا بدَّ له من مسبَّب، كل مخلوق لا بدَّ له من خالق، كما قال القرآن: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ \* أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ \* [الطور: ٣٥، ٣٦].

هذا هو قانون العلية الذي قال عنه الفلاسفة ما قالوا، وعبر عنه الأعرابي ببساطة وبلاغة؛ حينما سُئل عن هذا الكون فقال: البعرة تدل على البعير، وأثر السير يدل على المسير، فكيف بليل داج، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟ أفلا يدل ذلك على العليّ القدير<sup>(١)</sup>؟

المسلم مطلوب منه أن يعرف دينه ويعرف عقائده بدليل ولو إجمالي، ولو لم يستطع التعبير عنه، يقولون له: لماذا تؤمن بمحمد؟ فيقول: ولم لا أؤمن به وقد جاء بهذا القرآن، ونصره الله على الكفار

(١) ذكره الإيجي في المواقف (١٥١/١)، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، نشر دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.



والمشركين، ولم تكن معه أسلحة وجيوش تكافئ ما عند أعدائه؟ هذه كلها أدلة، ولكنها أدلة إجمالية، فالإسلام لا يقبل الإيمان إلا بعلم وبرهان ودليل.

والقرآن يجعل الإيمان مترتباً على العلم، فيقول: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤]. ليعلموا؛ فيؤمنوا، فتخبت له القلوب، العلم يؤثر وينشئ الإيمان، والإيمان ينشئ إخبات القلوب، وينشئ الأخلاق الربانية، والعبادة الباطنية، فالعلم عندنا دليل الإيمان.

### العلم إمام العمل:

والعلم عندنا نحن المسلمين إمام العمل، كما جاء عن سيّدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ حينما تحدث عن العلم في حديث طويل، رفعه بعضهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن الصواب أنه من كلام معاذ، فقال: العلم إمام، والعمل تابعه<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الإمام البخاري كتاب العلم بعد كتاب الإيمان، ولكن بعض العلماء يُقدّم العلم على غيره، فالإمام الغزالي جعل العلم أوّل كتاب في موسوعته (إحياء علوم الدين)، وموسوعة الإحياء تتألف من أربعين كتاباً: ربع العبادات عشرة كتب، وربع العادات عشرة كتب، وربع المهلكات عشرة كتب، وربع المنجيات عشرة كتب، أوّل كتاب في هذه الأربعين كتاب العلم، فبعض العلماء يُقدّم العلم على الإيمان، وهذا هو المنطقي.

الإمام البخاري في كتابه يقول: باب العلم قبل العمل، ويدلّل على ذلك بآيات من القرآن، وأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، من الآيات:

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٣٨/١)، نشر مكتبة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد: ١٩].  
 الاستغفار عمل، ولكن العلم مُقَدَّم عليه.

ولذلك يقول العلماء: لا بدَّ أن نُقَدِّم العلم قبل العبادة. لا يجوز أن نتعبد لله تعالى بغير علم، فربما تعبد به بما لم يشرعه، لا يُعبد إِلَّا الله، ولا يُعبد الله إِلَّا بما شرع، لا بالأهواء والبدع، حتَّى لا يشرع النَّاس في الدين ما لم يأذن به الله، وكيف يعرف النَّاس ذلك؟ بالعلم، عن طريق الوحي.

الوحي هو الَّذي يُعلمك كيف تعبد الله وَحَّيْكَ! لا تعبد الله بهواك، فالعبادات توقيفيَّة، الأصل في العبادات الحظر؛ إِلَّا ما جاء به الوحي، والأصل في المعاملات الإذن إِلَّا ما منع منه الوحي، ولذلك لا بدَّ أن تعرف بماذا تعبد الله وَحَّيْكَ!

ولهذا قال الإمام الحسن البصري: إِنَّ العامل بغير علم يُفسد أكثر مما يصلح، وإنَّ قومًا طلبوا العلم قبل العمل فقاموا بأسيا فهم على أُمَّة مُحَمَّد ﷺ<sup>(١)</sup>. يقصد الخوارج.

كان الخوارج صُومًا قُومًا قُرَاءً للقرآن، متعبِّدين مغالين في العبادة، حتَّى جاء في الحديث: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ إِلَى صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ إِلَى صِيَامِهِمْ، وَقِرَاءَتَهُ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ». ومع هذا وصفهم بأنَّهم: «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ». لا ينتقل من الحناجر إلى العقول: إلى الرؤوس؛ فلا يحسنون فهم القرآن، ولهذا قال: «يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمُرُّ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ يَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، وَيَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ»<sup>(٢)</sup>. من جهلهم

(١) جامع بيان العلم (١/٥٤٥).

(٢) سبق تخريجه ص ٩٢.

استباحوا دماء كل مَنْ خالفهم من الناس، وقتلوا المسلمين بغير حساب، هذا نتيجة أَنَّهُمْ بدؤوا بالعبادة ولم يبدؤوا بالعلم، فخرجوا بأسياهم على أُمَّة مُحَمَّدٍ ﷺ، ولهذا كانت البداية بالعلم قبل العمل، اطلب العلم أولاً.

### القرآن يدعو إلى العلم:

ومن هنا كان أوّل ما نزل من القرآن: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. والقراءة مفتاح العلم، وثاني ما نزل من القرآن: ﴿يَتْلُوهَا الْمُدَّثِّرُونَ﴾ ﴿فَرَأَيْنَاهُ أَفْهَمًا﴾ [المدثر: ١ - ٧]. هذه آيات العمل، أمّا الآيات الأولى فهي للعلم والتعلم، ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمَ﴾ [العلق: ١ - ٥]، فحث على القراءة والكتابة، لأن القلم هو أداة الكتابة.

ومن أوائل ما نزل بعد ذلك قوله تعالى: ﴿تَوَلَّى الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]. أقسم الله تعالى بالقلم وما يسطر به كُتِّبَ القلم، وأول ما يسطرونه ويكتبونه القرآن، فالقرآن مكتوب بالقلم، القلم هو أداة نقل العلم من فرد إلى فرد، ومن أُمَّة إلى أُمَّة، ومن جيل إلى جيل، والكتابة بالقلم هي التي نقلت إلينا علوم الأولين، وعلوم الأمم الأخرى.

وقد تطور القلم في عصرنا وتطور، كنا قديمًا نكتب بالبوص والمحبرة، ثم اخترع الناس المطبعة الحديثة المتطورة فأصبحت قلم هذا العصر، وتطور الأمر أكثر؛ فاخترع الناس الكمبيوتر وما فيه من إمكانيات هائلة، كل هذه أقلام تنقل العلم، ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

ولذلك سُمِّيَ القرآن (قرآنًا) لأنه يُقرأ، وسُمِّيَ (كتابًا) لأنه يُكتب، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١].

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ١]، فهو الكتاب وهو القرآن.

ولذلك كان حول النبي ﷺ عدد من الكُتَّاب يُسمون (كُتَّاب الوحي)، مهمتهم أوّل ما تنزل الآيات يتلوها النبي ﷺ عليهم فيكتبونها، فيكون هناك شاهدان: شاهد الحفظ وشاهد الكتابة، هذا القرآن يُحفظ في الصدور، ويكتب في السطور، ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]، كلاهما يشهد للآخر، فالمسلمون تعلموا الكتابة.

ومن عجيب أن محمداً ﷺ عُرف بالنبي الأمي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبِطِّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. ومع هذا كان هذا النبي الأمي هو أوّل مَنْ شَجَّعَ على محو الأميّة.

في غزوة بدر أسر المسلمون سبعين شخصاً من رجال قريش، وكان بعضهم يعرف الكتابة، وكانت الكتابة في الجاهلية نادرة جداً، حتّى إنّ الرجل الذي يعرف الكتابة ويعرف السباحة ويعرف الرماية كان يسميه العرب (الكامل)، يعتبرونه شخصيّة مكتملة، يستطيع الدفاع عن نفسه، وينجي نفسه من الغرق، وينير عقله بالعلم، فكان الذين يكتبون قليلين.

ولذلك انتهز النبي ﷺ هذه الفرصة في بدر؛ فكان مَنْ لا يستطيع أن يدفع الفدية بالمال، أو لا يريد أن يدفع المال: يطلب منه النبي ﷺ أن يُعَلِّمَ عشرة من أولاد المسلمين الكتابة، وكان ممن تعلم الكتابة من الصبيان؛ وخاصة من صبيان الأنصار: زيد بن ثابت كاتب الوحي المعروف. قال زيد: كنت ممّن تعلّم وحذق على أيدي هؤلاء<sup>(١)</sup>. فلا مانع

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٢٢/٢)، عن الشعبي مرسلًا.

من أن يتعلّم المسلم من غير المسلم بعض العلوم، لأنّ هذه الكتابة لا تحمل فكرًا ضارًا يؤثّر في المسلم، لا مانع أن نأخذ من غير المسلم هذه الخبرة وهذه المهارة.

تعلّم زيد بن ثابت الكتابة وحذقها، وكثير من الذين يتعلمون لا يحذقون، لا يبلغون درجة المهارة فيرتدون أميين بعد ذلك، لكن زيدًا وصل إلى درجة الحذق والإتقان حتّى أصبح من كتّاب الوحي المشهورين، وهو الذي كتب مصحف عثمان بعد ذلك، فالنبي ﷺ هو أوّل مَنْ شجع على محو الأمية.

### عصور النور للمسلمين:

اهتم الإسلام بالعلم؛ فكان العلم عند المسلمين دينًا، وكان الدين عندهم علمًا، لم يقم في تاريخ الإسلام صراع بين العلم والدين كما قام في أوروبا. في أوروبا قام صراع طويل وحروب دامية بين العلم ورجاله من ناحية، والدين ورجاله من ناحية أخرى، كان الدين هناك في وادٍ والعلم في وادٍ، وقف رجال الدين - رجال الكنيسة، رجال الكهنوت - في وجه كل علم جديد، في وجه أي نظرية جديدة، مثل أن الأرض كروية.

كان المسلمون يدرسون في معاهدهم الدينية ويقرؤون في كتبهم: أن الأرض كروية، حتّى في كتب العقائد، مثل كتاب (الفصل في الملل والنحل) لابن حزم، حتّى في التفاسير المختلفة، مثل (التفسير الكبير) للفخر الرازي، وأخذ ابن حزم يدلّل على كروية الأرض بعدة أدلة، لم تكن هناك مشكلة عند المسلمين في هذه القضية، ولكن حينما عرف الأوروبيون هذه القضية وقالوا بكروية الأرض، كانت جريمة كبرى؛ لأنّ هذا ضد الجغرافيا المقدسة، التي كان يدرسونها في العصور التي سموها بعد ذلك (عصور الظلام)، العصور الوسطى.

هذه العصور التي اعتبرها الأوروبيون عصور الظلام كانت بالنسبة لنا نحن المسلمين (عصور النور)، كان فيها العلم الكوني، والعلم الطبيعي، والعلم الرياضي، كان قد بلغ أوجه، كان عندنا من علماء الطب، وعلماء التشريح، وعلماء الفلك، وعلماء الرياضيات، وعلماء البصريات، وعلماء الكيمياء، وعلماء الأحياء، علماء ملؤوا الأرض علمًا.

من يجهل علماء مثل الرازي وابن سينا، والخوارزمي وجابر بن حيان، وابن الهيثم وابن رشد، وغيرهم ممن ملؤوا الأرض علمًا، وكانت كتبهم العلمية مراجع عالميّة تتعلم أوروبا منها، كانت أسماء علماء المسلمين هي أشهر الأسماء في العالم.

### اللغة العربية كانت هي لغة العلم في العالم:

واللغة العربيّة التي نرى كثيرًا من بلاد العرب والمسلمين الآن يهربون منها، ويتعلمون باللغة الإنجليزية أو الفرنسية: كانت هي لغة العلم في العالم، كانت هي لغة الطب، ولغة الكيمياء، ولغة الفيزياء، ولغة الرياضيات.

وترجم المسلمون علوم الأوائل - كما كانوا يسمونها - من الهند، ومن فارس، ومن الرومان، وكان اليونان هم أكثر من ترجم المسلمون عنهم العدد الأكبر من كتبهم، لأنهم كانوا قد تفوقوا في الفلسفة، وكانت الفلسفة في ذلك الوقت تُطلق على العلوم التي أصبحت بعد ذلك علومًا كونيّة، كانت الفلسفة تشتمل على فلسفة الطبيعيات التي يدخل فيها الفيزياء والكيمياء ونحوها، فكان اليونان هم المتفوقين في الفلسفة، فترجم المسلمون كتبهم وهذبوها، وصحّحوا أوهامها وأخطاءها،



وأضافوا إليها علومًا جديدة، اخترع المسلمون الصفر، وهذا اختراع هائل في الرياضيات.

واخترع الخوارزمي علم الجبر والمقابلة، أتعرفون كيف اخترعه؟ كان الخوارزمي عالمًا في علوم الشرع، وكان علماء الشرع في كثير من الأحيان يمارسون هذه العلوم الكونية، لم تكن محظورة عليهم، ألف الخوارزمي كتابًا في الميراث والوصايا، وعلم المواريث له صلة بالرياضيات، فيه النصف والربع، والثلث والسادس، والثلث والثلثين، وهكذا يحتاج إلى معرفة بالحساب، فالخوارزمي أخذ يفترض ويضع الرموز: لو مات (س) وترك تركة مقدارها كذا وكانت ورثته مكونة من (ص، م، ع، ل)، وأخذ يفترض أشياء، وفي أثناء ذلك اخترع علم الجبر من مسائل المواريث والوصايا.

ولذلك حينما نشروا رسالة الخوارزمي وكان نصفها فقه خالص، والنصف الثاني رياضيات خالصة: علق المحققون على النصف الثاني، ولم يعلقوا بكلمة واحدة على النصف الأول؛ لأنهم متخصصون في الرياضيات، ومجتمعاتنا الآن أصبحت مجتمعات علمية متخصصة، لا تقيم جسورًا بين العلوم بعضها وبعض.

وكان من هؤلاء الفخر الرازي صاحب (مفاتيح الغيب) في التفسير، وصاحب (المحصول في علم الأصول)، وصاحب (المُحَصَّل) في علم الكلام، وغيرها، وكان أيضًا طبيبًا يُرجع إلى فتواه في الطب، كما يُرجع إلى فتواه في الدين، وكانت شهرته في علوم الطب لا تقل عن شهرته في علوم الدين.

وكان من هؤلاء أيضًا ابن رشد، كان الرازي شافعيًا، وكان ابن رشد مالكيًا، توفي ابن رشد سنة (٥٩٥هـ)، وتوفي الرازي سنة (٦٠٦هـ)، فكانا متعاصرين، كان ابن رشد طبيبًا له كتاب (الكليات) في الطب، تُرجم إلى اللاتينية وغيرها، وانتفع به الأوروبيون قرونًا، وكانت له أيضًا عدة رسائل في الطب.

وكان ابن رشد أيضًا فيلسوفًا كبيرًا، بل إنَّ بعض مؤرخي الفلسفة يعدونه أكبر فلاسفة الإسلام، وهو أعظم شارح لفلسفة أرسطو، الذي يعتبرونه أعظم عقلية فلسفية ظهرت في التاريخ، هناك ثلاثة فلاسفة كبار عند اليونانيين هم سقراط، وتلميذه أفلاطون، وتلميذه أرسطو طاليس، فهم يعتبرون أرسطو القمة، حتَّى إنَّ المدرسة التي مثَّله في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي تُسمى (الفلسفة المشائية الإسلامية)، وكانوا يُسمُّون مدرسة أرسطو (مدرسة المشائين)، لأنَّه كان يمشي مع تلاميذه في الحديقة وهو يشرح لهم، فكانت المدرسة المشائية الإسلامية من كثرة إعجابهم بأرسطو تُسميه (المعلم الأول).

هذا مع أنَّ المعلم الأوَّل عند المسلمين هو مُحَمَّدٌ ﷺ، هو الذي علَّم الأمة كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

المهم أنَّ ابن رشد شرح فلسفة أرسطو، كانت قد ضاعت فلسفة أرسطو، والذي أحياها هو ابن رشد، وأحياها مشروحة، وشرحها بأفضل مما كان يقوله أرسطو شرحًا، أنشأها من جديد في الحقيقة، ومن شرح ابن رشد تعلَّم الأوروبيون فلسفة أرسطو، ونموها، واستنبطوا منها، وزادوا عليها، ونهضوا بها.

وكان مما ألّفه ابن رشد كتابه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال)، أكدّ فيه على أنّ العقل والنقل عندنا نحن المسلمين ليسا متنازعين، أحياناً تُسمى مشكلة العقل والنقل، أو مشكلة الدين والفكر، أو مشكلة العقل والعقيدة، أو مشكلة الدين والفلسفة، أو مشكلة الدين والعلم، فابن رشد بكتابه هذا يقول: ليس هناك نزاع بين الحكمة والشرعية، إنّما هناك اتصال بينهما. وله كتاب اسمه (كشف الأدلة عن مناهج أهل الملة).

وابن رشد هو مؤلف كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) في الفقه المقارن، يتحدث بعقليّة الفيلسوف عن آراء الفقهاء: ما الذي اتفقوا عليه؟ وما الذي اختلفوا فيه؟ وما أسباب الاختلاف؟ تحدث عن هذا في هذا الكتاب المُركّز الذي يُعتبر من أعظم ما كُتب في الفقه المقارن، فابن رشد كان قاضياً شرعياً، وفقهياً مالكيّاً، وفيلسوفاً، وطبيباً.

هكذا كانت عندنا هذه العقليات الموسوعيّة، وكم عندنا من طبيب وفقه مثل الطبيب الشافعي المعروف ابن النفيس الذي ترجم له السبكي في كتابه (طبقات الشافعيّة الكبرى)<sup>(١)</sup>، والذي اكتشف الدورة الدموية الصغرى.

هكذا كانت أمتنا: ترى العلم ديناً والدين علماً، لم يكن عندها صراع بين الدين والعلم، فالدين عندنا علم؛ لأنّه يقوم على العقل، والعلم دين؛ لأنّ الأمّة تتقرب إلى الله بما تعلم، سواء كان هذا العلم من علوم الدُّنيا أو من علوم الدين.

(١) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٣٠٥/٨) وما بعدها، تحقيق د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر دار هجر، القاهرة، ط ٢، ١٤١٣هـ.

اعتبر فقهاء المسلمين - مثل الغزالي والقرافي والشاطبي وغيرهم - أنَّ التفوق في علوم الدُّنيا فرض كفاية على المسلمين، هناك علوم يعتبر علماء المسلمين طلبها فرض عين، كما جاء في الحديث: «طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم»<sup>(١)</sup>. أي على كل إنسان مسلم ذكرًا كان أو أنثى، حتَّى المرأة يجب أن تتعلم، فهناك جزء من العلم فرض عين على المسلم: أن يتعلم الإنسان ما يعرف به عقيدته بالأدلة، وما يصحّح به عبادته، وما يُقوِّم به سلوكه، وما لا بدَّ منه في معرفة دينه، مثل معرفة سيرة الرسول ﷺ ولو بإجمال، ويتسع هذا العلم الضروري من شخص إلى شخص، هناك شخص قروي يُطلب منه القليل، والشخص الذي تعلم أكثر يُطلب منه أكثر، وهكذا.

### يجب على المسلمين تعلم علوم الدنيا:

وأرى أنَّ هناك من علوم الدُّنيا ما يجب أن يتعلمه كل مسلم، وقد أعلنت أكثر من مرّة أن محو الأمّية في عصرنا هذا فرض على كل مسلم، فعارٌّ على أمّة القرآن، عارٌّ على أمّة (اقرأ)، عارٌّ على أمّة محمد، أوّل مَنْ حارب الأمّية: أن يكون منها عشرات الملايين، بل مئات الملايين لا يعرفون القراءة والكتابة، وصمة عار على جبين الأمّة، لا يجوز هذا في عصرنا!

لا يمكن أن تستطيع الأمّة الانتصار على إسرائيل إذا كان فيها أمّيون، كيف يستطيع جندي أمّي أن ينتصر على جندي إسرائيلي متعلم؟ هو لا يعرف كيف يُشغل الآليات والمعدات، لا بدّ أن تتحرر الأمّة من

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٢٤)، وأبو يعلى (٢٨٣٧)، والطبراني في الأوسط (٩)، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٣)، عن أنس.

الأُمِّيَّة، فرض على الأُمَّة أن تمحو الأُمِّيَّة في أبنائها، فرض على الجامعيين وأمثالهم أن يجندوا أنفسهم لمحو الأُمِّيَّة في الأمة، عازراً على أُمَّة مُحَمَّد أن يظل فيها مئات الملايين من الأُمِّيِّين والأُمِّيَّات، والأُمِّيَّات أكثر من الأُمِّيِّين.

الأُمِّيَّة في عصرنا أصبحت غير الأُمِّيَّة فيما سبق من عصور، كثير من الأمم الآن تعتبر الجهل باستخدام الكمبيوتر والإنترنت: من الأُمِّيَّة التي يجب أن تُمحي، تتطور الأُمِّيَّة في الأمم من عصر إلى عصر.

أقول أيُّها الإخوة: كان الدين عندنا علماً، وكان العلم عندنا ديناً، ويجب أن تتعلم الأُمَّة وتتفوق في علوم دينها وعلوم دنياها.

بعض علماء الدين للأسف قالوا: إنَّ العلم الَّذي مدحه القرآن، ومدحته السنة وأحاديث الرسول إنّما هو العلم الديني وحده، لا يدخل في ذلك علم الفيزياء ولا علم الكيمياء، ولا علم الهندسة ولا علم الطب ولا علم الرياضيات، وأن ما جاء في السنة من أحاديث تمدح العلم؛ إنّما تمدح علم الدين فقط. هكذا قالوا!

وأنا أقول: هذا فهم غير صحيح، لأن القرآن مدح العلم بصفة عامة، حينما يقول القرآن: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. فهو هنا يتكلم عن عالم وجاهل، لا يستويان: العالم، والجاهل، سواء كان جاهلاً بالدين أو جاهلاً بالدنيا، جاهلاً بسنن الكون، حينما ظهرت هذه العلوم الطبيعية كان المسلمون يدرسونها في المدارس تحت عنوان (سنن الله في الكائنات)، فحينما تدرس هذه العلوم تعرف القوانين التي أقام الله عليها هذا الكون، فيجب أن نعلم هذا السنن، ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ [آل عمران: ١٣٧]، نتعلم فقه السنن.

أمتنا أيُّها الإخوة هي أُمَّة العلم، تفوقت في العلم على الأمم في وقتها، لأنها كانت تتعبَّد لله تعالى بالعلم، وترحل من أجل العلم، وتحرص على الاستمرار فيه، يقولون: اطلب العلم من المهد إلى اللحد. ويقولون: لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم، فإذا ظن أنه علم فقد جهل. حين يتوقف عن طلب العلم، نقول له: هذا دليل جهلك. العلم بحر لا ساحل له، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

ولذلك يقول الإمام الشافعي:

كُلَّمَا عَلَّمَنِي الدَّهْرُ      رُأْرَانِي نَقَصَ عَقْلِي  
أَوْ أَرَانِي أَزْدَدْتُ عِلْمًا      زَادَنِي عِلْمًا بِجَهْلِي<sup>(١)</sup>

كلما أزداد علماً أعرف أنني أجهل الكثير، ولهذا قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. لم يطلب الله من الرسول أن يسأله الزيادة في شيء؛ إلا في العلم.

ولذلك حثَّ علماء المسلمين على طلب العلم إلى آخر رمق، كان الواحد منهم في مرض موته يقول لتلميذه: اقرأ لي صفحة كذا من تفسير الطبري، أو من كتاب سيبويه في النحو، أو كتاب (الأم) للشافعي. حتَّى يأتي الموت وهو يطلب العلم.

هذه نبذة صغيرة عن موقف الإسلام من العلم، ولعلنا نعود إلى هذا الموضوع مرّة أخرى؛ لنستكمل حقيقة موقف الإسلام من طلب العلم، وكيف يربي أهله على هذا الطلب والاستمرار فيه، وطلب العلم في كل

(١) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١٦٧/٤)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.





مكان، حتّى انتشرت بين المسلمين هذه الحكمة الّتي ظنّها النّاس حديثاً، وهي ليست بحديث، ولكنها حكمة حسنة، قالوا: اطلبوا العلم ولو بالصين. وكانت الصين تعتبر أبعد بلد عن جزيرة العرب. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم؛ فادعوا ربكم يستجب لكم.

\* \* \*



## الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

### قضية فلسطين:

عندي كلمات في هذه الخطبة الثانية، الكلمة الأولى: تتعلق بقضيتنا المصيرية، المركزية المحورية، القديمة الجديدة، قضية أرض النبوات، وأرض المقدّسات، أرض الإسراء والمعراج، أرض المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، هذه القضية التي لا نزال كل يوم نجد فيها جديداً، ولا يوجد فيها جديد يسر القلب، للأسف الشديد، كل المستجدات فيها مؤلمة ومحنة، ومخزية لحكوماتنا وأمتنا.

آخر ما فعلته إسرائيل: أنها هدمت مسجداً علناً متحدة العرب والمسلمين في الضفة الغربية، وهو مسجد أسسه المسلمون قبل أن تحتل إسرائيل الضفة الغربية سنة ١٩٦٧م.

ثم هناك الأعمال التي تحدث يومياً في القدس: حفريات مستمرة، وتعديات مستمرة، وانهيارات في المسجد الأقصى دليل على زيادة الحفريات، ولا ندري إلى متى تستمر هذه الانهيارات؟ وإلى متى يصمد بناء هذا المسجد؟ وماذا أعدت الأمة لهذا؟

ثم ما أعلنته الدولة الصهيونية من أنها رصدت ثلاثين مليوناً لتهديد حائط البراق الذي يُسمونه (حائط المبكى)، وكيف سيقومون نفقاً، ويفعلون كذا وكذا، في كل يوم جديد لا يسر في القدس، غير ما يجري على غزة من حصار وتجويع.

هذا ولا زال هناك من يركض حول ما يُسمّى (المفاوضات)؛ على أيّ شيء يفاضون؟ رفض الصهاينة إيقاف الاستيطان خصوصًا في القدس، يجري الاستيطان على قدم وساق، والناس يُخرجون من بيوتهم في القدس لتهدم بيوتهم بزعم أن أصحابها لم يأخذوا ترخيصًا، وهم لا يعطون ترخيصًا، الناس يبنون على أرضهم، وهم في أشد الحاجة إلى هذه البيوت فلا يعطونهم ترخيصًا للبناء، التراخيص تُعطى فقط للمستوطنين القادمين من أوروبا ومن أمريكا ومن هنا وهناك، أمّا أهل البلد الذين عاشوا فيها مئات السنين وورثوها عن آبائهم وأجدادهم وأجداد أجدادهم: يُمنعون من البناء، تهد بيوتهم المُشيّدة، ويُسمح للغرباء ببناء البيوت!

أين أمتنا؟ أين حكمانا؟ أين زعمائنا؟ أين الذين يلهثون حول المفاوضات وحول الاستسلام؟ يا قومنا، إلى متى نظل وراء هذا الوهم، الذي سرنا وراءه سنين ولم نأخذ شيئًا؟ لم نأخذ قليلًا ولا كثيرًا، ولا نقييرًا ولا قطميرًا؟! هذه الكلمة الأولى.

### منع فرنسا الحجاب والنقاب:

الكلمة الثانية: هي عما يجري في أوروبا من تضيق على المسلمين، تضيقًا بعد تضيق، فرنسا التي منعت الطالبات المسلمات من لبس الحجاب في المدارس بدعوى أنه رمز ديني، وقد ناقشنا هذا مرارًا وتكرارًا، وأنّ الحجاب ليس رمزًا دينيًا، هو حكم شرعي يتعلق باحتشام المسلمة، ولو كان رمزًا دينيًا ما خلعتة المسلمة أمام النساء، الرمز الديني يُلبس أمام الرجل والمرأة، وأمام الأجانب والأقرباء، ولكن الحجاب لا تلبسه أمام محارمها ولا أمام النساء من أمثالها؛ فكيف يقال: هو رمز ديني؟!!

ثم زادت فرنسا الطين بلة والداء علة كما يقولون؛ حينما منعت المسلمات من ارتداء النقاب، وأنا كما قلت من قبل: لا أُحبّد لبس النقاب. ولكنّي أُحبّد الحرية، أنا مع حرية المرأة في أن تلبس ما تشاء من اللباس الإسلامي، كما أنّ المرأة المتبرجة والمتعريّة تلبس ما تشاء؛ ولا يتدخل أحد في أمرها هناك؛ فمن حق المرأة المنتقبة: أن تلبس ما ترى أنّه واجب عليها، إذا كانت تعلمت من شيوخها أن هذا النقاب أمر واجب، أو حتّى أمر مستحب وأخذت بذلك؛ فلماذا نوجب عليها أن تعمل بغير ما ترى، بغير ما تعتقد به، بغير ما تقتنع به؟ هذا لا يجوز.

ولذلك نُحيي بابا الفاتيكان الذي طالما وقفنا ضده في مواقف أساء فيها إلى الإسلام، ولكنه إذا قال حقاً أيّدناه ورحبنا بمقولته، لقد قال: إنّنا لا نوافق على منع المسلمات من النقاب، ما دامت تلبسه باختيارها، غير مفروض عليها من أحد. والمسلمة تعمل هذا باختيارها، خصوصاً التي تلبسه في أوروبا، تلبسه باختيارها واقتناعها قطعاً، فهو استنكر على فرنسا ومن وافقها مثل بلجيكا وغيرها، في منع النقاب.

وكذلك نحيي وزيرة الخارجية الأمريكية (هيلاري كلينتون) أنّها عابت على الأوروبيين تضيقهم في أمر النقاب على المسلمات، وقالت: إنّ هذا التضيق لا يليق، وهو ضد الحرية الدينيّة والحرية الشخصية. فكان لا بدّ أن ننوّه بهذا الأمر.

### الانتخابات البرلمانيّة في مصر:

الكلمة الثالثة: هناك بعد يومين ستقوم الانتخابات في مصر، وأنا أنصح أبناء مصر جميعاً أن يتقوا الله في أنفسهم وفي وطنهم، وأن

يختاروا مَنْ ترضى ضمائرهم بأنّه الأصلح للناس، هذه شهادة، إما أن تشهد زورًا أو تشهد بالحق، وشهادة الزور من أكبر الكبائر.

النبي ﷺ قال لأصحابه يومًا: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟». قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «الشُّرْكُ بالله تعالى، وعقوقُ الوالدين». وكان متكئًا فجلس ثم قال: «ألا وقول الزُّور، ألا وشهادة الزُّور، ألا وشهادة الزُّور». وظلَّ يُكرِّرها حتَّى قال الصحابة: ليتَه سكت<sup>(١)</sup>. إشفافًا عليه، قالها بحماس، وكرَّرها مرارًا، فشهادة الزور من أكبر الكبائر، إذا اخترت رجلًا نصَّابًا أو لصًّا: لا يستحق أن يمثل الأمة، وليس جديرًا أن يمثل دائرته؛ فأنت تشهد زورًا، عليك أن تشهد بالحق، لا تخف في الله لومة لائم.

فأنا أدعو الأمة أن تراعي هذا الأمر، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة، لا أريد للناس أن يتقاتلوا، لا أريد أن تُسفك الدماء، حرام أن تسفك قطرة دم واحدة من أجل هذه الانتخابات، لماذا لا نسلك سلوك الأمم الحضارية؟

الناس في العالم يجرون الانتخابات، ليس فقط في أوروبا وأمريكا، بل في الهند والصين وغيرهما، ولا يُقتل رجل واحد، ولا امرأة واحدة، ولا تسفك قطرة دم؛ فلماذا نحن الذين نسفك الدماء في هذه الأمور؟ هذا ليس مُجَرَّد حرام، بل هو مع ذلك تخلف، لا يليق بحضارة أمة كبرى من الأمم العريقة، أمة الإسلام، أمة القرآن، أمة مُحَمَّد ﷺ لا يجوز أن تفعل هذا.

أنصح المصريين عامة: أن يتعدوا عن سفك الدماء، الذين يستأجرون البلطجية لإيذاء خصومهم، هذا أمر لا يليق بأمة أبدًا، أنا أنصح كل

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم في الإيمان (٨٧)، عن أبي بكرة.

الأحزاب، الحزب الحاكم وغير الحزب الحاكم: أن يتعدوا عن هذه الوسيلة الإجرامية المدمرة، التي تشوه صورة مصر الحضارة، لا يجوز لمصر ذات السبعة آلاف سنة حضارة: أن تمشي كأمة همجية.

أسأل الله تعالى لأمتنا أن يهيئ لها من أمرها رشداً، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلنا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وشمالنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، اللهم اجمع كلمة أمتنا على الهدى، وقلوبها على التقى، ونفوسها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود المغتصبين الغادرين، اللهم انصرنا على حلفائهم من الكائدين الحاقدين، اللهم انصرنا على جميع أعدائك أعداء الدين، اللهم يا منزل الكتاب، ويا مُجري السحاب، ويا سريع الحساب، ويا هازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا مَنْ لا يخافك ولا يرحمنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إِنَّكَ رؤوف رحيم.

\*\*\*



## موقف الإسلام من العلم (٢) (١)

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

تَحَدَّثْنَا فِي الْجُمُعَةِ الْمَاضِيَةِ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَقَلْنَا: إِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، وَإِنَّ مِنَ الْمَفْرُوضِ فَرَضٌ عَيْنٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ دِينِهِ مَا لَا بَدَّ مِنْهُ: مِنْ عَقَائِدِهِ وَعِبَادَاتِهِ، وَأَخْلَاقِيَّاتِهِ وَتَشْرِيعَاتِهِ، وَمِنْ سِيرَةِ نَبِيِّهِ، وَمِمَّا لَا بَدَّ مِنْهُ مِنَ الثَّقَافَةِ الْعَامَّةِ.

وَقَلْنَا: إِنَّ مِنْ فَرَضِ الْعَيْنِ الْآنَ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ تَزِيحَ وَصْمَةَ الْأُمِّيَّةِ عَنْهَا، وَأَنْ يَتَعَلَّمَ كُلُّ أَبْنَائِهَا: ذُكُورًا، وَإِنَاثًا. وَهَذَا فَرَضٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَى الْقَادِرِينَ وَالْمَتَعَلِّمِينَ مِنْهُمْ أَنْ يَبْذُلُوا جُهِودَهُمْ؛ حَتَّى يَزِيلُوا لُطْخَةَ الْعَارِ هَذِهِ عَنِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، أُمَّةٌ ﴿أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، أُمَّةُ الْقَلَمِ، أُمَّةُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، فَطَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ.

وَقَدْ أَشْرْتُ فِي الْخُطْبَةِ الْمَاضِيَةِ إِلَى أَنَّ الْعِلْمَ الْمَطْلُوبَ لَيْسَ عِلْمُ الدِّينِ فَقَطْ، عِلْمُ الدِّينِ مَطْلُوبٌ، وَلَكِنْ عِلْمُ الدُّنْيَا مَطْلُوبٌ أَيْضًا، إِذَا كَانَ بَعْضُ الشُّيُوخِ مِنْ عُلَمَاءِ الدِّينِ يَقُولُونَ: إِنَّ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدُّوْحَةِ، بِتَارِيخِ ٣ دَيْسَمْبَرِ ٢٠١٠ م.

والسنة في الحث على العلم والتحريض عليه؛ إنما يُراد به علم الدين فقط. فهو لاء مخطؤون.

### العلم المطلوب علم الدين والدنيا:

صحيح أن بعض ما جاء في ذلك هو لعلم الدين، مثل ما جاء عن النبي ﷺ: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يورثُوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر»<sup>(١)</sup>. العلم هنا هو علم النبوة، ومثل قوله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدو له، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهليين»<sup>(٢)</sup>. فالعلم هنا هو علم النبوة، علم الدين، العلم الهادي إلى الإيمان، وإلى العمل.

ولكن ما جاء في القرآن عن العلم والتنويه بالعلم، كثير منه لا يختص بعلم الدين، حينما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِنَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]. العلم هنا ليس العلم بالدين، بل هو العلم بالفلك والنجوم وهذه الأشياء. وحينما يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ

(١) سبق تخريجه ص ١٩٦.

(٢) رواه ابن وضاح في البدع (١)، والبيهقي في الشهادات (٢٠٩/١٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٨). عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري. وذكره ابن القيم في مفتاح دار السعادة وقواه لتعدد طرقه (١/١٦٣، ١٦٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. واستظهر صحته أو حسنه ابن الوزير لكثرة طرقه مع ما نقل من تصحيح أحمد وابن عبد البر وترجيح العقيلي لإسناده، مع سعة اطلاعهم وأمانتهم، فهذا يقتضي التمسك به. انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير (١/٣٨ - ٤٤)، نشر دار عالم الفوائد، وانظر كلامنا عليه في كتابنا: كيف نتعامل مع السنة النبوية ص ٢٨ - ٣١، نشر دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط ٦، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

الْأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ [يونس: ٥]. العلم هنا هو العلم الكوني، علم الشمس والقمر، والضياء والنور.

وحينما يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ آيَنِهِ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأُخْتَلَفَ الْأَلْسِنُ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]. العلم هنا هو العلم باختلاف الألسن والألوان، وهو من العلوم الاجتماعية.

وحينما يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨]. فهو يتحدث هنا عن علم النبات وعلم الأرض، أو الجيولوجيا وعلم الحيوان ونحو ذلك، ثم يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. أي: العلماء بأسرار الكون، الذين يعرفون الخالق من خلقه، أي: من آثاره في الخلق.

كل هذا يدلنا على أن العلم المطلوب معرفته يشمل كل ما يكشف الحقيقة، كل إدراك تنكشف به حقيقة، سواء كانت حقيقة كونية، أو حقيقة رياضية، أو حقيقة إنسانية، أو حقيقة لغوية، أو حقيقة اجتماعية، أو حقيقة دينية، كل ما يكشف الحقائق للإنسان؛ بحيث يراها جلية ليس فيها غموض ولا تلبس ولا شبهة، فهذا هو العلم الذي ينبغي أن يطلبه المسلم.

ولهذا برز المسلمون في هذه العلوم أيام ازدهار الحضارة الإسلامية، أيام أن كان الإسلام إسلاماً، والمسلمون مسلمين، كانوا هم قادة العالم في كل العلوم، كانوا هم رادة الحضارة وسادة الدنيا، وظلوا أكثر من ثمانية قرون معلّمين للعالم هذه الحضارة، وهذه العلوم.

ثم لَمَّا تَخَلَّفْنَا كَانَ تَخَلُّفُنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ، فِي عُلُومِ الدِّينِ وَفِي عُلُومِ الدُّنْيَا، الْمُسْلِمَ مَطْلُوبٌ مِنْهُ أَنْ يُحْصَلَ الْعِلْمُ، بِحَيْثُ يَكُونُ مُعَلِّمًا لَهُ، بِحَيْثُ يَكُونُ قَائِدًا فِيهِ، لَا نَرِيدُ أَنْ يَكُونَ عَالَةً عَلَى غَيْرِهِ.

نَحْنُ الْآنَ عَالَةً عَلَى غَيْرِنَا، كُلُّ الْعُلُومِ نَطْلُبُهَا مِنَ الْغَرْبِ، وَالْغَرْبُ إِنَّمَا اقْتَبَسَهَا مِنَّا، أَصْلُ حَضَارَةِ الْغَرْبِ مُقْتَبَسٌ مِنْ حَضَارَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، الْمَنْهَجُ التَّجْرِبِيُّ الْإِسْتِقْرَائِيُّ الَّذِي عُرِفَ بِهِ فِرَانْسِيْسٌ بِكَوْنِهِ، وَرَوَّجَهُ بِكَوْنِهِ وَهُؤُلَاءِ؛ إِنَّمَا كَانُوا رَسَلُ الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى الْغَرْبِ بِاعْتِرَافِهِمْ وَبَاعْتِرَافِ مُؤَرِّخِي الْعِلْمِ عِنْدَ الْغَرْبِيِّينَ، قَالُوا: إِنَّ الْغَرْبِيِّينَ تَعَلَّمُوا مِنْ حَضَارَتِنَا. ثُمَّ تَقَدَّمُوا وَتَخَلَّفْنَا، وَتَحَرَّكُوا وَسَكَنَّا، وَأَسْرَعُوا وَأَبْطَأْنَا، وَاسْتَيْقَظُوا وَنَمْنَا.

### شروط تحصيل العلم:

وَلَكِي نَنْهَضَ بِأَمْتِنَا لَا بَدَّ مِنْ حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ، لَا بَدَّ مِنْ حَيَوِيَّةٍ فِي الْأَفْكَارِ وَالْإِرَادَاتِ حَتَّى تَعُودَ أَمْتِنَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ؛ فَطَلَبُ الْعِلْمِ يَحْتَاجُ إِلَى هِمَّةٍ عَالِيَةٍ.

إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ الْجَوِينِي، وَهُوَ مِنْ عِمَالِقَةِ الْفِكْرِ فِي أَمْتِنَا، قَالَ لِأَحَدٍ تَلَامِيذِهِ:

أَصْخِ! لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ      سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بَيَّانٍ  
ذِكَاءً، وَحِرْصًا، وَاجْتِهَادًا، وَغَرَبَةً      وَتَوْجِيهًا أَسْتَاذًا، وَطَوْلَ زَمَانٍ<sup>(١)</sup>

بِهَذِهِ الْأُمُورِ السِّتَةِ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحْصَلَ الْعِلْمُ وَتُدْرَكَ.

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٠٨/٥).



## ١ - ذكاء طالب العلم:

الأمر الأول: الذكاء، لا بدّ من الذكاء لمن يطلب العلم، خصوصاً من يطلبه لغيره، هناك مَنْ يطلب العلم لنفسه وإن كان بليداً، وبعضهم لا فائدة منه، كما يقول المثل: (مهما تعلم في المتبلم يصبح ناسي). هذا يتعلم لنفسه، لكن مَنْ نريد أن نُعلّمه ليكون مصباحاً مضيئاً لأُمَّته، ليحمل المشعل أمام إخوانه ورفقائه، هذا لا بدّ أن يكون ذكياً، والذكاء مراتب: ذكاء عادي، وذكاء متوسط، وذكاء حاد، وذكاء عبقرى، والناس تتفاوت، خلق الله النَّاس درجات: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، فلا بدّ لطالب العلم أن يكون عنده قدر من الذكاء.

وعلى كل حال القرآن علّمنا أن بعض الحيوان والطيور يمكن أن تتعلّم، هناك كلاب مُعلّمة للصيد، وصقور مُعلّمة للصيد، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤]. فالكلب المُعلّم له فضل على غيره من الكلاب بالعلم.

الاهتمام مطلوب، خصوصاً للأمم التي تهتم بأبنائها، وخصوصاً الأذكياء والمتفوقين منهم، هناك موهوبون خلقهم الله هكذا، هؤلاء ينبغي ألا تهملهم الأُمَّة، لا بدّ أن تجعل لهم مدارس خاصّة، وبرامج خاصّة؛ لأن استيعابهم أكبر من البرامج العادية، هم يهضمونها بسرعة، ويظنون من غير عمل، أمّا الأمم القويّة فتجعل لهؤلاء المتفوقين النوابع برامج خاصّة، ولا تتركهم كغيرهم



## ٢ - الحرص على طلب العلم:

الأمر الثاني: الحرص، لا بدّ من الحرص على طلب العلم، كثيرًا ما يضيع الأذكياء في الأمم الغافلة، يمكن أن يضيع الأولاد الأذكياء الذين لا يهتم بهم أحد، ولا ينبّههم إلى مواهبهم أحد، يمكن أن ينشغلوا باللعب مع غيرهم في الشوارع، وتضيع هذه المواهب!

لهذا لا بدّ أن ننشئ فيهم البواعث، الحرص، أن يحرص الولد على أن يستغل موهبته. فقد رزق الله ﷻ الإنسان من فضله نعمًا عظيمة، والعقل أعظم النعم، وذكاء العقل أعظم وأعظم، ولهذا كان الحرص على استغلال هذا الذكاء في طلب العلم أمر مهم، وهذا الحرص جانب أخلاقي، وجانب نفسي، فلا ينبغي أن ندع الأذكياء ولا نُشعل فيهم هذا المصباح؛ بحيث يحرص الولد الذكي على طلب العلم، ولا يُضيّع حياته كما يُضيّعها الآخرون.

وقد شهدنا في حياتنا أبناءً أذكياء موهوبين، أنا من عدة سنوات حاولت أن أنشئ مؤسسة عالميّة لرعاية الموهوبين في عالمنا الإسلامي، كم من أولاد صغار في القرى، آباؤهم فقراء لا يستطيعون أن يعلموهم، ولا يستطيعون أن يذهبوا بهم إلى الجامعة، هناك أولاد في الهند وبنجلاديش وفي بلاد الأقليات المختلفة: يضيعون بسبب الفقر، فنحن نحتاج إلى رعاية الموهوبين، فقد يكون الولد ذكيًا ولا يجد من يحتضنه، وإذا وجد مَنْ يحتضنه غرس فيه هذا الباعث، هذا الحرص على طلب العلم.

رأينا سيّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يذهب بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى بيوت الأنصار؛ ليسمع منهم ما سمعوه وما تعلموه من رسول الله ﷺ،



وكان صغيراً، كان عمره عشرة أو اثنتا عشرة سنة حينما توفي رسول الله ﷺ.

كان يذهب إلى بيت الأنصاري، يقول: إن كنت لآتي الرجل فأجده نائماً؛ لو شئت أن يُوقظ لي لأوقظ، فأجلس على بابه تسفي على وجهي الريح، حتّى يستيقظ متى ما استيقظ، وأسأله عمّا أريد ثمّ أنصرف<sup>(١)</sup>. ويقول: أدركتُ العلمَ بلسانٍ سؤول، وقلبٍ عقول<sup>(٢)</sup>. فالحرص مطلوب لطلب العلم.

### ٣ - الاجتهاد في طلب العلم:

الأمر الثالث: الاجتهاد، لا بدّ من الاجتهاد، وليس الاجتهاد أن تبذل الجهد فقط؛ بل الاجتهاد أن تستفرغ جهدك، أن تبذل كل ما في وسعك؛ حتّى تصل إلى العلم المنشود، تجتهد لتطلب العلم من مظانّه، ومن أهله، ومن كل مَنْ عنده شيء، وتتزلف إلى معلمك، قالوا: التزلف هنا مطلوب. حاول أن تتزلف إليه، تتقرّب إليه، تتودّد إليه تتوسّل إليه.

لا تذهب لطلب العلم وأنت مستكبر عليه، لا، يقول الشعبي: من علّمني حديثاً فأنا له عبد<sup>(٣)</sup>. هو سيدي ما دام يعلمني هذا الحديث، وهذا ما تعلمناه في الكتّاب، كانوا يقولون: مَنْ علّمني حرفاً صرت له عبداً. وكانوا يقولون لنا: عصا الفقيه من الجنّة. لا تستنكف منها أبداً لأنّها

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٦٨/٢)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٦٨م.

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٩٠٣)، تحقيق د. وصي الله محمد عباس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) جامع بيان العلم (٨٢٨).

تُعَلِّمُكَ، والعلم طريق إلى الجنة، والحمد لله لم أُضرب قط على التعليم، فلا بدّ من الاجتهاد في طلب العلم.

كان سلفنا يقولون: إنّ العلم لا يُعطيك بعضه حتّى تعطيه كلك. تعطيه كل جهدك، كل وقتك، كل ذكائك، كل شيء، فيتفضّل العلم عليك ويعطيك بعضه، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ما من عالم إلّا ويسأل الله الزيادة لأن العلم بحر لا ساحل له، إيّاك أن تظن في وقت من الأوقات أنك قد بلغت كل شيء، هذا هو الجهل بعينه، هذا هو الغرور، ولذلك كان سلفنا يقولون: لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم، فإذا ظنّ أنّه علم فقد جهل<sup>(١)</sup>. يظل الإنسان يتعلّم أبد الدهر، ولذلك من موروثاتنا: اطلب العلم من المهد إلى اللحد. حتّى تدخل القبر.

وذكرت لكم في الأسبوع الماضي أن بعض العلماء كان يطلب العلم وهو على فراش الموت، قبل أن تخرج روحه يقول لتلميذه: اقرأ لي تفسير هذه الآيات من تفسير الطبري، أو من تفسير القرطبي، اقرأ لي حديثًا من البخاري أو مسلم، أو صفحة من كتاب (فتح الباري)، أو اقرأ لي من كتاب سيبويه. وهكذا ليظل طالبًا العلم إلى أن يموت.

وقيل لبعضهم: أحسن بالشيخ أن يتعلم؟ قال: إذا كان يقبّح بالجهل؛ فإنّه يحسن بالتعلم<sup>(٢)</sup>. وقيل لبعضهم أيضًا: هل يطلب الشيخ

(١) رواه الدينوري في المجالسة (٣٠٨) من كلام ابن المبارك. وليس حديثًا كما ظنّها بعض الناس. تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٥٩٠).

العلم؟ قال: هو أولى بطلب العلم؛ لأن الخطأ منه أقبح<sup>(١)</sup>. فينبغي أن يظل يطلب العلم.

وأقول لكم: أنا الآن دخلت في السنة الخامسة والثمانين، ولا زلت أطلب العلم، وكثيراً ما أكتشف أنني أجهل الكثير، وأقول لنفسي متعجباً: كيف عشت عمري وأنا أجهل هذا الأمر؟! ولا زلت أكتشف ما أجهله وهو كثير، وأتعلم من تلاميذي، لي إخوان من شباب العلماء يعملون معي في المكتب كثيراً ما ينبهونني على أمر غفلت عنه، أو يذكرونني بأمر نسيت، أو يعلمونني ما أجهل، وليس في العلم كبير، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

هكذا ينبغي للإنسان أن يظل يتعلم طوال عمره، ويتعلم من الكبير والصغير، يتعلم من كل أحد ومن كل شيء، وقد تعلم سيّدنا سليمان من الهدهد، حينما قال له: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

بل يمكن أن يتعلم الإنسان حتّى من إبليس نفسه، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ؛ فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: إني محتاج، وعليّ عيال ولي حاجة شديدة. قال: فخلّيت عنه، فأصبحتُ، فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟». فحكى للرسول ﷺ، فقال: «أما إنه قد كذبتك، وسيعود». وكرر عودته ثلاث ليال، قال أبو هريرة: فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرّات

(١) جامع بيان العلم وفضله (٥٨٩).

أنك تزعم لا تعود، ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقراً آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حتّى تخطم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتّى تصبح. فخلّى أبو هريرة سبيله، فلمّا أصبح وحكى للرسول ﷺ قال له: «أما إنّ قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟». قال: لا. قال: «ذاك شيطان»<sup>(١)</sup>. فالإنسان يتعلم حتّى من إبليس، خذ الحكمة من أيّ وعاء خرجت، فالكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحقّ بها، هكذا للإنسان أن يتعلم.

#### ٤ - الرحلة في طلب العلم:

الأمر الرابع: الرحلة في طلب العلم، كانوا يرحلون - خصوصاً في الأزمنة الماضية - من أجل أن يطلبوا العلم، يطلبوه من العلماء المعروفين بهذا العلم، يعيش في قطر مثلاً ويعرف أن هناك عالماً في مكة فيرحل إليه، أو في مصر فيرحل إليه، أو في بخارى فيرحل إليه، أو في الصين فيطلب العلم ولو في الصين.

هكذا كان العلماء يرحلون في طلب العلم، خصوصاً علماء الحديث؛ فقد ضربوا أروع الأمثال في الرحلة من أجل طلب الحديث، عندهم شيء يسمونه (الإسناد العالي)، ما معنى الإسناد العالي؟ هو أن يروي الراوي الحديث بحيث يكون أقرب في الإسناد من رسول الله ﷺ، فمثلاً

(١) رواه البخاري معلقاً في الوكالة (٢٣١١) بصيغة الجزم، كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير (٦٧٥/١) عند تفسير آية الكرسي. ووصله النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٢٩)، ورواه ابن خزيمة في الزكاة (٢٤٢٤).

إذا كان روى الراوي حديثًا عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، وكان معاصرًا لنافع، يقول: ولماذا لا أروي عن نافع مباشرة؟ ويرحل إليه ويروي عنه الحديث، فبعد أن كانت بينه وبين رسول الله ثلاث وسائط: أصبحت بينه وبينه واسطتان، هذا يسمّى (علو الإسناد)، أي يأخذ من أوثق المصادر وأقربها إلى الأصل، فكان علماء الحديث يحبون علو الإسناد، ويذهبون إلى البلاد المختلفة في طلبه، وبدأ بذلك أصحاب رسول الله ﷺ.

رحل سيّدنا أبو أيوب الأنصاري من المدينة المنورة إلى مدينة الفسطاط التي بناها سيّدنا عمرو بن العاص وسمّيت بعد ذلك (القاهرة)، رحل إليها لسمع حديثًا من سيّدنا عقبة بن عامر، فلما قدم أخبر عقبة به؛ فعجل وخرج إليه فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ، لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن. قال: نعم سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من ستر مؤمنًا في الدُّنيا على عورة ستره الله يوم القيامة». فقال له أبو أيوب: صدقت. ثمّ انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعًا إلى المدينة<sup>(١)</sup>. هكذا سأله وانصرف إلى المدينة دون أن يحل رحله.

وكذلك فعل جابر بن عبد الله؛ حينما رحل إلى الشام لسمع حديث واحد<sup>(٢)</sup>، فهكذا كان أوّل من رحل لطلب العلم هم الصحابة، وسار التابعون على دربهم، الإمام عامر بن شرحبيل الشعبي من أئمّة التابعين

(١) سبق تخريجه ص ٢١٩.

(٢) رواه أحمد (١٦٠٤٢)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٠)، والحاكم في التفسير (٤٣٧/٢، ٤٣٨)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، والخطيب في الرحلة في طلب الحديث (٣١)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٧٠).

عَلَّمَ أَحَدَ النَّاسِ حَدِيثًا، ثُمَّ قَالَ لَهُ: خُذْهَا بِغَيْرِ شَيْءٍ، وَإِنْ كَانَ الْوَاحِدُ مِنَّا يَسِيرُ فِيهَا مِنْهَا مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ<sup>(١)</sup>. يَعْنِي: خُذْ هَذَا الْحَدِيثَ مَجَانًا بِغَيْرِ تَعَبٍ.

وَيَقُولُ سَيِّدُنَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَفْقَهُ التَّابِعِينَ: إِنْ كُنْتَ لِأَسِيرِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ<sup>(٢)</sup>. لَا تَظُنُّوا أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الَّتِي نَقَرُوهَا فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ وَمُسْنَدِ أَحْمَدَ وَمَوْطَأَ مَالِكٍ: أَنَّهَا جَاءَتْنا هَكَذَا عَفْوًا صَفْوًا، لَا، فَقَدْ تَعَبَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَجْلِهَا.

هَكَذَا تَعَبَتِ الْأُمَّةُ مِنْ أَجْلِ تَوْثِيقِ الْعِلْمِ، حَتَّى يَكُونَ الْعِلْمُ مُوَثَّقًا، وَلِذَلِكَ امْتَاَزَتِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِالْإِسْنَادِ، فِي الْأُمَمِ الْآخَرَى يَقُولُونَ: جَاءَ عَنْ مُوسَى كَذَا، وَعَنْ الْمَسِيحِ كَذَا، وَعَنْ الْحَوَارِيِّينَ كَذَا بِدُونِ إِسْنَادٍ، لَكِنْ فِي أُمَّتِنَا إِذَا قَالَ لَكَ أَحَدٌ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: كَذَا. هُنَا يَقُولُونَ لَهُ: عَمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ. فَيَقُولُونَ: وَهَلْ حَضَرْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ؟ يَقُولُ: لَا. فَيَقُولُونَ: إِذَنْ فَمَنْ؟ يَقُولُ: فَلَانُ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. يَقُولُونَ: وَهَلْ حَضَرْتَ الْأَعْرَجَ؟ يَقُولُ: رَوَيْتَهُ عَنْ أَبِي الزُّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَلَا بَدَّ أَنْ يَأْتِيَ بِسُلْسِلَةِ الرِّوَاةِ الَّذِينَ رَوَوْا الْحَدِيثَ.

هَكَذَا لَمْ يَكُونُوا يَأْخُذُونَ بِالْحَدِيثِ عَنْ كُلِّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ، لَا، بَلْ كَانُوا يُشَرِّحُونَ كُلَّ رَاوٍ: مَنْ هُوَ؟ هَلْ هُوَ مَعْرُوفٌ الشَّخْصِيَّةُ أَمْ مَجْهُولٌ؟ يَقُولُ: عَنْ رَجُلٍ. فَمَنْ هُوَ الرَّجُلُ؟ يَقُولُ: عَنْ ثِقَةٍ. قَدْ يَكُونُ ثِقَةً عِنْدَكَ وَلَيْسَ عِنْدَ فَلَانٍ، فَلَا بَدَّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: اسْمُهُ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ. بَحِثْ نَعْرِفْ مَنْ شَيْخُوخُهُ؟ فِي أَيِّ حَلْقَةٍ مِنَ الْحَلَقَاتِ

(١) مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ (٣٠١١)، وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ (١٥٤).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ (٥٦٩).



تعلّم؟ وعمّن أخذ هذا الحديث؟ ومن يعرفه من التلاميذ الذين حضروا معه؟ ومن؟ ومن؟

ولذلك قالوا: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما شاء<sup>(١)</sup>. كل واحد يقول ما يشتهي، قرأ ابن المبارك بعض التفاسير وقال: يا له من علم لو كان له إسناد<sup>(٢)</sup>. لو عرفنا من أين أتى بهذا الكلام؟ فهذه هي الغربة والرحلة في طلب العلم.

ولا زال بعض العلماء في عصرنا يرحل من بلد إلى بلد، واحد يذهب إلى الأزهر يتعلم فيه، آخر يذهب إلى جامعات السعودية يتعلم فيها، وآخر يذهب إلى ندوة العلماء في (لكنو) في الهند يتعلم فيها، وهكذا.

#### ٥ - أهمية المُعلِّم للطالب:

الأمر الخامس: أهمية العلم، يقول إمام الحرمين: وتوجيه أستاذ وطول زمان. لا بدّ من مُعلِّم، ليس موثقاً علماً مَنْ يتعلم من الكتب وحدها؛ دون أن يشرح له شارح، ويُنبّهه إلى أخطائه مُنبّه، كان سلفنا يقولون: لا تأخذ القرآن من مُصحفي، ولا العلم من صُحفي. لا تتعلم القرآن من شخص تعلم القرآن بمجرد القراءة في المصحف، لم يُقرئه مُعلِّم.

كنا في الكُتّاب نتعلم القرآن من (العريف)، ونقرأ عليه القرآن لوحاً لوحاً، نكتبه في اللوح، ونقرأه عليه ليصحّح لنا قراءتنا. ممكن واحد يقول: سورة (الهمزة) بفتح الهاء. فيصحّح له: اسمها (الهمزة) بضم الهاء والميم. أو يقول: سورة (الحجر). فيصحّح له: اسمها (الحجر). فلا بدّ

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١٥/١)، عن ابن المبارك.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٥/٦٠)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار

الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

أن يقرأ عليه حرفاً حرفاً حتّى يحفظه سليماً، ويأتي في اليوم الثاني يسمعه ما حفظه مرّة أخرى، هذا هو التعلم الحقيقي.

يمكن أن يحاول الإنسان تهجّي الحروف والكلمات، ويستطيع أن يقرأ، لكن لا يمكنه أن يُعلّم غيره، مَنْ يتعلم بطريق القراءة في المصحف فقط لا يصلح مُعلِّماً لغيره، يكفي لنفسه فقط، أمّا الذي يريد أن يُعلّم غيره لا بدّ أن يتعلّم من مُقرئ مجيد للقرآن الكريم، لا تأخذ القرآن من مُصحفي تعلّم وحده.

ولا تأخذ العلم من صُحفي، الصحف تعني الكتب، أي لا تأخذ العلم من شخص تعلم من الكتب وحدها، ليس له شيوخ أخذ عنهم، فمن المهم أن تأخذ العلم من شيخ، ولو العلم الأوّلي، ويمكن وبعد ذلك أن تقرأ وحدك، لكن لا بدّ أولاً مَنْ يُمَلِّك مفاتيح العلم؛ لتفتح أبوابها وحدك، ومن يريك مصابيح العلم لترى الطريق وحدك.

ولذلك قالوا: إنّ المدرسة لا تعطيك العلم، وإنّما تعطيك مفاتيح العلم، أمّا العلم نفسه ففي المكتبة. العلم في المكتبة، لكن الذي يعطيك مفاتيحه فهو المُعلّم، هي المدرسة، هو المعهد، هي الجامعة، ولذلك إذا رزقك الله بُمعلّم ناجح موهوب تستريح إليه، وينشرح به صدرك، وتصغي إليه فهذا نعمة من الله.

ولكن للأسف هناك كثير من المُعلمين لا يعرفون قدر أنفسهم، النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا»<sup>(١)</sup>. كما قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]. هناك مَنْ لا يعلم قدر هذه النعمة؛ فيؤدّي رسالته وهو كاره لها، والطلاب يكرهونه أكثر.

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٨)، وأحمد (١٤٥١٦)، عن جابر بن عبد الله.

ولذلك نجد للأسف الطلاب لم يعودوا يحترمون معلمهم، لم يعد هناك مَنْ يقول: مَنْ عَلَّمَنِي حَرْفًا صَرْتُ لَهُ عَبْدًا. قال شوقي في قصيدته الشهيرة:

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبَجِيلَا      كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا  
أَرَأَيْتَ أَعْظَمَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي      يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا<sup>(١)</sup>؟

لم يعد يُنظر إلى المعلم هكذا.

إذا وجدت المعلم الذي يعلمك ويعطيك من نفسه، ويحب أن تتعلم وأن تتفوق فهذه نعمة عظيمة.

نحن نشكو من قلة المعلمين، ونشكو من أَنَّ الطلبة لا يحبُّون المدارس، طالب يقول عن المدرسة: أنا ذاهب إلى (الزريبة). وحين تنتهي الامتحانات تُمزَّق الكتب والكراسات وتُلْقَى في الشارع؛ بسبب كراهية الطلاب للكتب والمدرسة والتعليم والمعلمين؛ أي أمة هذه؟! كيف تنهض أمتنا وهي تكره التعليم بهذه الطريقة؟

نحن نحتاج إلى إعادة صياغة للأمة؛ بحيث يكون كل مَنْ فيها يُعَلِّم، المدرسة تُعَلِّم، والبيت يُعَلِّم، والمسجد يُعَلِّم، والشارع يُعَلِّم، والإذاعة تُعَلِّم، والتلفزيون يُعَلِّم، والمسرح يُعَلِّم، وكل جهة تقوم بنصيبها في التعليم، ويتعاون بعضها مع بعض، وليس يبني بعضها، والآخر يهدم!

متى يبلغُ البنيانُ يومًا تَمَامَهُ      إذا كنتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُهُ<sup>(٢)</sup>؟

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٨٠/١).

(٢) من شعر صالح بن عبد القدوس، كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣)، نشر دار الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

يمكن للمسجد أن يُعلّم، ويمكن له أن يُجهّل، بعض الخطباء يُجهّلون الناس، الذين يحدثون الناس عن الجنّ الذي يركب الإنسان، والعفريت الذي يسخر الإنسان: هو نوع من الجهل والتجهيل، الله تعالى سخر لنا كل شيء، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الباقية: ١٣]، فيأتي بعض الخطباء ويقول للناس: العفريت يُسخر الإنسان. حتّى إنّه في إحدى بلاد الخليج اختلس أحدهم مائة مليون من أحد البنوك، فلما سأله القاضي في المحكمة: ما الذي حملك على هذا؟ قال: كنت مجبوراً. قال: ما الذي أجبرك؟ قال: سخرني جنّي، وأجبرني أن أسرق مائة مليون من هذا البنك! والعجيب أنّ القاضي صدّقه وأحاله على الراقي الشرعي فلان الفلاني، وقال الراقي: أنا حضّرت الجنّي فعلاً وقال لي الجنّي: أنا أمرته أن يسرق. فقال القاضي: هات الجنّي. قال: لا، هو لا يريد أن يأتي. فإذا كانت مهمّة العلم الديني تجهيل الناس بهذه الطريقة فهذه مشكلة كبيرة.

هناك من يقول: أنا أفتح عيادة للناس للعلاج بالقرآن. وهذه بدع، لماذا لم يفتح الصحابة ولا التابعون ولا أتباعهم ولا الأئمّة عيادات مثل هذه، كان الناس يذهبون للأطباء إذا مرضوا، جاء رجل مفؤود يشكو كبده إلى النبي ﷺ ليعالجه، فقال له: «اذهب إلى الحارث بن كلدة الثّقفي»<sup>(١)</sup>. وقيل: إنّه لم يكن أسلم<sup>(٢)</sup>. اذهب إلى الطبيب،

(١) رواه أبو داود في الطب (٣٨٧٥)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٨٣٤)، وقال الأرناؤوط في تخريجه لسنن أبي داود: رجاله ثقات، لكنّه مرسل. عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) التراتيب الإدارية للكتاني (٤٥٧/١)، تحقيق عبد الله الخالدي، نشر دار الأرقم، بيروت، ط ٢.

«إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً: عِلْمُهُ مَنْ عِلْمُهُ، وَجَهْلُهُ مَنْ جَهْلُهُ»<sup>(١)</sup>، فلا بدّ للمسجد أن يعين على حسن التعليم.

أمّا أن يقول أحد الدعاة يومًا: الحمد لله الذي سخر لنا الغرب الكافر ليصنعوا لنا التكنولوجيا، وسخرنا نحن لعبادة الله! سخر الله لنا الأمريكان والأوروبيين واليابانيين وأمثالهم؛ ليصنعوا التكنولوجيا والطائرات والسيارات، والمدافع والدبابات والصواريخ، وسخرنا نحن من أجل عبادته! كأن عبادة الله تعني أن نصبح عالة على غيرنا، لا نستطيع أن ندافع عن أنفسنا؛ لأننا لا نستطيع أن نمتلك دبابة إلّا إذا اشتريناها من الغربيين، هذا إذا سمحوا لنا بشرائها، ما هذا الخبل.

لكي نكون أمة متقدّمة راقية؛ لا بدّ أن يكون المجتمع كله مُعلّمًا، يشترك في قضية التعليم، لا بدّ أن تشترك الأسرة في ذلك، اشتكى لي كثير من المسؤولين بالمدارس أنّهم يحاولون أن يستعينوا بأولياء أمور الطلبة، هناك مجالس للآباء والأمهات، ولكن لا يحضر إلّا حوالي خمسة في المائة (٥٪)، ولا يحضر الباقي، لا يهتمه أنجح ابنه أم رسب؟ ولماذا رسب؟ وبعضهم لا يعرف هل نجح أو رسب؟ يذهب سائق أو خادمه بابنه إلى المدرسة؛ وهو مشغول بعمله أو بماله، ولا يسأل عن أولاده! لا يمكن أن ترقى المجتمعات بهذا النوع من الناس، لا بدّ أن يشترك المجتمع كله في تعليم الأبناء والرقى بهم، هذا ما نريده من مجتمعنا، فلا بدّ من توجيه الأستاذ لطالب العلم.

(١) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. والحاكم في الطب (٣٩٩/٤)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحيا (٣٤٣/٩)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٤٥١)، عن ابن مسعود.

## ٦ - الاستمرار في طلب العلم:

الأمر السادس: الذي قاله إمام الحرمين فيما يتطلبه العلم: طول الزمان، يعني لا تظن أنك ستحصل العلم في سنتين أو أربعة أو ستة، وتقول: أنا اكتفيت. لا، بل لا بدّ أن تظل تطلب العلم طول زمانك، ما دامت فيك الحياة؛ لا بدّ أن تظل طالباً للعلم، هذا هو شأن طالب العلم الحقيقي، والحقيقة أن كل إنسان هو طالب علم.

ولذلك أعجبني أن علماء الخليج يطلقون على مشايخ العلم: طلبة العلم، أوّل ما جئت هنا إلى الخليج سنة ١٩٦١م. زارني أحد علماء قطر الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ، في أوّل ساعة لي في المعهد الديني، ولم أكن أعرفه، فرحّب بي وقال: أنا أخوك عبد الله بن إبراهيم الأنصاري من طلبة العلم. فأعجبني هذا التعبير، أن كل إنسان هو طالب علم.

## حفظ العلم:

هذه هي الأدوات أو الشروط التي لا بدّ منها لكل من يريد أن يصل إلى العلم الحقيقي، والعلم الحقيقي ليس بمجرد الحفظ، لا بدّ من حفظ ومن فهم، أو كما يسمّونه: الرواية والدراية، ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن بقوة الدراية.

وعلم الدين لا بدّ فيه من حفظ، كانت عند السلف حوافظ هائلة، كان الإمام الزهري إذا مشى في الشارع يسد أذنيه لأن كل ما يسمعه يحفظه<sup>(١)</sup>، وهو لا يريد أن يحفظ ما لا ينفع، ويقول الإمام الشعبي: أقل ما أحفظ هو الشعر، ولو شئت أن أروي لكم من الشعر لظللت شهراً أروي لكم

(١) طبقات علماء أفريقيا ص ٣٧، نشر دار الكتاب اللبناني، بيروت.



ولا أعيد<sup>(١)</sup>. كان يحفظ عشرات الآلاف من الأبيات؛ فكيف بما يحفظه من غير الشعر؟ كم يحفظ من الحديث؟ وكم يحفظ من التفاسير؟

### كتابة العلم:

ولا بدّ أيضًا من كتابة العلم، فالعلم صيد والكتابة قيد، كما قال الشاعر:

الْعِلْمُ صَيْدٌ وَالْكِتَابَةُ قَيْدُهُ      قَيْدُ صُيُودِكَ بِالْحَبَالِ الْوَائِقَةُ  
فَمِنْ الْحَمَاقَةِ أَنْ تَصِيدَ غَزَالَهُ      وَتَفُكَّهَا بَيْنَ الْخَلَائِقِ طَالِقَةُ<sup>(٢)</sup>

### الجمع بين الحفظ والكتاب:

قيد العلم بالكتاب، وبعضهم يحث على الجمع بين الحفظ والكتابة فيقول:

عَلَيْكَ بِالْحِفْظِ بَعْدَ الْجَمْعِ فِي كُتُبٍ      فَإِنَّ لِلْكُتُبِ آفَاتٍ تُفَرِّقُهَا  
فَالْمَاءُ يُغْرِقُهَا وَالنَّارُ تَحْرِقُهَا      وَالْفَأْرُ يَخْرِقُهَا وَاللِّصُّ يَسْرِقُهَا<sup>(٣)</sup>

فمن المهم أن تحفظ مع وجود الكتاب، الإمام الغزالي سرقه اللصوص ذات مرّة، فقال لهم: خذوا الكل واتركوا لي كتيبي التي فيها علمي. فقالوا: ما يكون هذا العلم الذي يستطيع لص أن يسرقه منك؟ فتنبه لذلك، ولذلك قالوا: العلم في الصدور لا في السطور، وفي

(١) سير أعلام النبلاء (٣٠٢/٤)، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٢) هو الإمام مالك، كما في إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (٥/٤)، نشر دار الفكر، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣) ذكرهما من غير نسبة الشيخ عlish، في الفتوحات الإلهية الوهبية شرح المنظومة المقرية ص ٤٧، ٤٨، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(الراس) لا في القرطاس. فلا بدّ أن تجمع بين الأمرين: الكتابة والحفظ، كما قال أبو الطيّب:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنَا سرجٌ سابحٌ وخيرُ جليسٍ في الزَّمانِ كتابٌ<sup>(١)</sup>  
وقال شوقي:

أنا مَنْ بَدَّلَ بالكُتُبِ الصَّحَابَا لَمْ أَجِدْ لِي وَافِيَا إِلَّا الْكِتَابَا  
صاحبٌ إن عِبُّهُ أَوْ لَمْ تَعِبْ ليس بالوَاجِدِ لِلصَّاحِبِ عَابَا  
كَلَّمَا أَخْلَقْتُهُ جَدَّدَنِي وكساني من حُلَى الْفَضْلِ ثِيَابَا<sup>(٢)</sup>

### ضرورة القراءة:

لا بدّ أن نهتم بالكتب، وأن نجتمع الكتب، ولا بدّ أن نقرأ، للأسف أقل الأمم قراءة أمتنا، بينما تجد الغربيين يقرؤون، تجد الواحد منهم في الطائرة أو القطار أو الحديقة يمسك الكتاب ويقرأ، نحن لا نفعل ذا.

من المهم أن نقتني الكتب ولا بدّ أن نقرأ، وأن نورث أبناءنا مكتبة، هل عند كل واحد منكم في بيته مكتبة فيها عشرين أو خمسين كتاباً؟ هل عندك كُتُب يرثها منك أولادك؟ لا نفعل هذا للأسف، كثيراً ما قلت هذا: أمّة (اقرأ) لا تقرأ! وقال هذا الكلام موشى ديان حينما صرّح بتصريحات خطيرة، وقالوا له: فضحتنا عند العرب. فقال لهم: اطمئنوا فإن العرب لا يقرؤون!

أسأل الله تبارك وتعالى أن يهدي أمتنا بالعلم، وأن ينور طريقها بالعلم، وأن ينفعها في دينها ودنياها بالعلم، ادعوا ربكم يستجب لكم.

\*\*\*

(١) ديوان المتنبي ص ٤٧٨، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

(٢) أحمد شوقي العمال الشعرية الكاملة (١٨/٢).

## الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

### استمرار الاستيطان في القدس:

لي هنا كلمتان: الكلمة الأولى: عما يجري في فلسطين عامّة، وفي القدس خاصّة؛ حيث نسمع في كل يوم من الأنباء ما تشيب له الولدان، وما تقشعر منه الأبدان، هناك مؤامرات على المسجد الأقصى، كل يوم نسمع أخبارًا عن هذه المؤامرات.

وآخر الأخبار التي سمعناها بالأمس: أنّ أوباما قال: لم نستطع أن نصل إلى شيء مع الحكومة الإسرائيلية؛ بالنسبة للاستيطان، وإيقاف الاستيطان. ولكن الخبر المؤكد أنّهم قالوا: إنّ هناك ستمائة وخمسين وحدة سكنيّة استيطانيّة ستقام في شمال القدس. هذا هو المؤكّد، لا يمكن أن تتوقّف إسرائيل عن الاستيطان، إسرائيل مستمرّة وهي لا تُبالي بأحد.

وأنا أعجب من الاستمرار مع هذا في مسيرة المفاوضات؛ ألا تنتهي هذه المسيرة إطلاقًا؟ هل نحن مستعدون أن نفاوض مهما ضُربنا بالنعال، ومهما أصبنا بالمصائب، ومهما حدث لنا؟!

آن لنا أن نقول: لا، ليس لنا وسيلة إلّا أيدينا وسلاحنا، والتوكل على ربنا، والاستمسك بحقوقنا. أسأل الله أن يهب أمتنا الرشد، وتفيق من سباتها.

### تنظيم قطر لكأس العالم ٢٠٢٢م:

الكلمة الثانية: أنا حقيقة لا أهتم بكرة القدم، لماذا لا أهتم بها؟ لأنني عادة أهتم بما لا يهتم به النَّاس من الضرورات والحاجات، أريد أن

نكمل النواقص، أريد أن نذكر بالأمور المنسيّة، أريد أن ننبّه عما غفل عنه الناس، أن نعلّم الناس ما يجهلونّه.

أمّا ما يهتم به الناس بشكل كافٍ فلا حاجة لأن أدخل فيه، والناس تهتم بكرة القدم؛ بما لا يحتاجون من مثلي أن يتدخل فيه، هم مهتمون أكثر من اللازم، هذا ما لا يشك فيه أحد.

ولكنني جلست بالأمس أرى ما يراه أهل قطر منتظرين نتيجة (الفيفا)، جلست أتابع حتّى رأيت أن قطر تتنافس مع أمريكا فأخذتني الحميّة، فقلت: ربنا يسقط أمريكا وينجح قطر. وفعلاً سقطت أمريكا ونجحت قطر، فقلت: الحمد لله. نحن أوّل مرّة نتصر على أمريكا في شيء من الأشياء.

وزاد حميتي تصريح أوباما حيث جاء أوباما بعدها بقليل وصرّح تصريحاً في غاية السوء، قال: إنّ قرار (الفيفا) هو قرار سيئ وقرار خاطئ. وهذا يدل على سوء سياسة هذا الرجل، لأنّه تدخل في أمر يأتي بالتصويت وبالانتخاب، وليس معقولاً أن تشتري قطر هذه البلاد، لا تستطيع التأثير على قرارهم.

هذا التعليق السيئ لأوباما يدل على أنّ أمريكا تريد أن تحتكر كل شيء، هؤلاء النّاس مستكبرون في الأرض، يستكثرون علينا أي شيء، يريدون أن يحتكروا السياسة، ويحتكروا الاقتصاد، ويحتكروا السلاح، ويحتكروا الكرة والرياضة، ويحتكروا كل شيء، ولا يتركون لنا شيئاً، كأننا لسنا جزءاً من هذا العالم، كأن هذا الشرق الذي منه نبتت الحضارات، وفيه هبطت الرسالات، رسالة موسى وعيسى ومحمد انطلقت من هذا الشرق، والحضارات الكبرى جاءت من هذا الشرق؛ قبل



حضارة اليونان والرومان، هم يحتقروننا ويحتكرون كل شيء دوننا فإذا  
فُزنا بشيء قالوا: إن هذا سيئ، وإن هذا خاطئ.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَهَبَ الرُّشْدَ لَأُمَّتِنَا، رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ  
رَحْمَةً، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، رَبَّنَا لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طُرْفَةَ عَيْنٍ  
وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ يَوْمَنَا خَيْرًا مِنْ أَمْسِنَا، وَاجْعَلْ غَدَنَا خَيْرًا  
مِنْ يَوْمِنَا، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا  
وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَأَهْلِنَا  
وَأَمْوَالِنَا، اللَّهُمَّ اسْتَرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، واحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ  
خَلْفِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَشِمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا، وَنَعُوذُ بِعِظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ  
تَحْتِنَا، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ،  
اللَّهُمَّ آمِينَ.

\*\*\*





## تغيير الخطاب الديني والتعليمي

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

مضت أشهر ولم ألتق بكم من خلال هذا المنبر، ولعل ذلك بسبب إجازة الصيف وما حولها، والحمد لله أن بقي هذا المنبر همزة وصل بيني وبين إخواني وأخواتي المسلمين والمسلمات؛ لا في قطر وحدها، بل أصبح هذا الصوت يُسمع في العالم كله.

لقد اتّصل بي إخوة من المغرب، وإخوة من أوربا، وإخوة من أفريقيا يقولون: ما لنا لا نسمع صوتك من زمن؟ قلت لهم: ستسمعون إن شاء الله، وصل الله بيننا وبين المسلمين بهذه الأجهزة الحديثة التي سخرها الله لنا؛ لتتخذ منها أدوات لتبليغ رسالة الإسلام إلى العالمين.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ:

في هذه الأشهر الماضية حدثت أحداث، ووقعت وقائع، لا بدّ لنا أن نقف وقفات عندها:

### تغيير الخطاب والتعليم الديني:

من هذه الأشياء التي كثر الحديث عنها في هذه الأيام، تحدّث



المتحدثون، وكتب الكاتبون، وامتألت أنهار الصحف بالتعليقات والتعليقات، تغيير الخطاب الديني، أو تغيير التعليم الديني، أو تغيير المفاهيم الدينية القديمة، فما هذا الكلام؟ وما المراد منه؟ إذا كان المراد التجديد الحقيقي فنحن أهله، ونحن الدعاة إليه من قديم، إنَّ عندنا حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو داود في سننه، والحاكم في مستدركه، والبيهقي في (معرفة السنن والآثار) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعُثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»<sup>(١)</sup>، وهذا الحديث صحَّحه عدد من الأئمة فلا شك في قبوله.

### التجديد المطلوب:

ولكن ما هو التجديد المنشود؟ هل التجديد أن نغير الدين بدين جديد؟ نغير مفاهيمه، ونغير قيمه، ونغير شرائعه بأمر ترضى عنها أمريكا ورببتها إسرائيل، أهذا هو التجديد المنشود؟

إنَّ تجديد أي شيء إنما يكون بالمحافظة على معالمه الأساسية، لو أردنا أن نجدد بناء أثرياً من العصور القديمة، ماذا نفعل بهذا التجديد؟ هل نهدم البناء القديم، ونبنى عمارة على أحدث طراز ونقول: هذا تجديد للبناء القديم؟ هذا ليس من التجديد في شيء، تجديد الشيء أن تحافظ على جوهره، وعلى خصائصه، وعلى معالمه الأساسية، بحيث تحاول أن ترممه وتصبغه، وتصلح الأشياء التي تغيّرت وتهدّمت فيه، أشياء جزئية، حتّى تعيده إلى صورته الأولى منذ نشأ وأقيم أوّل مرّة، هذا هو التجديد.

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه، ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (١٨٤٥)، فلعله سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي. عن أبي هريرة.

## صور التجديد:

هذا التجديد له صور ومجالات:

### الأولى: العودة بالإسلام إلى سيرته الأولى:

وكذلك تجديد الإسلام، أن نعود بالإسلام إلى سيرته الأولى، وصورته الأولى يوم ظهر على يد مُحَمَّد ﷺ يوم دعا إليه وفهمه أصحابه وطَبَّقُوهُ، أصبح صورة حقيقيّة في الحياة تمثل هذا الدين، بعقائده وعباداته، وأخلاقه وآدابه، وأحكامه وتشريعاته ومعاملاته، ومفاهيمه وقيمه ومثله، هذا هو التجديد الحقيقي، أمّا التجديد الذي يريدونه لهذا الدين فليس من التجديد في شيء.

### ثانيًا: أن نعيد فهم الدين:

تجديد الدين أيضًا في عصرنا هو أن نُعيد فهم الدين، أن نرد الأشياء إلى أصولها، هناك أشياء بالغ الناس فيها، فأعطوها أكبر من حجمها، وأشياء أعطوها أصغر مما تستحق، كَبَرُوا الصَّغِيرَ، وصَغَرُوا الكَبِيرَ، وعَظَّمُوا الهَيْنَ، وهَوَّنُوا العَظِيمَ، وقَدَّمُوا ما حقه التَّأخيرَ، وأَخَّرُوا ما حقه التَّقديمَ.

التجديد أن نعيد الأشياء إلى مكانها، أن نعطي كل تكليف شرعي وكل عمل مرتبته الشرعية، نعطيه تسعيرته الشرعية الحقيقيّة، كم يساوي في ميزان الدين، الرسول ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»<sup>(١)</sup>.

(١) مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري (٩) مختصرًا، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

هناك أعلى، وهناك أدنى، وهناك في الوسط، فلا يجوز أن نجعل الأعلى أدنى، والأدنى أعلى، لا، لا يجوز أن نجعل جذع الشجرة فرعاً، وفرع الشجرة جذعاً، لا بدّ أن نحافظ على مراتب الأعمال، وهذا ما نسميه بفقّه الأولويات، أن تعطي كلّ شيء حقه، وتضعه في مرتبته، وتزنه بميزان الشرع الصحيح.

### ثالثاً: إحياء الاجتهاد:

التجديد أن نحیی الاجتهاد، ندعو إلى إحياء الاجتهاد فلا نفكر برؤوس من سبقونا؛ لأن مشاكلنا غير مشاكلهم، وحاجتنا غير حاجاتهم، وزماننا غير زمانهم، ولا يجوز أن يفكر لنا أناس ماتوا من قرون، لقد غيّر الأئمة اجتهاداتهم في حياتهم، حتّى رأينا للشافعي مذهباً قديماً ومذهباً جديداً، مذهباً في العراق ومذهباً في مصر، ويقول علماء المذهب: قال الشافعي في القديم، وقال الشافعي في الجديد، وتُروى عن مالك وأحمد بن حنبل في المسألة الواحدة روايات عدة، قد تبلغ عشر روايات أو أكثر؛ ذلك لأنّه سئل عن هذا الأمر في مكان، وسئل عن ذاك في مكان آخر، وسئل عن هذا في زمان، وسئل عن ذاك في زمان آخر، وسئل عن هذا في حال، وسئل عن هذا في حال آخر، فاقضى تغير الزمان والمكان والحال تغیر الإجابات، هذا ما رأيناه.

فإذا كان الأئمة القدامى غيّرُوا اجتهاداتهم في زمانهم، وغيّر أصحابهم من بعدهم حتّى قالوا: إنّ أصحاب أبي حنيفة غيّرُوا ثلث المذهب، وخالفوا إمامهم في ذلك، وقالوا: لو رأى الإمام ما رأينا لقال بمثل ما قلنا<sup>(١)</sup>، وقد

(١) مختصر خلافيات البيهقي (١٢٧/٥)، تحقيق ذياب عبد الكريم ذياب، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

عَبَّرُوا عَنْ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْخِلَافِ: بِأَنَّهُ اخْتِلَافٌ عَصْرٌ وَزَمَانٌ، وَلَيْسَ اخْتِلَافٌ حُجَّةٌ وَبَرَهَانٌ، وَلِذَلِكَ اسْتَقَرَّ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ عُلَمَائِنَا أَنَّ الْفَتْوَى تَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَالْعَرَفِ وَالْحَالِ، فَإِذَا كَانَ التَّجْدِيدُ يَعْنِي هَذَا، فَنَحْنُ نَرْحَبُ بِهِ وَنَشْجَعُهُ وَنَدْعُو إِلَيْهِ.

نَرْحَبُ أَيْضًا بِتَجْدِيدِ الْخُطَابِ الدِّينِيِّ، بِحَيْثُ يَلَائِمُ زَمَانُنَا وَمَكَانُنَا وَإِنْسَانُنَا، لَا نَرِيدُ أَنْ نَظِلَّ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ قَدِيمٍ، بَعْضُ النَّاسِ يَقْرَأُ فِي دِيْوَانٍ قَدِيمٍ، وَيَدْعُو لِلسُّلْطَانِ عَبْدِ الْمَجِيدِ أَوْ عَبْدِ الْحَمِيدِ، وَلَا يَوْجِدُ عَبْدِ الْحَمِيدِ وَلَا عَبْدِ الْمَجِيدِ! لَا بَدَّ أَنْ نَجِدَ خُطَابَنَا بِمَا يَلَائِمُ عَصْرَنَا، وَمَا يَلَائِمُ بَيْئَتَنَا، وَمَا يَلَائِمُ مَقْتَضِيَّاتَ حَيَاتِنَا.

### التجديد من أجل تغريب الأمة مرفوض:

أَمَّا التَّجْدِيدُ الَّذِي أَرَادَهُ قَوْمٌ لِلْأُسْفِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُجَدِّدُونَ وَلَكِنَّهُمْ مُبَدِّدُونَ، فَهَذَا مَا نَرْفُضُهُ، نَحْنُ نَقْبَلُ التَّجْدِيدَ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ أَيْمَةُ مِثْلُ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ، وَرَشِيدُ رِضَا، وَجَمَالُ الدِّينِ الْقَاسِمِيِّ، وَحَسَنُ الْبَنَّا، وَمُصْطَفَى السَّبَاعِيِّ، أَمَّا مَا دَعَا إِلَيْهِ أَنَاسٌ يَرِيدُونَ تَغْرِيْبَ الْأُمَّةِ، أَنْ تَنْتَسِبَ إِلَى الْغَرْبِ لَا إِلَى الشَّرْقِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الشَّرْقَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَّا إِذَا تَخَلَّصَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَكُتِبَ الْأَنْبِيَاءُ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ: أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى النُّهْضَةِ وَالرَّقْيِ إِلَّا إِذَا أَخَذْنَا الْحَضَارَةَ الْغَرْبِيَّةَ وَحَدَّهَا، بِخَيْرِهَا وَشَرِّهَا، وَحَلَّوْهَا وَمَرَّهَا، وَمَا يَحِبُّ مِنْهَا وَمَا يَكْرَهُ، وَمَا يَحْمَدُ مِنْهَا وَمَا يِعَابُ، وَمَنْ ظَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ فَهُوَ خَادِعٌ أَوْ مَخْدُوعٌ<sup>(١)</sup>.

(١) مستقبل الثقافة في مصر لطفه حسين ص ٣٩، نشر دار المعرفة، ط ٢، ١٩٩٦م.

وجاء آخرون يريدون أن يحذفوا من الإسلام ويبقوا، وأن يغيّروا فيه ويبدلوا، يريدون هذا الإسلام دعوة بلا دولة، عقيدة بلا شريعة، عبادة بلا معاملة، حقًا بلا قوّة، زواجا بلا طلاق، سلامًا بلا جهاد، أي يريدون أن ينقلوا الإسلام إلى النصرانية، أو ينقلوا النصرانية إلى الإسلام، أو يريدون ينقلوا الحضارة الغربيّة ويفرضوها علينا باسم التجديد، هكذا أرادوا.

وهؤلاء سخر منهم أديب العربيّة والإسلام مصطفى صادق الرافعي حينما قال: إن هؤلاء يريدون أن يُجَدِّدوا الدِّين واللغة والشمس والقمر<sup>(١)</sup>، وقال عنهم أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته عن الأزهر وموقف المُتَغَرِّبين والمُتَفَرِّنجين الذين عابوا على الأزهر بأنّه قديم:

دَعْ عَنْكَ قَوْلَ عَصَابَةٍ مَفْثُونَةٍ      يَجِدُونَ كُلَّ قَدِيمٍ أَمْرٍ مُنْكَرًا!  
وَلَوْ اسْتَطَاعُوا فِي الْمَجَامِعِ أَنْكَرُوا      مَنْ مَاتَ مِنْ آبَائِهِمْ أَوْ عُمَرَا!  
مِنْ كُلِّ سَاعٍ فِي الْقَدِيمِ وَهَدْمِهِ      فَإِذَا تَقَدَّمَ لِلْبِنَايَةِ قَصْرًا!  
وَأَتَى الْحَضَارَةَ بِالصَّنَاعَةِ رَثَّةً      وَالْعِلْمَ نَزْرًا، وَالْبَيَانَ مُثْرِثَرًا<sup>(٢)</sup>!

هؤلاء الذين يرفضون القديم قال عنهم الشاعر الفيلسوف مُحَمَّد إقبال: إنّ الكعبة لا تجدد، الذين يريدون أن يجددوا كل شيء في الإسلام نقول لهم: هناك أشياء لا تقبل التجديد، لا يجوز أن نهدم الكعبة ونقول: نبنيها بحجارة أجدد بدل هذه الحجارة السوداء، وعلى طراز أحدث؛ لأنّ ميزة الكعبة أنّها البيت العتيق، البيت القديم تهدمه وهو أصل مزيته! فهذه لا تجدد، لا تجدد بجلب حجارة لها من أوربا.

(١) من عبارة الرافعي على غلاف كتابه تحت راية القرآن، نشر دار الكتاب العربي، ط ٧، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٢) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١/١٥١).

## أهداف من يزعمون التجديد:

### أولاً: سلخ الأمة من هويتها:

هؤلاء الذين يزعمون أنهم مجددون هم في الحقيقة مخربون مبددون، يريدون أن يسلخوا الأمة من جلدتها، وأن يغيروا هويتها، وأن يحولوها إلى مسخ شائه، يتبع غيره، أمة جعلها الله رأساً يريدونها ذيلاً، تتبع ولا تُتبع، تُقاد ولا تقود! هذه ليست طبيعة الأمة، يريدون أن تصبح الأمة تردد كلمات غيرها ترديد البغاوات، وتحاكي أعمال غيرها محاكاة القروء، وأمتنا ليست أمة قروء ولا أمة ببغاوات، إنها خير أمة أُخْرِجَتْ للنَّاس، أخرجها الله سبحانه، هو الذي جعلها، (وكذلك جعلناكم) أمة مُخَرَّجَة، أمةً مجعولة، جاعلها هو الله سبحانه، مخرجها هو الله للنَّاس، لهداية النَّاس، ولنفع النَّاس، ولإسعاد النَّاس، هذا هو شأن الأمة.

### ثانياً: تطويع الأمة واستسلامها لغيرها:

فماذا يريدون بتجديد الخطاب الديني والتعليم الديني؟ ماذا يريدون بهذا التطوير والتعديل؟ يريدون أن يجعلوا مئاة أخرى، أمة تستسلم لغيرها، أمة تُطَوَّع فتطيع، وتُرَكَّع فتركع، وهيئات هيئات، مستر بوش الرئيس الأمريكي قال: سنغيّر المنطقة من جذورها، ليس المقصود احتلال العراق، احتلال العراق خطوة، ولكن المقصود تغيير المنطقة، العراق هو الخطوة الأولى، يحاولون التغيير فيه، ثم يحاولون التغيير في المنطقة كلها، تغيير التعليم الديني، تغيير الخطاب الديني، تغيير القيم والمفاهيم، وقالت مستشارة الأمن القومي: إننا نعمل بجد على تغيير المنظومة القيمية للمنطقة كلها، هذا هو هدفنا من هذه الحرب، أن نعمل على تغيير المنظومة القيمية المتعلقة بالدين والعقائد والشرائع والأخلاقيات، نريد



أن نغيرها، كأننا أحجار على رقعة الشطرنج، يريد مستر بوش ومسز فلانة هذه أن ينقل الفيل والحصان والوزير والملك من خانة إلى خانة، ومن موضع إلى موضع، تعبت بها أصابعه كيف يشاء، لا، لا!

### استعصاء الأمة على التطويع والذوبان:

هذه الأمة تستعصي على التطويع، تستعصي على الذوبان يمكن أن تهزم في بعض المعارك، ولكن لن تستمر هزيمتها، لن يستمر ما وقع لهذه الأمة، الدُّنيا دول والدهر يومان، يوم لك ويوم عليك، ودوام الحال من المحال، لن يستمر القوي قويًا، ولن يستمر الضعيف ضعيفًا، لقد سقط الاتحاد السوفيتي أمام أعيننا، وهو يملك ترسانة عسكرية هائلة، وترسانة نووية منقطعة النظير، ولكن لم يغن هذا عنه شيئًا!

حينما أراد الله تعالى أن تزول دولته، وتذهب ريحه، وقع هذا العملاق وخرَّ صريعًا ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]

### الظالم لا يدوم ظلمه:

وأنا أحذر الرئيس بوش وأقول له: إنَّ الظالم لا يمكن أن يطول ظلمه أبد الدهر، عين الله التي ترصد الكون، وتراعي ما تحدث فيه، لا يمكن أن تترك الظالم على ظلمه، إنَّ الله يمهل ولا يهمل، يقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ». ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] (١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى الأشعري.

إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ لِلظَّالِمِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ \* وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿[الأعراف: ١٨٢، ١٨٣] قال المفسرون في تفسير هذا الاستدراج وهذا الإملاء: كلما أحدثوا معصية وظلما، أحدثنا لهم نعمة وامتعة، فيجرؤهم هذا على الاستمرار في الظلم والجبروت؛ حتى ينزل بهم عقاب الله، فيأخذهم أخذ عزيز مقتدر كما أخذ الذين من قبلهم، اسمعوا قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فتحنا عليهم أبواب كل شيء: ثورة التكنولوجيا، وثورة المعلومات، وثورة الاتصالات، والثورة النووية، والثورة البيولوجية، والثورة الفضائية، فتحنا عليهم أبواب كل شيء: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

فتحنا عليهم أبواب كل شيء: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الأنعام: ٤٤، ٤٥].

انظر إلى هذا الختام بهذا التعقيب: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا العالم يوجد فيه رب، يشرف عليه، ويدبر أمره، لا يمكن أن يترك الظالمين يتصرفون في العالم كأنهم آلهة، لا بد أن يقطع دابرهم يوماً: لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فَالظُّلْمُ تَرْجِعُ عِقَابَهُ إِلَى النَّدَمِ تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْمَظْلُومُ مُتَتَبِعُهُ يَدْعُو عَلَيْكَ، وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَتَمَّ<sup>(١)</sup>

عين الله لم تنم، لا يمكن أن يستمر الظالم ويدعه القدر الإلهي يعبث في الكون كما يشاء، أين ألوهية الله؟ الله تَعَالَى يقول: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿[النمل: ٥٢] لا بد أن

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ص ١٣٦.



ينال الظالم عقابه، لا يمكن أن يحقق الظالم مآربه بالحرب، لا والله، لقد حاربت أمريكا، حاربت العراق، حاربت أفغانستان، وأيدت حرب اليهود على الفلسطينيين، فماذا جنت؟ لم يستقر لها أمر في أفغانستان، ولم يستقر قرارها في العراق، ولم يستقر قرار إسرائيل مع ما تسفك من دماء، وتنتهك من حرمت، وما تهدم من منازل، وما تخرب من ديار، لا يمكن أن تحقق القوة الغاشمة مآرب الغاشمين، لو أن مستر بوش رجع إلى قارته، وأنفق بعض هذه المليارات وعشرات المليارات ومئات المليارات، معونة للمستضعفين والفقراء في العالم، بعض هذه المليارات يجعل الناس يحبونه، بدل أن يحاول أن يكسب الناس بالحرب، لا يمكن أن تكسب الناس بالحرب، العالم كله يلعن أمريكا، ويدعو الله على أمريكا، أن يأخذ أمريكا، وأن يُنهي وجود أمريكا، وأن!

حق المظلومين أن يصرخوا، وأن يرفعوا صوتهم، وأن يجهروا إلى الله بالدعاء، القرآن الكريم يقول: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

من ظلم من حقه أن يصرخ، وأن يرفع صوته، وأن يجهر بالدعاء، ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

### التغيير المزعوم لا يمكن أن يتم:

التجديد والتغيير الذي تريده أمريكا في المنطقة لا يمكن أن يتم، ليست المنطقة ملكاً لأمريكا أو لغيرها، لا يمكن أن تغيّر المملكة العربية السعودية، ولا أن تغيّر دول الخليج، ولا أن تغيّر اليمن، ولا أن تغيّر مصر، ولا أن تغيّر سوريا، ولا أنه تغيّر باكستان، ولا أن يغيّر العالم الإسلامي وفق ما تريده أمريكا، العالم الإسلامي أقوى، الأمة الإسلامية أشد مما تريده

أمريكا، الإسلام ليس دينًا سهلاً، إنه دين نافذ يستعصى على الذوبان، إنه كلمة الله، وكلمة الله هي العليا، والإسلام يعلو ولا يُعلى، ومهما أراد من أراد أن يُطوّع هذا الإسلام، فسوف يبوء بالفشل، سوف ينتصر الإسلام عليه.

### الأمة الإسلامية أمة محفوظة وباقية:

قد يظنُّ في بعض الأوقات أنَّ الإسلام قد انهزم، لكن الإسلام لا ينهزم أبدًا، قد ينهزم المسلمون، وقد ينهزم حكام المسلمين، ولكن الأمة الإسلامية باقية، الأمة الإسلامية لا تموت، الأمة الإسلامية باقية ما بقي الليل والنهار، هذه أمة الإسلام، أمة القرآن، أمة مُحَمَّد ﷺ، أمة تحمل الرسالة الخاتمة، والرسالة الخالدة، فهي باقية إلى قيام الساعة، حفظ الله تعالى مصادرها، حفظ قرآنها وحفظ سنتها، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

أمة حفظ الله كتابها، وبحفظ الكتاب حفظ سنة نبيها؛ لأن حفظ المبين يستلزم حفظ البيان، وهذه الأمة لا تجتمع على ضلالة أبدًا، قد يوجد فيها ضالون ومنحرفون، ولكنها لا تجتمع على ضلالة، سيظل فيها أناس ينطقون بالحق، ويقولون كلمة الصدق، ولا يخافون في الله لومة لائم، إنَّهم الطائفة المنصورة التي جاءت بها الأحاديث: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة على أمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتَّى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على النَّاسِ»<sup>(١)</sup>. ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٩]. وفي القرآن الكريم: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١].

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١١٦)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، من حديث معاوية.

هذه الأمة التي تهدي بالحق، وتعديل بالحق، وتحكم بالحق، وتدعو إلى الحق أمة باقية إلى يوم القيامة، لن يستطيع أحد تغيير دين الأمة كما يشاء، لا لا، هيهات هيهات، هذا الدين أبقى وأقوى وأعز وأشد قوة وصلابة من أن يغيره مغبرون، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ \* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿[التوبة: ٣٢، ٣٣].

### الإسلام يتجدد بأيدي أهله:

الدين يتجدد، ولكن يتجدد بأيدي أهله، يتجدد من داخله، ليس بأوامر تفرض عليه، يجدده المسلمون، ويجدده علماء المسلمين، تجدده المدارس الإسلامية، «من يجدد لها دينها»<sup>(١)</sup>. من هذه تشمل الفرد، وتشمل الجماعة، وتشمل المدارس الدعوية والفكرية، هؤلاء من يجددوا الدين، أمّا أن يجدد الدين بأوامر من أمريكا، أو بإملاءات من إسرائيل، فلا ثمّ لا.

نحن الذين نجدد ديننا، نجدد الدعوة إلى هذا الدين، نجدد الفهم لهذا الدين، ندعو إلى تيار الوسطية الإسلامية، الذي يركز على الكليات قبل الجزئيات، على الفرائض قبل النوافل، على المتفق عليه قبل المختلف فيه، نيسر في الفتوى، ونبشّر بالدعوة، وندعو إلى الحوار مع المخالف، وندعو إلى التسامح مع الآخر، وندعو إلى حوار الثقافات والحضارات، لا ندعو كما يدعو بعض فلاسفة السياسة والاستراتيجية الأمريكية إلى صراع الحضارات، لا، بل نحن نؤمن بحوار الحضارات،

(١) سبق تخريجه ص ٢٧٥.

وحوار الثقافات، وأنه يمكن أن تتعايش الحضارات، ويتفاعل بعضها مع بعض ويقتبس بعضها من بعض كما فعلت الحضارة الإسلامية في أيام ازدهارها، استفادت من الفرس واستفادت من الروم، واستفادت من الهند، واستفادت من اليونان، واستفادت من ثقافات الآخرين، وأدخلت هذا في منظومتها القيمية، فأصبحت جزءاً من المنظومة الإسلامية، وفقدت جنسيتها الأولى! هذا ندعو إليه:

ندعو إلى أن نراعي زماننا، ونراعي مكاننا، ونراعي إنساننا، ولا نعيش بعقليّة الماضي فقط! نستلهم الماضي، ونعيش الحاضر، ونستشرف المستقبل!

نوازن بين الثوابت، ثوابت الشرع ومتغيرات العصر! نؤمن بثبات الأهداف ومرونة الوسائل، نُشدّد في الأصول ونُيسر في الفروع، نصل الأرض بالسماء، نصل الدُّنيا بالآخرة، نصل المخلوق بالخالق! هذا هو التجديد الذي ندعو إليه منذ أكثر من أربعين سنة، ولا نزال ندعو إليه، ويدعو إليه كثيرون، منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً!

نحن نجدد الدين، ونجدد المفاهيم، ونجدد الخطاب الإسلامي، كما نريد، نحن وفق قواعد ديننا، وفق أصول شريعتنا، وفق مطالبنا وحاجاتنا، أمّا أن نصبح ذيلًا لغيرنا، نتبعه شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، فهذا ما حذر من النبي ﷺ.

نحن أمة لها صراطها المستقيم، ليس صراط المغضوب عليهم ولا الضالين، وندعو الله تعالى في كل يوم ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاتحة: ٦، ٧].





نسأل الله تبارك وتعالى أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يُبعدنا عن السبل التي تفرّق بنا عن سبيله، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين.

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\* \* \*

## الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

لا تزال إسرائيل سادرة في غيِّها، ماضية في جبروتها واستكبارها في الأرض بغير الحق، تقول كما قالت عاد من قبل: ﴿مَنْ أَشَدُّ مَنَاقُوهَ أَوْ لَمَّ يَرَوْا أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] استكبروا على الشعب الفلسطيني الأعزل من السلاح، الذين يقاومون بأجسادهم، ويقاومون بصدورهم، الدبابات تقذفهم من تحت، والطائرات تقذفهم من فوق، الطائرات الأمريكية (F16) والأباتشي وغيرها، والصواريخ يُضربون بها من بعيد، كل هذا وهذا الشعب صابر مرابط، لقد أثبت أنه شعب مؤمن شجاع لا يهاب الموت، ولا يخاف أحداً إلا الله، يقدم الشهداء وراء الشهداء، والجرحى بعد الجرحى، المئات من الشهداء والآلاف من الجرحى، والآلاف من المعتقلين، والآلاف من البيوت التي تدمر، إنها حرب معلنة!

عندما أشاهد هذه المشاهد في التلفيزيون أقول: هذه ليست مجرد مناوشات؛ إنها حرب معلنة بالطائرات إف ١٦، بالدبابات بالصواريخ، حرب من طرف واحد، ولكن الطرف الآخر الأعزل لم يسلم، ولم يستسلم، ولم يركع، ولم يستكن، ولم ييأس، ولم يهن: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]!

تحية لهؤلاء الصادقين الذين وقفوا أمام هذا الجبروت الإسرائيلي، المسنود والمؤيد تأييدا مطلقا بالمال الأمريكي، والسلاح الأمريكي، والفيديو الأمريكي، وقد رأينا الفيديو الأمريكي الأخير السابع والسبعين، يؤيد إسرائيل في ظلمها ودمويتها وإرهابها!

إسرائيل هي الإرهابية الحقّة، أمّا الذين يدافعون عن أوطانهم، عن مقدّساتهم، عن أرضهم وعرضهم، عن أبنائهم وبناتهم، عن أزواجهم وأمّهاتهم، هؤلاء ليسوا إرهابيين، كيف يقال: هؤلاء إرهابيون، وهم أناس (غلابة) يدافعون عن أنفسهم وأرضهم، أمام جبروت الإسرائيليين؟ يا للظلم، ويا للهول، ويا لفضاعة البهتان والكذب والاختلاق!

### خارطة الطريق:

لقد صنعوا شيئاً سموه خارطة الطريق، ولا أدري الطريق إلى ماذا؟ وخارطة الطريق هذه فخ، شرك نصب للفلسطينيين؛ لأنّ أوّل شرط فيه: إيقاف المقاومة، إيقاف الانتفاضة، تجريد المقاومة من سلاحها، معنى هذا أنّ الفلسطينيين يحاربوا الفلسطينيين! كيف هذا؟ تسلم المقاومة سلاحها، والعدو يحتل أرضي ويهتك عرضي، وينتهك حرّماتي، ويخرّب بيوتي، ويهدّم مساجدي؟!!

معنى هذا أن أقاتل أخي ويقاتلني، هذا ما كان يريده الأميركيان، وأعتقد أنّ الفلسطينيين كانوا أوعى مما أراده القوم، حتّى محمود عباس لم يستطع أن يفعل هذا، أن يقيم حرباً أهلية يقاتل فيها الفلسطيني أخاه الفلسطيني، ويسفك الفلسطيني دم الفلسطيني، ويتحول الرصاص بدل أن يطلق على الإسرائيليين، يطلق على الفلسطينيين، هذا ما لا يمكن أن يقبل بحال، وأرجو أن يظلّ الفلسطينيون على هذا الأمر المجمع عليه، أرجو ألا يهونوا ولا يضعفوا، ولا يستكينوا ولا يخضعوا للتوجيهات والأوامر الأمريكية، والإملاءات الإسرائيلية، فيحاولوا أن يجمعوا السلاح بالقوّة، باسم الحرب على فوضى السلاح كما قيل، أحذر الفلسطينيين أن يقع هذا بينهم، فهذا هو موضع الخطر، وهذا هو نذير الشؤم، والله لو

حاولوا أن يجردوا المقاومة من سلاحها، وأن يُنْهَوا الانتفاضة، وأن يبطلوا المقاومة، ما بقي لهم شيء يفاوضون عليه، الَّذِي جعل هؤلاء يطلبون المفاوضة؛ هو العمليات الاستشهادية، هو فعل المقاومة، هو فعل حماس والجهد وكتائب الأقصى، وكل من بذل جهدًا في سبيل الله.

### المقاومة الباسلة:

هذه المقاومة الباسلة الشجاعة التي لا تبالي أوقعت على الموت، أم وقع الموت عليها، هي التي دعت هؤلاء إلى أن يجلسوا مع الفلسطينيين، فلا ينبغي أن يفكر فلسطيني في السلطة أو المقاومة أو المعارضة، أن يجرد المقاومة من سلاحها! تجريد المقاومة من سلاحها خيانة، خيانة عظمى، خيانة لله، خيانة لرسوله، خيانة للمؤمنين، خيانة لفلسطين، خيانة للشهداء الذين قَدَّمُوا أرواحهم منذ عشرات السنين إلى اليوم! تجريد المقاومة من سلاحها خيانة وردة! أرجو ألا يقع فيها إخواننا الفلسطينيون، وأنا أنظر أمامي فلا أرى الفلسطينيين يستفيدون شيئًا من هذا، إنَّه كلام في كلام في كلام، وما فعلوا لهم أي شيء، لا يأخذون منهم شيئًا، كل ما في الأمر أنَّ اليهود يستفيدون الوقت، ويا ليت الفلسطينيين يقفون صفاً واحداً، سلطة ومقاومة، حكماً ومحكومين، رئيساً ورئيس وزراء، ووزراء ومقاومة، كل يقف صفاً واحداً، فلا ينفع شيء إلا المقاومة، وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، الجهاد في سبيل الله، المقاومة المستبصلة المضحية، هي التي تستطيع أن تذلل الطريق.

### تحية لأصحاب الإنسانية من اليهود:

وينبغي أن نذكر خسائر الإسرائيليين، الكثيرون يذكرون خسائر الفلسطينيين، لم لا تذكر خسائر الإسرائيليين؟ الإسرائيليون خسائرهم

كثيرة؛ خسائر اقتصادية، خسائر سياحية، خسائر سياسية، خسائر نفسية، الكثير من اليهود يريدون أن يهربوا من إسرائيل، بل الكثير منهم هرب بالفعل، وآخر هذا هو الموقف الرائع من الطيارين الإسرائيليين الذين تمردوا على هذه الأشياء! مهما كان فالإنسان إنسان، حتى اليهودي هو إنسان، عندما رأوا وهم يضربون بـ (F16) وبالمروحيات، شعباً آمناً، ويضربون أناساً مدنيين، يضربونهم بالليل، وهم نائمون في عقر دارهم، يضربونه بالنهار وهم مستقرون في مواطنهم، هؤلاء الشباب تمردوا وعصوا، وقالوا: سمعنا وعصينا، ورفضوا أن يطيعوا.

مرحى بهؤلاء، تحية لهؤلاء اليهود الأبطال، الذين شعروا بأن الفلسطينيين بشر من البشر، لهم حياتهم، ولهم حرمتهم، ولهم حقوقهم، نحى هؤلاء، ونرجو أن يكثر هؤلاء، وفي ظني أنهم سيكثرون في الطيارين، وفي غير الطيارين، فالإنسان مهما قسا قلبه، تأتي عليه لحظات يشعر فيها بإنسانيته، ويشعر بإنسانية خصمه.

نحى هؤلاء، فقد عودنا الإسلام أنه نقول للمحسن أحسنت، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]

### خذلان العرب والمسلمين:

أمّا حكام العرب، وموقف العرب، وخذلان العرب للفلسطينيين، فهذا له حديث آخر.

لم يصبح الصراع كما يسمونه الصراع العربي الإسرائيلي، بل أصبح الصراع الإسرائيلي الفلسطيني! العرب ولا كأنهم هنا للأسف!

الفلسطينيون يأكلونها وحدهم، يتلقون الضربات حدهم، كأنهم ليسوا جزء من أمة، اليهود في كل أنحاء العالم يؤيدون إسرائيل، وهذا غير التأييد الأمريكي والغربي، فأين العرب يا أمة العرب؟ أين حكام العرب، أليس لهم ضمير؟! أليس عندهم نخوة؟ أليس يشعرون بالخزي والعار من هذا الموقف؟!

أسأل الله تبارك وتعالى أن يردّ إليهم رشدهم، وأن يعيد إليهم عقولهم، وأن يعيد إليهم شجاعتهم وأن يعيد إليهم نخوتهم وصلابتهم التي عرفها العرب الأقدمون.

اللهم إنّنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا! اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا! اللهم أكرمنا ولا تُهِنَّا، وأعطينا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا. وارض عنا وأرضنا.

اللهم انصُر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصُر إخواننا المجاهدين في أفغانستان، وانصُر إخواننا المجاهدين في أريتريا، وانصُر إخواننا المجاهدين في الفلبين، وانصُر إخواننا المجاهدين في كل مكان! اللهم خذ بأيديهم إلى مواطن النصر، اللهم أيدهم بملا من جندك، وأمدهم بروح من عندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاهم في كنفك الذي لا يُضام!

اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك، اللهم عليك بالصليبيين المستعمرين، اللهم عليك بأعدائك أعدائك أعداء الدين، اللهم ردّ عن



المسلمين كيدهم، وفل حدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

\*\*\*





## الردُّ على أحد المُثَقِّفين المُنْحَرِفين

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ:

منذ مدة قريبة جمعتني مجلس بأحد أولئك الذين ينتسبون إلى الإسلام من أبناء المسلمين، أولئك الذين يُدعون المثقفين، وما ينبغي أن يُسموا مثقفين؛ لأنَّ أولى بدهيّات الثقافة أن يعرف الإنسان دينه وحضارته وتاريخه، أو دين الأمة التي يعيش فيها على الأقل، ولكن هؤلاء الذين تُرجموا إلى غير دينهم وغير حضارتهم - ترجمهم الاستعمار الغربي أو الشرقي - إلى أناس منبوذين، يجادلون بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير.

### رفضه الدعوة إلى حكم إسلامي:

قال لي هذا الإنسان: أنت من الداعين إلى قيام حكم إسلامي من جديد؟ قلتُ له: وهل يسع مسلمًا غير هذا؟ وهل لي أو لك أو لفلان وعلان من النَّاس ما دمنا نقول لا إله إلاَّ الله مُحَمَّدٌ رسول الله هل لنا خيار في هذا؟ ألم تسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]؟

ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]؟

ألم تسمع قول الله تعالى في المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]؟  
 ألم تسمع حكم الله تعالى في مَنْ لم يحكم بما أنزل؟ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]؟ آيات ثلاث في سياق واحد، في ربع واحد، من سورة واحدة.

ولو كان رمحاً واحداً لا تقيته ولكنّه رمحٌ وثانٍ وثالث<sup>(١)</sup>!

ألم تسمع هذا كله؟

فقال هذا المتعجرف: ألا يكفينا أربعة عشر قرناً من الزمان عشناها بالإسلام، ظللنا بعدها في مؤخرة الأمم ووراء الشعوب جميعاً؛ تخلفاً وانحطاطاً؟ أمّا تريد أن نرتقي كما يرتقي غيرنا؟ أم تريد أن نعيش عصرنا، وأن نتبوأ مكاننا تحت الشمس، ونأخذ بأسباب الحضارة؟

### الجهل بالدين والتاريخ والواقع:

قلتُ له: مهلاً! إنَّك تجهل الدين وتجهل التاريخ معاً، وتجهل الواقع أيضاً، لن أحدثك من كتاب الله ولا سنة رسوله، لأنني وجدت أنك لا تعتبر هذا معياراً نرجع إليه، ولكن تعال نحتكم إلى التاريخ،

(١) البيت للقاضي أبي بكر ابن العربي، كما في الحُلة السَّيْرَاء لابن الأَبَّار (٦/١)، تحقيق د. حسين مؤنس، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٥م.

انظر إلى المد والجزر، إلى الامتداد والانكماش، إلى النصر والهزيمة، إلى القوة والضعف في تاريخ الإسلام كله، فماذا ترى؟ إنَّ النصر والقوة والعزة والامتداد والازدهار إنما يكون حيث يكون المسلمون قريبين من الإسلام، والهزائم والضعف والفساد إنما يكون حينما يبعد المسلمون عن الإسلام، هذا هو التاريخ حكم بيننا في هذه القضية.

### بداية الدعوة:

لنبدأ الأمر من أوله، ماذا كان رسول الله ﷺ؟ ماذا كان يملك رسول الله ﷺ من أسباب القوة المادية؟

رجل قام بدعوة وقفت الدنيا كلها في وجهها - حتى أهله وأخص الناس به وأقرب الناس إليه - ولكنه ظل مستمسكاً بدعوته، يدعو فيها الواحد بعد الآخر، حتى استطاع أن يكون الجيل الإسلامي الأول، وأن يهاجر به من أصله، ومسقط رأسه، ومبهج نفسه إلى دار الهجرة، إلى المدينة؛ ليقيم الدولة الإسلامية الأولى، والمجتمع الإسلامي الأول، ويرمي الناس عن قوس واحدة.

ويقف عليه السلام ليحارب في جبهات عدة: الجبهة الوثنية، والجبهة اليهودية، والجبهة النصرانية، والجبهات المتربصة المجوسية وغيرها، وجبهة المنافقين في الداخل!

ولكنه انتصر على هؤلاء جميعاً، وجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ودخل النبي ﷺ البلدة التي طردته من قديم، خرج منها ليلاً فدخلها نهاراً، خرج منها سرّاً فدخلها جهاراً، خرج منها مطارداً

فدخلها فاتحًا، وهو متواضع مطأطئ رأسه لله وَعَجَّلَ، لا يهتف الناس باسمه ولا بحياته، ولكن يهتفون باسم الله وَعَجَّلَ، «لا إله إلا الله وحده، نصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»<sup>(١)</sup>.

### مواجهة المرتدين:

انتصر النبي ﷺ بالإسلام، وجاء خلفاؤه فوقفوا يكملون الشوط، ويتمون المشوار، ويحاربون في تلك الجبهات، ففضوا على الوثنية في جزيرة العرب، بعد أن انتشرت الوثنية بعد موت النبي ﷺ، وارتد الناس، وتبعوا المتنبيين الكذابين: مسيلمة، وسجاح، والأسود العنسي، وطليحة الأسدي، وقالت القبائل المتعصبة: كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر! وامتنع آخرون عن الزكاة، وحتى قال بعض الصحابة للخليفة الأول أبي بكر: يا خليفة رسول الله: لا طاقة لك بحرب العرب جميعًا، الزم بيتك، وأغلق بابك، واعبد ربك. ولكن الرجل الرقيق البكاء الخاشع أبا بكر يأبى إلا أن يقاتل ولو كان وحده، ويقول: والله لو منعوني عناقا - عنزا صغيرة - أو عقالا - حبلا يربط به البعير - كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه.

ويقول لعمر وقد تردد في أول الأمر: أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام يا بن الخطاب؟! أأرجو نصرتك فتجيئني بخذلانك؟! والله لو لم يبق إلا أنا لقاتلتهم ما استمسك السيف بيدي<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أحمد (١٥٣٨٨)، وقال مخرّجوه: صحيح. عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

(٢) عزاه المتقي الهندي في كنز العمال (١٦٨٣٨) للإسماعيلي. والحديث متفق عليه: بغير هذا اللفظ، رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

وجيَّش أحد عشر لواءً تقاتل المرتدين، وتقاتل مانعي الزكاة، وتنتصف الدولة الإسلامية لأول دولة في التاريخ لحقوق الفقراء، وتعلن الحرب من أجل الفقراء، ولم يُقم الفقراء مظاهرة، ولم يُسيروا مسيرة، ولم يعقدوا مؤتمرًا للمطالبة بحقوقهم، وما كانوا يعرفون أن لهم حقوقًا، ولكنَّه عدل الله، عدل الإسلام، انتصر الإسلام.

### انتصر الإسلام بالمؤمنين به:

انتصر الإسلام يوم أن كان هناك المؤمنون به، انتصر الإسلام على الوثنية، وانتصر على المجوسية، عبادة النار، عبادة إله الخير وإله الشر، إله النور وإله الظلمة، قص الإسلام هذا الجناح تمامًا، انتصر على فارس ودخل الإسلام هناك، دخل هؤلاء الرجال المؤمنون!

وقف ربعي بن عامر البدوي الأعرابي المسلم أمام رستم قائد الفرس، فقال له رستم: من أنتم وما شأنكم؟ فوقف هذا الرجل، الذي لم يتعلم في مدرسة، ولم يتفقه في جامعة، ولم يجلس إلى حبر، إنما تربى في مدرسة النبوة، وقف يلخص له أهداف الإسلام الكبرى، يقول: نحن قوم ابتعثنا الله؛ لنخرج النَّاس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام!

انتصر الإسلام بهذه القوَّة، وبهذا الفقه، وبهذا الإيمان على كسرى وقيصر، هكذا يوم كان الإسلام إسلامًا، يوم كان هذا الرجل الذي اسمه عمر يطبق الإسلام على نفسه، وأهله، وأقرب النَّاس إليه، قال أحد المستشرفين: إن هذا الرجل الذي كان في ثوبه بضع عشرة رقعة بعضها من الأدم - بعضها من الجلد، ليست رقعة متجانسة - هذا الرجل كان إذا ذكر اسمه ارتعدت فرائص ملوك الأرض.



## نحن قوم أعزنا الله بالإسلام:

ذهب عمر إلى بلاد الشام، وفي الطريق قابلتهم مخاضة، فنزل عمر وشمر ثيابه، وأمسك نعليه بيديه، وخاض أمام الناس، وكان أبو عبيدة شاهداً، فسأه هذا المنظر، كان يريد أن يبقى الخليفة بهيله، وهيلمانه، وسلطانه أمام الناس، وهؤلاء قد تعودوا هذا في بلاد الشام، من الملوك والأباطرة والقيصرة من قبل، فقال يا أمير المؤمنين: لو فعلت غير ذلك! ما كنت أحب أن تفعل هذا، فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! إننا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغيره أذلنا الله<sup>(١)</sup>!

هذا هو فقه عمر، انتصروا على هؤلاء الناس، إن كلمة كسرى في بلاد العرب كانت مرعبة! كسرى؟! حينما سمعوا من النبي ﷺ قوله: «ليفتحن كنوز كسرى ابن هرمز». يقولون: كسرى بن هرمز؟ فيقول: «نعم»<sup>(٢)</sup>. كما نقول الآن: ستنتصرون على الاتحاد السوفيتي، أو الأمريكان، أو على كذا، من يصدق؟ إلا أن هؤلاء الناس في الجزيرة العربية بإمكاناتهم الضعيفة ينتصرون على القوى الغالبة في الأرض التي تقاسمت العالم في ذلك الزمان، معسكر شرقي ومعسكر غربي.

## تقوى الأمة حين تتمسك بدينها:

انتصر الخلفاء الراشدون، وكلما رأيت في التاريخ الإسلامي قوة وانتصاراً لا بد أن تجد إقبالاً على الإسلام، أعظم الفترات؛ الفترات المخصبة هي فترات الإقبال على الإسلام، عمر بن عبد العزيز فترة مضيئة مخصبة في التاريخ الإسلامي، رجل حكم ثلاثين شهراً، ولكنه

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد (١٨٢٦٠)، وقال مخرّجوه: بعضه صحيح، وهذا إسناد حسن. عن عدي بن حاتم.

في هذه الأشهر الثلاثين أقام عدل الإسلام على أقرب الناس إليه، على بني أمية، على أقاربه، على أولاده، على نفسه!

بلغه يومًا أنَّ ابنًا له اقتنى خاتمًا فصه بألف درهم! ابن الخليفة، ورئيس الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، فكتب إليه يقول: أمّا بعد، فقد بلغني أنك اشتريت خاتمًا فصّه بألف درهم، فإذا بلغك كتابي هذا، فبعه وأطعم بثمانه ألف جائع! واشتر خاتمًا فصّه من حديد، واكتب عليه: رحم الله امرأً عَرَفَ قدر نفسه<sup>(١)</sup>!

هكذا، بهذه الروح، وهذا الفقه، وهذا العمل كان عمر بن عبد العزيز خامس الراشدين، امتدت الدولة في عهده، وكان الأمن وكان الرخاء، حتّى قال يحيى بن سعيد والي صدقاته عمر على إفريقيّة: جمعت أموال الصدقات، ثمّ بحثت عن فقراء أعطيهم الزكاة فلم أجِد. فأرسل إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز: ماذا يفعل؟ فيعث إليه يقول: اشتر بها رقابًا فأعتقها. من مصارف الزكاة: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ [التوبة: ٦٠]، تحرير الرقاب، قبل أن يأتي الذين زعموا أنّهم يحررون الرقيق! تحولت حقبة الزكاة كلها إلى تحرير الرقاب.

بلغ عمر بن عبد العزيز أنَّ أسيرًا في بلاد الروم قد عذّب أو أهين، فكتب إلى إمبراطور الروم يقول له: أمّا بعد، فقد بلغني أنكم أهنتم مسلمًا كتب الله له العزة، فإذا بلغك خطابي هذا فأطلق سراحه، وفك أسره، وإلا غزوتك بجنود أولها عندك، وآخرها عندي<sup>(٢)</sup>!

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٨٩/١٠)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد بن عبد الحكم ص ١٤٨، تحقيق أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

هكذا بلغ مجدنا العسكري، ومجدنا السياسي، ومجدنا الاقتصادي إلى هذا الحد يوم كان الإسلام إسلامًا وكان المسلمون مسلمين، من أراد أن يعرف كيف يكون أثر الإسلام، وكيف تكون ثمار الإسلام في الحياة، فلينظر يوم يأمر الإسلام ويحكم بالإسلام.

### من العهود المضيئة:

من العهود المضيئة عهد صلاح الدين الأيوبي، وقبله أستاذه الشهيد نور الدين محمود، وهو أستاذ صلاح الدين، وكان يقارن بالراشدين في عدله وسيرته، عرض على نور الدين محمود يومًا أن يزيد بعض العقوبات على المجرمين، لا يكتفي بقطع يد السارق، ولكن يقتل الطغاة، أو يسجنهم؛ زيادة على القطع، أو كذا، فقال لهم: ويحكم! إنني لو فعلت ذلك كأني أفضل عقلي على علم الله ﷻ، ﴿أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، الله شرع أحكامًا وحدودًا، أتستدركون على الله؟ أتريدونني أن أستدرك على الله ﷻ؟! لا والله لا أفعل، ولا أنفذ إلا حكم الله وحده. هكذا كان نور الدين محمود.

وهكذا كان صلاح الدين، يقول: إنما أنا عبد الشرع وشيخنته. (أنا شرطي أخدم الشرع). وهكذا، وكان يمر على معسكراته قبل حطين، وقبل فتح المقدس، يمر على خيام المعسكرات بالليل يتفقدوها، فإذا رأى في الخيمة من الخيام قارئًا يتلو القرآن، مصليًا يتهجد، مسبحًا يذكر الله ﷻ، قال: الحمد لله؛ بهؤلاء نتصر. وإذا رأى خيمة كلهم فيها نيام، يغطون في نومهم العميق، قال: من هذه الخيمة وأمثالها تأتي الهزيمة! من النائم الغافل الذين لا يذكرون الله! هكذا كان هؤلاء، بماذا انتصر صلاح الدين وأمثاله؟ بالإسلام.

## سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت:

سيف الدين قطز، قائد المعركة الحاسمة بين المسلمين والتتار، التتار هؤلاء ناس أتوا من الشرق الأقصى، كأنهم يأجوج ومأجوج، كالريح العقيم (ما تذر من شيء أتت عليه إلّا جعلته كالرميم) يخربون البلاد، ويُقتلون العباد، ولا يقف أمامهم شيء، كالسيل، كالطوفان، كادوا يفسدون الحضارة الإنسانية كلها، لو لم يقف الإسلام سدًا أمامهم لدمروا حضارة البشر جميعًا، وانتصروا، حيثما ذهبوا ودخلوا انتصروا وفتحوا، دخلوا دار السلام (بغداد)، عاصمة الخلافة الإسلامية في عهد العباسيين، دخلوها فذبخوا وقتلوا، كانت الميازيب بدل أن تسيل أمطارًا كانت تسيل دماءً من أسطح المنازل؛ من كثرة من قتل من الناس! كان الشعار الذي يرفعه الناس: إذا قيل لك إنّ التتار قد انهزموا فلا تصدق! أسطورة القوة التي لا تقهر، وجد أحد التتر جماعة من المسلمين، فقالوا لهم: انتظروا حتّى آتيكم! فوقفوا جامدين حتّى جاء بالسيف وقتلهم وهم ينتظرون، فعل الرعب فعله في نفوس الناس إلى هذا الحد.

هؤلاء هم التتار، رموا بالمكتبات الإسلامية والكتب الإسلامية في نهر دجلة حتّى أسود ماء النهر؛ من كثرة الكتب التي ألقيت والمداد الذي أريق، سنة ٦٥٦هـ، وبعد سنتين دخلوا الشام، وذهبوا إلى مصر، وبلغ الخبر أهل مصر، وكان على رأسهم قائد مملوكي مسلم، له حظ من قيام الليل وصيام النهار، هو الْمُظَفَّر سيف الدين قطز! وجمع العلماء، ومنهم العز بن عبد السلام سلطان العلماء، وقال: ابتعدوا عن الظلم، لا تظلموا الناس، ارجعوا إلى الله، توبوا إلى الله، والله يسخر لكم كل شيء، وقالوا، وكان في رمضان، وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين

من رمضان، سنة ثمان وخمسين وستمائة من الهجرة، التقى الجيشان، وكادت الدائرة تدور على المسلمين في أول الأمر، وفر من الناس من فر، ولكن قطز صاح صيحته التاريخية المعروفة، ورمى بخوذته إلى الأرض وقال: وا إسلاماه! وا إسلاماه! وا إسلاماه، اللهم انصر عبدك قطز على التتار، وانصر عبادك المسلمين.

فما كاد يقول هذه الكلمة إلا وانتشرت القوة والروح المعنوية في قلوب الناس، وعاد المدبر، وأقبل المحجم، وثبت المتردد، وأقبلوا على هؤلاء التتار؛ فكانت القاضية عليهم، كانت المعركة الحاسمة، ولم تقم للتتار قائمة بعدها!

بهذه الروح الإسلامية، حين يوجد الإسلام يوجد النصر، وتوجد القوة، أعطوني إسلاماً أعطكم نصراً، ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

### نماذج معاصرة:

وما لنا لا نذكر التاريخ القريب؟ معركتان حدثتا، وهذا الجيل شاهدهما، في سنة ١٩٦٧م. دخلت الجيوش العربية المواجهة لإسرائيل المعركة مع إسرائيل، وقبلها قالوا وهددوا وتوعدوا، وأبرقوا وأرعدوا، وأرغوا وأزبدوا، وقالوا ما قالوا: سنرميهم في البحر، وسنؤدب إسرائيل ومن وراء إسرائيل، ولكن دخلوا بغير الإيمان، تطلعوا إلى كل جهة إلا إلى السماء، كانت الأناشيد تقول: ومدفعنا يتحدى القدر. كانت صور الراقصات والمطربات توزع على الجنود، بدل المصاحف، وبدل الكتب الدينية والإسلامية، كان، وكان، وكان، فكانت النتيجة ما عرفنا، ما سموه النكسة، أو الوكسة، أو الهزيمة، سموه ما تسمونه.

وبعد ذلك بسنوات، وفي شهر رمضان دخل النَّاس معركة أخرى، هبت فيها نفحة من نفحات الإسلام، كان الشعار «الله أكبر»، فماذا كان؟ رأينا اقتحام خط بارليف، عبور القناة، وكذا وكذا، على قدر ما كان ما كان معنا من إيمان!

قلت لأحد القادة في الجيش المصري: إنكم أعطيتم على قدر ما كان عندكم، لو كان هناك إيمان أكبر، كنتم استطعتم أن تدخلوا أيضًا مسافة أوسع وأكبر، هكذا.

### لماذا نظلم الإسلام؟

لماذا نُحمل إسلامنا إذن نتائج تخلفنا وانحطاطنا وتفرقنا؟ الإسلام ليس مسؤولاً عن هذا، هل طبقنا الإسلام حتَّى نقول كفانا إسلامًا؟ لا والله، ما طبقنا الإسلام! في أي مكان نرى الإسلام مطبقًا؟ أين الدولة التي تتبنى رسالة الإسلام كما تتبنى رأي ماركس، ورسالة ماركس، وأنصار ماركس؟ أين الدولة؟ أين المجتمع الذي يطبق الإسلام على نفسه؟ أين الأخلاق الإسلامية؟ أين القيم الإسلامية؟ أين الفرائض الإسلامية؟

الزكاة، ونحن قادمون إلى هذا المسجد كنا نتحدث مع بعض الإخوة، في بلاد العرب، في بلاد الخليج والجزيرة، فيه ناس يملكون آلاف الملايين لا يخرجون الزكاة عنها، لو خرجت الزكاة عن هذه الآلاف من الملايين التي يوضع كثير منها في بنوك أجنبية ويهودية، لو أخرجت الزكاة ما بقي فقير ولا مسكين في بلاد المسلمين.

لقد زرت الشرق الأقصى منذ شهر، ورأيت بلادًا إسلامية تتعرض للتنصير وللشيوعية ونحو ذلك! بلاد إسلامية بالمئات تحتاج إلى





مساعداً ضئيلة لا تجدها، أين من يساعدها؟ لا تجد المساعدة، هل لأن المسلمين فقراء؟ لا والله، المسلمون ليسوا فقراء، أموالهم كثيرة، ولكنها تنفق في غير مواضعها.

### العمل للإسلام:

قال لي مرّة أحد وجهاء الخليج وأغنيائه: لماذا لا تحاربون الشيوعية أنتم يا علماء الدين؟ قلتُ له: كيف نحارب الشيوعية وأنتم تنشرونها؟ قال: نحن ننشر الشيوعية؟! نحن أعداء الشيوعية، قلت: أنتم تنشرونها بسوء تصرفكم، بسرفكم، بسفهمكم، بإضاعة أموالكم في غير ما أحل الله! هذا هو أعظم دعوة للشيوعية، الشيوعية لا تحارب بالكلام، إنّما تحارب بالعدل، تحارب بالعمل الصالح، تحارب بتوعية المسلمين على حقيقة إسلامهم وبالعمل معاً.

الإسلام أمرنا بالعمل، بالإنتاج، بالتربية، بالزراعة، بالصناعة، فهل فعلنا ذلك؟ لم يجعلوا الزراعة عبادة، «ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلاّ كان له به صدقة»<sup>(١)</sup>.

الإسلام يسمى إصلاح الأرض البور إحياء الموات، أنت حينما تصلح أرضاً فإنّما تحيي مواتاً، تحيي ميّتاً، فهل أحيينا موات أرضنا؟ إنّنا في بلاد العرب والمسلمين نعتمد على غيرنا في قوتنا اليومي، ومعظم بلاد المسلمين بلاد زراعية، هل زرّعنا أرضنا؟ في السودان، في العراق، مساحات شاسعة لكنها لا تُزرع، ونعتمد على الاستيراد، لو كف أولئك الذين يوردون إلينا القوت لمتنا جوعاً في بلاد الزراعة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس بن مالك.

الرسول ﷺ يقول: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»<sup>(١)</sup>. لماذا يغرسها والساعة ستقوم؟ إسرائيل ممسك بالصور سينفخ فيه، وستنتهي الحياة، وينفض سرادقها! إنّه تقديس للعمل، لن يأكل أحد من هذا الغرس، لا هو لا غيره، إنّما المسلم منتج إلى آخر رفق في حياته، بل في حياة الدُّنيا كلها، منتج عامل غارس زارع، هل زرعنا؟ هل صنعنا؟ الأمة التي في كتابها سورة اسمها «سورة الحديد» ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ﴿بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: إشارة إلى الصناعات العسكرية، ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾: إشارة إلى الصناعات المدنية.

### ماذا صنعت أمتنا؟

هل صنّعنا الحديد؟ إنّنا نستورد كل شيء، لو نظرنا إلى هذا المسجد لوجدنا معظم هذه الأشياء التي حولنا كلها مستوردة، هذا الخشب ليس من هنا، هذا السجاد ليس من هنا، هذا الميكرفون ليس من هنا، هذه الثريات الكهربائية ليست من هنا، ماذا صنعنا؟

عندنا أموال، من أين هذه الأموال؟ من البترول، لسنا الذين اكتشفنا البترول، ولسنا الذين استخرجنا البترول، ولسنا الذين صنّعنا البترول! البترول يُشترى منا مادة خامًا بأبخص الأسعار، ثمّ يعاد مصنّعًا إلينا لنشتره بأعلى الأسعار، أين الصناعة؟ أين أمة «سورة الحديد»؟

(١) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

النبي ﷺ يقول: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»<sup>(١)</sup>، كان حدّادًا، كان يصنع الدروع السابغات ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ \* أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

نريد أشياء تبقى وتنتج وتنفع، كل واحد يريد أن يربح وبأي طريق كان، كما جاء في صحيح البخاري: «ليأتين على الناس زمان، لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام»<sup>(٢)</sup>.

لماذا إذن نحمل الإسلام أسباب تخلفنا؟ هل الإسلام هو الذي دعانا إلى هذا؟ الإسلام ينكر كل ما نراه من تخلف، ولو استمسكنا بعروة الإسلام الوثقى، وبتعاليمه الصحيحة لكنا في مقدمة الأمم، ماديًا وروحيًا وأخلاقيًا واجتماعيًا وثقافيًا، وهكذا كنا يوم كنا مسلمين! نريد أن نصحح أفهامنا للإسلام، وأن نجتمع أمنا على هذا الدين، نريد أن نعود إلى الإسلام!

### المستقبل لهذا الدين:

لست يائسًا من مستقبل الإسلام، لا والله، إنّ في الإسلام قوّة ذاتية قادرة على أن يتحرك بها، وأن يحرك بها الأمة، ويوم تتحرك هذه الأمة بالإسلام ستصنع العجائب، ستفعل المستحيل، ستتخطى العقبات؛ لأن لكل أمة شخصيّة، ولكل شخصيّة مفتاحًا، لا تفتح بغيره، كل قفل له مفتاح، ومفتاح هذه الأمة هو الإسلام، حركها بالإسلام تتحرك، تصنع كل شيء، هكذا ينطق التاريخ.

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، عن المقدم بن معديكرب.

(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٠٨٣)، عن أبي هريرة.

لست يائساً من مستقبل هذه الأمة، ها هو الإسلام ينتخب والحمد لله، الإسلام بعد مدة من الزمن؛ إذا بالعالم كله ينتبه إليه الآن، ما الذي حدث؟ ما الذي غير الحاكم في إيران؟ ما الذي غير الحاكم في باكستان؟ ما الذي غير الحاكم في تركيا؟

تصوروا: تركيا حُكمت نصف قرن من الزمان بدستور لا ديني، يدخل الشاب المسلم المدرسة لا يتعلم حرفاً في الدين، مدارس عِلْمَانِيَّة لا دينية، المحاكم الشرعية لا تقضي بشيء من الشرع، فالدستور الوضعي المهين أجاز للأثنى أن تتزوج غير المسلم، وحرَم الطلاق، وحرَم تعدد الزوجات، حتَّى الأحوال الشخصية خرج فيها عن الإسلام!

قطع الأمة عن تراثها بتحريم الحروف العربية، كانت تركيا تُكتب بالعربية؛ فإذا كمال أتاتورك يكتبها بحروف لاتينية، معنى هذا أن تراث هذا الماضي كله الذي كتب عن الإسلام أصبح في خبر كان، ونشأ جيل لا يعرف عن الإسلام شيئاً، حتَّى الأذان حُرِم أن يكون باللغة العربية، ولما أعيد الأذان باللغة العربية منذ سنوات قليلة، وسمع النَّاس «الله أكبر» بالعربية سجد النَّاس في الشوارع شكراً لله، وانهمرت دموعهم تبلل تراب الأرض، يوم سمعوا «الله أكبر» بلغة الإسلام ولغة القرآن، هكذا.

وظن النَّاس أنَّ الإسلام قد محي من تركيا، لا والله، لقد زرت تركيا منذ عدة سنوات، فإذا بحفاظ القرآن، وحافظات القرآن، ومدارس القرآن، والمعاهد الإسلامية التي يقيمها الشعب نفسه بعد أن لمس شيئاً قليلاً من الحرية، وإذا بالجامعات يفتحها الشباب الإسلامي، وهكذا!



## الإسلام لا يموت:

الإسلام لا يموت، الذين يحاربون الإسلام يضيعون على الأمة جهودها وأوقاتها وطاقاتها، وكل ما يفعلونه أنّهم يؤخرون مسيرته!

الإسلام سينتصر، ولكن الإسلام لا ينتصر وحده، الإسلام ينتصر بالرجال العاملين المؤمنين الصادقين، إذا وُجد من يعمل سيجد والله الاهتداء كل الاهتداء، النَّاس بخير، وكما قال السيد محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللهُ فِي مجلته «الفتح»: المسلمون إلى خير، ولكن الضعف في القيادة. يوم توجد القيادة الإسلامية، يوم يوجد من يفكر ويعمل بإخلاص، ويقود الركب، سيخطو النَّاس وراءه.

## حنين الأمة إلى أحكام الإسلام:

تجربة قريية: الشركة الإسلامية للاستثمار، طرحت على النَّاس صكوك المضاربة الإسلامية، وكلمة قصيرة قلتها لتلفزيون قطر، فلما أذيعت واستمع لها الناس؛ ماذا كانت النتيجة؟ إقبال منقطع النظير، حينما وجد النَّاس بديلاً إسلامياً عن الحرام، وعن الفوائد الربوية، وجدنا طوابير تأتي إلى البنوك، وتتدخل الشرطة لتنظيمها، أغلق الموعد، والناس لم يأخذوا حاجتهم بعد، لم ينتهوا، لماذا؟ الشعب لا يزال فيه خير كثير، ولكن نحن المسؤولون، كل ذي رأي، وكل ذي مسؤولية، وكل ذي سلطان في سلطانه مسؤول أمام الله، العيب ليس على الإسلام؛ ولكن العيب على المسلمين.

لا أزال أذكر كلمة قالها رجل أجنبي درس الإسلام وأعجب بتعاليمه، فقال هذه الكلمة التي يجب أن تحفظ وتسجل وتُنشر، كلمة مؤثرة ومحزنة

معاً، قال: يا له من دين لو كان له رجال! أليس للإسلام رجال؟ إنَّ المسلمين في العالم حوالي ألف مليون، كما دلت على ذلك أحدث الإحصائيات من الأمم المتحدة، ألف مليون ينتسبون إلى الإسلام، ولكن هؤلاء المنسوبون إليه، المحسوبون عليه هل هم مسلمون حقاً؟ هل يعملون بمقتضى الإسلام؟ هل هؤلاء هم المسلمون المرجوون؟ إنني أذكر هنا قول الشاعر:

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم      الله يعلم أني لم أقل فنداً!  
إنني لأفتح عيني حين أفتحها      على كثير ولكن لا أرى أحداً<sup>(١)</sup>

يزحمون الأرض من كثرتهم، ثم لا يغنون في أمر جلل؛ إننا نريد للإسلام رجالاً، فالمبادئ لا تنتصر بنفسها، إنما تنتصر برجالها، وكما قال الشاعر العربي:

وعادة السيف أن يُزهي بجوهره      وليس يعمل إلا في يدي بطل<sup>(٢)</sup>!

وقد خاطب الله رسوله ﷺ فقال: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، فهل نحن مؤمنون؟ وهل نحن مستعدون أن نجعل من أنفسنا مؤمنين حقاً، ومسلمين صدقاً؟ هل نحن مستعدون أن نعرض حياتنا وأفكارنا وسلوكنا على القرآن والسنة، على الإسلام الصحيح ونعدل من حياتنا وفقاً للإسلام؟ إذا كنا كذلك فأبشروا بنصر الله.

### تُوجد القوّة حين يُوجد الإسلام:

إنَّ الحقيقة التي لا مرأى فيها أنه يوم يوجد الإسلام توجد القوّة، وتوجد العزة، ويوجد النصر، ويوجد كل خير، ويوم يتخلى الناس عن

(١) هما لدعل الخزاعي، انظر: العقد الفريد (١٥٢/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

(٢) ديوان الطغرائي ص ٣٠٧، لامية العجم، تحقيق د. علي جواد طاهر ود. يحيى الجبوري، نشر مطابع الدوحة الحديثة، ط ٢، ١٩٨٦م.





الإسلام لم يجنوا من وراء ذلك إِلَّا التَخَلُّفَ والهزائم والضعف والسير وراء الأمم، إِنَّهُ لَا مَبْرَرَ لوجود هذه الأمة إِلَّا الإسلام، هي بالإسلام كل شيء، وبغير الإسلام لا شيء، إذا لم تكن مسلمين، وإذا لم نعرف الإسلام فلا يهمنا أن نصير ماديين أو شيوعيين أو رأسماليين، ما قيمتنا؟ قيمتنا أن نعيش بالإسلام، ونعيش للإسلام، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه من كل ذنب؛ إِنَّهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\*\*\*

## الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ:

فقد ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له<sup>(١)</sup>، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة! اللهم اجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى، وأنفسنا على الحب فيك، وعزائمننا على عمل الخير، وخير العمل.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. اللهم آمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

\*\*\*

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (١٥٢)، كلاهما في الجمعة.



## قضية التنمية في ضوء الإسلام (١)<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

العالم اليوم يتحدث عن التنمية، يعقد لها الندوات والمؤتمرات، ويُنشئ لها المراكز والمؤسسات، ويُخرج عنها التقارير والدراسات، وعليها تُبنى برامج وسياسات، كل الناس يتحدثون عن التنمية في الشرق وفي الغرب، وفي الشمال وفي الجنوب، ومن قريب عُقد في الدوحة مؤتمر للتنمية.

### حاجتنا إلى التنمية:

ونحن في بلادنا العربيّة والإسلاميّة أحوج الناس إلى التنمية، بلادنا كلها محسوبة على العالم الثالث، ولو كان هناك عالم رابع لنُسبت إليه بعض بلادنا، كلنا معدودون في البلاد النامية.

وكلمة (البلاد النامية) عبارة مؤدّبة للبلاد المتخلفة، لم يريدوا أن يجرحوا شعورنا فيسمونا (البلاد المتخلفة)، ولعلهم أرادوا أن يخدرونا حينما يُشعروننا أو يوحون إلينا بأننا بلاد نامية.

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٥ أبريل ٢٠٠٥م.

والحقيقة أننا لا نكاد ننمو، نحن نسير مسير السلحفاء في عالم يسير بسرعة البرق، في عصر يسمّى عصر السرعة، عصر التغلب على المسافات، عصر اختصار الأزمان، نحن لا زلنا نسير هذا السير البطيء، إذا تقدّمنا شبرًا كان غيرنا قد تقدّم ذراعًا، وإذا تقدّمنا ذراعًا كانوا قد تقدّموا باعًا، نسافر على الجمال فإذا اخترعوا السيارة والقطار اشتريناها منهم، فإذا بهم يركبون الطائرة، فإذا لحقنا بالطائرة ركبوا الصواريخ ووصلوا إلى الفضاء، لا نستطيع أن نسدّ الفجوة بيننا وبينهم؛ لأنّ سرعة السير ليست واحدة.

والحقيقة أقول: إنّ ما نركبه من سيارات وقطارات وطائرات ليست من صنعنا نحن، هم الذين يصنعون هذا كله ويصدّرونه إلينا، صحيح نحن نستطيع أن نقفني في بيوتنا ولأشخاصنا أفخم مصنوعات العالم، يستطيع الإنسان منا أن يحجز أرقى أنواع السيارات، فيها جميع الكماليّات، ولكنّا نملك ولا نصنع، لا نصنع في هذه السيارة مسمارًا، غيرنا يصنعها لنا.

منذ عدّة سنوات تعطلت محطة كهربائية في إحدى بلاد الخليج بالقرب منا - في الكويت - فتعطل ثلث البلد، الكهرباء هي روح الحياة، لا يستطيع النّاس أن يشربوا؛ لأنّ الماء يُرفع بالموتور الكهربائي، لا يستطيعون أن يصعدوا إلى الأدوار العليا بالمصعد؛ لأنّه يعمل بالكهرباء، لا يستطيعون بغير الكهرباء أن يُشغّلوا مروحة ولا تكييفًا ولا ثلاجة إلى آخره!

توقفت الحياة فذهب النّاس إلى أصدقائهم وأقربائهم في المناطق التي بها كهرباء، حتّى جاء (الخواجه) الذي صنع المحطة والذي باعها لهم؛ فأصلح ما فيها فعادت الحياة إلى النّاس، أو عاد النّاس إلى الحياة.

نحن لا زلنا في ذيل القافلة، نحن في حاجة إلى التنمية، أن ننمي أنفسنا نموًا حقيقيًا، لا نموًا مظهريًا، العالم العربي فيه ثروات مذكورة ومنشورة، وثروات النفط وحده فيه بعشرات المليارات، ومع هذا دخل العالم العربي كله - بما فيه دول النفط - لا يساوي دخل بلد أوروبي مثل إسبانيا، لا أقول: مثل ألمانيا، أو فرنسا، أو بريطانيا، أو إيطاليا.

### حاجتنا إلى العمل:

لماذا كان دخل العالم العربي كله لا يساوي دخل إسبانيا وهي في مؤخرة البلاد الصناعية؟! لأننا لا نعمل، وإذا عملنا لا نتقن! عملت إحصائيات عن متوسط وقت العمل لموظفي الحكومة في إحدى الدول العربية؛ فكان المتوسط سبعة وعشرين دقيقة في اليوم، والباقي يقضيه في شرب القهوة، وقراءة الصحف، والتسلي بالكلام، والذهاب إلى هنا وهناك، قليل من الناس من يعمل كما ينبغي، وباقي الناس لا تعمل.

ذهبت إلى ألمانيا في أواسط السبعينيات، نظرت فإذا الشوارع فارغة من الناس، وكنا بالنهار، فسألت الأخ الذي كان مؤكلاً باصطحابي إلى المؤتمر الذي سأحضره: لماذا لا نرى الشوارع مزدحمة مثل بلادنا؟ قال: الناس في أعمالهم. بعد الساعة السابعة عاد بي إلى الفندق، وفي الطريق وجدت الشوارع فارغة أيضًا، فسألته متعجبًا عن السبب، فقال لي: عاد الناس من أعمالهم مكدودين مهدودين، يريدون أن يتناولوا العشاء وينظروا إلى نشرة الأخبار ثم ينامون؛ لأنهم من الصباح الباكر سيقومون إلى عمل مُجهَد، وبعضهم يعمل فترتين، ويذهب إلى العمل في أكثر من ساعة، وأكثر من ساعة في العودة، وساعة في الغداء. الناس هناك في عمل مستمر، ونحن أمة لا تعمل، وإذا عملنا لا نتقن عملاً؛ كيف تنمو أمتنا وترقى وهي لا تعمل؟!

## الإسلام والعمل:

لقد طلب الإسلام من النَّاس أن يتعبّدوا إلى الله بالعمل، فالمسلم يتقرّب إلى الله بعمله، يعتبر العمل عبادة لله، وجهادًا في سبيله، سواء كان يعمل لإغناء نفسه، أو لإغناء أسرته، أو لإغناء مجتمعه، أو للمساهمة في خير الإنسانية، هذا هو الإسلام الذي يدعو النَّاس إلى العمل، وإلى إتقان العمل، وإلى الاستمرار في العمل.

لا يوجد دين في الدُّنيا يحثُّ النَّاس على العمل المعيشي والعمل الدنيوي مثل الإسلام، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، أطلق القرآن على العمل هذا اللفظ الجميل: ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾. حينما تسعى إلى عملك بعد الصلاة فأنت تبتغي من فضل الله وَجْلك، والمقصود بالصلاة: صلاة الجمعة، فحتى يوم الجمعة يوم عمل، لا يوم كسل!

رأى سيّدنا عمر أناسًا قابعين في المسجد بعد صلاة الجمعة، لم ينتشروا كما أمر الله، فسألهم: مَنْ أَنْتُمْ؟ قالوا: نحن متوكلون. قال: بل أَنْتُمْ متأكّلون لا متوكّلون، تريدون أن تتأكلوا بسؤال الناس. ثمّ قال لهم: لا يقعدنَّ أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهمّ ارزقني. وقد علم أنّ السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضّة، إنّما يرزق الله النَّاس بعضهم من بعض. ثمّ علاهم بدرته، وأخرجهم من المسجد وقال: إنّ الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٦٢/٢).





## إتقان العمل فريضة:

الإسلام يُعلمنا أن نتقن العمل، فإتقان العمل فريضة، والرسول ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ»<sup>(١)</sup>. الإحسان يعني الإتقان والإحكام، حتّى في القتل أحسن عملك، وقال: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَقَنَهُ»<sup>(٢)</sup>.

## العمل في مجال الصناعة:

أمتنا للأسف لا تعمل العمل الكافي، العمل المستمر، العمل المتقن الذي يؤدي إلى النمو الحقيقي، نحن نستورد أسلحتنا لا نصنعها، لا نصنع الدبابة، ولا نصنع الطائرة، ولا نصنع المجنزرة، ولا نصنع المدافع الثقيلة، نصنع أشياء خفيفة، فالصناعات أيضًا لا نحسنها.

كثيرًا ما قلت: إِنَّ أُمَّةَ سُورَةِ الْحَدِيدِ لَمْ تَتَعَلَّمْ صِنَاعَةَ الْحَدِيدِ، عِنْدَنَا سُورَةٌ فِي الْقُرْآنِ اسْمُهَا (سُورَةُ الْحَدِيدِ)، يَحْفَظُهَا الْكَثِيرُونَ مِنَّا، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْهَا يَسْمَعُهَا كَثِيرًا وَكَثِيرًا، وَفِيهَا آيَةٌ مُعَبَّرَةٌ تَقُولُ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]. ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾: خلقه الله بتدبير سماوي علوي، ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: إشارة إلى الصناعات الحربيّة، ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾: إشارة إلى الصناعات المدنيّة.

ونحن للأسف لم نتقن لا الصناعات الحربيّة ولا الصناعات المدنيّة، بعضنا يقول: نستورد من الإبرة إلى الصاروخ. هذه أمتنا! لم

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

(٢) سبق تخريجه ص ٧٣.

نصنع في بلادنا العربيّة إلى اليوم (موتورًا) أو محرّكًا، هي صناعات تجميعيّة، وليست هناك صناعات أصليّة، الهند صنّعت سيّارة، بل صنعت طائرة، ونحن لا زلنا نلف وندور في مكاننا؛ كالثور في الطاحونة أو في الساقية؛ يدور ويدور، والمكان الذي انتهى إليه هو الذي ابتداء منه، لا ننمو نموًّا حقيقيًّا.

نحن لا نصنع الصناعات التي ترقى بالأُمم، مع أنّ علماءنا قالوا: إنّ إتقان الصناعات المطلوبة للأُمّة فرض كفاية عليها، فرض كفاية أن تتعلمها، وفرض كفاية أن تتقنها وأن تتفوق فيها. كل ما تحتاج إليه الأُمّة من علم أو صناعة: العلوم الدنيويّة، والعلوم الطبيعّيّة والرياضيّة فرض على الأُمّة أن تتقنها؛ لأن ما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب، لا يمكن أن تتبوأ الأُمّة مكانتها وهي متخلّفة، لا يمكن أن تتفوق على عدوها وهو يفوقها.

لماذا تفوّقت علينا الطغمة الصهيونيّة على قلة عددها؟ لأنّها تفوّقت علينا في العلم، وتفوّقت علينا في التكنولوجيا، وتفوّقت علينا في القوّة، كما تفوّقت علينا في العمل، كانت الصحراء أمامنا لم نفعل فيها شيئًا، وحينما استولت هي على الصحراء حوّلتها إلى واحة خضراء.

بعض النّاس يلوم الدين يقول: الدين هو سبب هذا. وهذا كذب وافتراء والله، أي دين هذا؟ هناك فهم خاطئ للدين عند بعض النّاس، الدين الحقيقي هو الذي يُعطي الأُمّة المحركات، هو الذي يعطيها الحوافز، هو الذي يضع أمامها المناهج، هو الذي يضع لها الضوابط لو فهمنا الإسلام فأحسنه.

## العمل في مجال الزراعة:

نحن لم نرقَ صناعيًا، ولم نرقَ زراعيًا، معظم بلاد العرب والمسلمين بلاد زراعيّة، ذات سهول خصبة، ومع هذا نحن نستورد أكثر من نصف أقواتنا، لا ننتج من الحبوب ما يكفي لنا، الرغبة الذي نحتاج إليه لا نملك دقيقه أو طحينه أو حبه، نستورده من الخارج، فلو كفّ هؤلاء الناس أيديهم عنا لخصومة بيننا وبينهم نموت جوعًا.

والإسلام يحثنا على الزراعة، الرسول ﷺ يقول: «ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا؛ فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة؛ إلا كان له به صدقة»<sup>(١)</sup>. وفي بعض الروايات: «صدقة إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>. ما دام يُنتفع به، حتّى وإن كان بغير إرادة الغارس والزارع، يُثاب المرء رغم أنفه ما دام قد غرس وزرع.

بل انظروا إلى هذا الحديث الرائع، النبي ﷺ يقول: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة - نخلة صغيرة - فإن استطاع ألاّ تقوم حتّى يغرسها فليغرسها»<sup>(٣)</sup>. هذه الساعة تقوم ولن ينتفع بغرسه أحد؛ فلماذا يغرسها؟!

كان سيّدنا أبو الدرداء يغرس شجرة جوز، وشجر الجوز تطول المدة عليه حتّى يثمر، وكان شيخًا كبيرًا، فقالوا له: تزرع شجرة جوز وأنت في هذا السن؟! قال: وماذا عليّ أن يكون لي أجرها وينتفع بها غيري<sup>(٤)</sup>؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في المساقاة (١٥٥٢)، عن جابر.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٠٦.

(٤) شرح السنة للبغوي (١٥١/٦)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر المكتب الإسلامي، دمشق،

ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

ولكن إذا كانت الساعة تقوم فلن ينتفع بها هو ولا غيره، فلماذا يغرسها؟! هذا تكريمٌ للعمل لذات العمل، أي أنَّ المسلم يجب أن يكون عاملاً منتجاً معطاءً، حتّى آخر رفق في حياته، حتّى تلفظ الحياة آخر أنفاسها، ولو لم يستفد من هذا العمل أحد؛ أرايتم مثل هذا الدين؟ ومع هذا لم نُحسن الزراعة.

يجب أن نزرع أرضنا، أن نزيد الإنتاج الزراعي، نزيده بتوسيع الرقعة الزراعيّة، بأن نُخضّر الأرض الصفراء، نزحف على الأرض الصفراء بدل أن تزحف هي على الأرض الخضراء عندنا، نتقرب إلى الله بتخضير الأرض، نحسن اختيار البذرة التي تنتج أكثر، نحسن اختيار التربة، نسعى ونجهد على تحسين الخدمة للتربة بالسقي والتسميد والرعاية والتعهد، الزراعة تحتاج إلى تعب حتّى تنتج أطيب الثمرات، فالتنمية الزراعية مطلوبة، والتنمية الصناعيّة مطلوبة.

### الأنبياء والعمل:

النبي ﷺ يقول: «ما أكل أحد طعاماً قط أفضل من أن يأكل من عمل يده، وإنَّ نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يده»<sup>(١)</sup>. أفضل ما يأكله الإنسان من عمل يده، من كدِّ يمينه وعرق جبينه، ونبيُّ الله داود الَّذي آتاه الله الملك والحكمة، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ [ص: ٢٠]، كان يعمل حدّاداً، يصنع الدروع، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، ﴿وَأَلَّنَا لَهُ الْحَدِيدَ \* أَنِ اعْمَلْ سَبِغَتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١٠، ١١]، بعضهم يقول: ألان له الحديد بالمعجزات. لا، بل بالوسائل المعروفة، بالسنن الإلهيّة الكونيّة في الكون.

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، عن المقدام بن معد يكرب.

هكذا ذكر لنا القرآن أنبياء يعملون، داود يعمل في الحدادة، ونوح يشتغل في النجارة، ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾ [هود: ٣٧]، وإبراهيم وإسماعيل يعملان في البناء، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ليس في الصناعات ما يشين، فعلينا أن ننهض نهضة صناعية.

### مقارنات:

لماذا تأخرنا وتخلّفنا وتقدّم غيرنا؟ انظروا بعض المقارنات: مصر بدأت نهضتها الصناعية مع اليابان أو قبيل اليابان، وانظروا أين اليابان وأين مصر الآن؟

بل انظروا إلى كوريا الجنوبية بدأت نهضتها بعد الحرب العالمية الثانية، لم يكن لديها شيء، استطاعت أن تُجنّد جنودها وتحشد جهودها، وتفتح عالم الصناعة؛ فأصبحت منافسة لأوروبا وأمريكا واليابان.

وانظروا إلى الصين الآن وهي تهدّد العالم الغربي كله بمصنوعاتها الرخيصة والمتقنة، لم تقل الصين: عندي مليار وثلث المليار. وتجعل من هذا مشكلة، بل جنّدت هذا العدد من البشر ليعملوا ويغزو العالم بمنتجاتهم.

لماذا لا نفعل مثلما فعل هؤلاء؟ ماذا ينقصنا؟ أنحن أغبياء كما يقولون؟ لا والله، في يوم من الأيام كنّا سادة العالم، كنا رواد الحضارة، كنا مُعلّمي الدُّنيا؛ فلماذا نتخلّف؟

### شروط التنمية:

الأمة في حاجة إلى حوافز، إلى أن تشعر بأن لها رسالة تعمل من أجلها، لا نُشعر هذه الأمة بهذه الرسالة، هناك شروط لا بدّ منها لتحقيق التنمية، هناك مناخ لا بدّ أن يتوافر.

## ١ - توفير الحريات:

من هذه الشروط، ومن عناصر هذا المناخ: توافر الحرية للناس، ألا يشعر الناس بأن هناك حكمًا يقهرهم، ويستبد بهم ويسخرهم لإرادته، العبد لا يحسن الكرّ، ولكن يُحسن الحلاب والصرّ كما قال عنتر بن شداد<sup>(١)</sup>. العبيد لا يستطيعون أن يعملوا إلا بالكرباج، نريد شعوبًا من الأحرار الذين يعملون بإرادتهم وبإيمانهم، فتوفير الحرية أمر مهم.

وبلادنا بالذات - بلاد العرب والمسلمين - هي البلاد المحرومة من الحرية، إلا ما رحم ربك، وقد تحدثنا عن الديمقراطية في خطبة سابقة، وأن بلادنا محرومة من الديمقراطية، يوجد فيها شيء اسمه الديمقراطية، ولكنها ديمقراطية زائفة.

الديمقراطية الحقيقية لا نراها، لأن الحرية لا بدّ أن تتحقّق قبل الديمقراطية، حرية الإنسان أن يقول بملء فيه: لا، أو نعم. لا يوجد هذا في بلادنا، ولكن توجد السجون والمعتقلات، وأدوات التعذيب، وأناس يموتون تحت سياط العذاب ولا يسأل عنهم أحد، وحقوق الإنسان ولجان العفو الدولية تتكلم وتنادي، ولا من سميع ولا من مجيب، فالحرية أساس للتنمية.

## ٢ - توفير العدل الاجتماعي:

وهناك شيء آخر: العدل الاجتماعي، أن يحسّ الناس أن ثمرات عملهم لهم، أمّا أن يرى الناس أنّهم يعملون، والذين يأكلوا ثمرة أعمالهم هم اللصوص الكبار، اللصوص الصغار يُساقون إلى السجون، واللصوص

(١) انظر: الأغاني للأصبهاني (٣٨٧/٨)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.



الكبار يتمتَّعون بالمال الحرام والجاه الحرام، الَّذِينَ يسرقون الملاليم يُسَجَّنون، والذين يسرقون الملايين أحرار طلقاء، ما دام هذا موجودًا في بلادنا؛ فلا يمكن أن تتحقَّق فيها تنمية، سيقول الناس: ولمن نعمل؟ هل نعمل لفلان وفلان من هؤلاء الحرامية واللصوص؟

وإذا تكون كريهةٌ أدعى لها وإذا يُحاس الحيس<sup>(١)</sup> يُدعى جندب<sup>(٢)</sup>!

كما يقول المثل: في همَّهم مدعوون، وفي فرحهم منسيون!

لا يمكن أن يُقبل النَّاس على العمل إلا إذا شعروا بالعدل يعم الجميع، وأن خير عملهم يعود في النهاية لهم، هذا أمر لا بدَّ منه.

### ٣ - الجزاء على الإحسان والإساءة:

وهناك أيضًا شرط آخر: أن يُثاب المحسن ويُعاقب المسيء، أن يجد المحسن مكافأة على إحسانه، ويجد المسيء عقوبة على إساءته، ولكن إذا كان المسيء سيئ ولا يجد في المجتمع مَنْ يسأله، بل يتجبر على الناس، ويستكبر على العباد، ويظن أنه إله لا يُسأل عمَّا يفعل لأنَّه ابن فلان أو علان، أو محسوب على فلان؛ فلا يمكن أن يسود مثل هذا المجتمع نموُّ حقيقي.

لا بد أن نثيب المحسن، ونعاقب المسيء، الثواب والعقاب سنَّة من سنن الله، مَنْ عمل خيرًا يُجزَّ به، ومَنْ عمل سوءًا يُجزَّ به، في الدُّنيا والآخرة.

(١) الحيس: طعام يُصنع من الدقيق والسكر، كالعصيدة ونحوه من المعجنات. يريد: أن أخاه جندبًا له الشهي من الطعام، أمَّا هو، فله شذائد الأعمال.

(٢) البيت لهنيء بن أحمر الكناني، كما في معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٥٠، تحقيق د. ف. كرنكو، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٤٢٤/١)، نشر دار الفكر، بيروت.

## ٤ - توفير جو الإيمان والأخلاق:

هناك أيضًا شيء مهم: وهو أن يتوافر جو الإيمان والأخلاق، ربما يقول الناس: وما علاقة الإيمان والدين والأخلاق بالتنمية والعمل الاقتصادي والزراعي والصناعي؟!

لا والله! إنها لعلاقة قويّة جدًّا، إنَّ التنمية لا يمكن أن تتم في جو الفساد، الجو الذي ينتشر فيه الفساد: الرشوة، وأكل مال الناس بالباطل، وانتشار الخمر وباعة المخدرات والسموم، يتاجرون ويكسبون الملايين والمليارات ولا يوقفهم أحد، وهم معروفون، مثل هذا الجو لا يمكن أن يتم فيه نمو.

لا بدّ من الإيمان والأخلاق، القرآن يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ﴿يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿[الطلاق: ٢، ٣]، ﴿وَالْوِاسْتَقَامَةُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

بعض الناس يفهم الإيمان والتقوى والاستقامة في هذه الآيات فهمًا خاطئًا، يظن أن مَنْ يُمسك بمسبحة، ويسبح الله تعالى ألف مرّة، أو يصلي مائة ركعة؛ فهذا فقط هو المؤمن التقي المستقيم، لا، ليس هذا هو المقصود، الإيمان والتقوى والاستقامة والصلاح: ليس هو مجرد الصلاة والتسبيح والتحميد.

الصلاح يشمل الدين والدنيا، أن تؤدي فرضك نحو ربك، وفرضك نحو نفسك، وفرضك نحو أسرتك، وفرضك نحو مجتمعك، وفرضك نحو أمّتك، هذا هو الصلاح، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].



الصالحون هنا ليسوا الدراويش، ولكنهم الصالحون لعمارة الأرض بالإيمان والحق والخير.

نحن نريد أمة من الصالحين كما كانت أمتنا في السابق حينما ورثت الأكاسرة والقيصرة، وأقامت دولة العدل والإحسان، وأنشأت حضارة العلم والإيمان.

### ٥ - العمل لهدف ورسالة عظيمة:

ومن الجو الذي نريده: أن نُشعر الأمة بأن لها رسالة، أن تكون الأمة ذات هدف كبير، وإلا فلماذا يعمل الناس؟ إذا كان الإنسان يشعر بأنه لا هدف له، فلماذا يعمل؟ لماذا يتعب نفسه؟ لا بد أن تشعره بأنه ينتمي إلى أمة عظيمة، أمة لها رسالة عالميّة، أمة كلّفها الله هداية البشر، وإخراج النَّاس من الظلمات إلى النور، وأن قوّة هذه الأمة تساعد على رسالتها، وأنّه لا بدّ لها من القوّة الاقتصادية لأنّها سبب للقوّة العسكرية وغيرها من القوى.

إذا شعر الإنسان أنّ له رسالة وهدفًا كبيرًا: يعمل وهو في غاية الحماس لأمتّه، يشعر أنّه عضو في جماعة كبيرة، وليس إنسانًا مُهمّشًا لا قيمة له، ولا رسالة له، ولا وزن له.

### ٦ - التكتل والتكامل:

ثم هناك أمر آخر بعد هذا كله: إذا أردنا أن تنمو الأمة نموًا حقيقيًا فلا بدّ أن نعمل مجتمعين لا متفرقين، أن ندخل هذا العصر أمة كبرى، لا جماعات مُبعثرة، هذا العصر لا بقاء فيه للكيانات الصغيرة الضعيفة، النَّاس يبحثون عن التكتل.

تصوّروا حينما تريد بلاد الغرب الصناعيّة الكبرى: أن تصنع طائرة متطورة ذات إمكانيات غير عادية، تشترك أكثر من دولة في صناعة هذه الطائرة، لأنّ دولة واحدة لا تستطيع أن تقوم بها. أمّا عندنا فكل دولة تريد أن تستقل وحدها، حتّى وإن لم تكدر ترى على الخريطة إلّا بالمجهر؛ كيف هذا؟! نحن في عالم لا بقاء فيه إلّا للكيانات الكبيرة، في عالم الاقتصاد يتحدثون عن الإنتاج الكبير، الإنتاج العريض، فالإنتاج الصغير لا يمكن أن ينافس الإنتاج الكبير، ولذلك عندما قامت بعض الشركات بصناعات كبرى ماتت المصانع الصغيرة والمشاكل الصغيرة، لأنّ الكبير يلتهم الصغير كالسمك في البحر.

ولذلك رأينا الأوروبيين بعد صراع القرون بين بعضهم وبعض، وآخرها الحربان العالميتان الأولى والثانية بين الأوروبيين أنفسهم، رأيانهم يتناسون هذا كله، ويتداعون إلى تكتل واتحاد، بدأ اقتصاديًا وانتهى سياسيًا وأصبحوا كتلة واحدة، زالت الحواجز الجمركيّة وغيرها من الحواجز التي تحول بين بعضهم وبعض، أصبحوا كتلة كبيرة حتّى يستطيعوا أن يواجهوا أمريكا.

وهناك في آسيا دول تتكتّل أيضًا؛ فلماذا لا يتكتّل العرب - على الأقل - بعضهم مع بعض؟ بل لماذا لا تتكتّل الأمّة الإسلاميّة وهي مليار وثلث مليار أو أكثر، ليكونوا كيانًا كبيرًا، يستطيع أن ينافس تلك التكتلات الكبرى؟

نحن لا نستطيع أن نعيش في هذا العصر كيانات صغيرة، لا بدّ أن يكون لنا كيان كبير حتّى نستطيع أن نثبت ذاتنا، وأن ننبؤاً مكانتنا تحت الشمس، وأن نقول للآخرين: نحن هنا.

هذا ما نريده أيها الإخوة، نحن لا يمكن أن ننمو إلا إذا وفّرنا شروط التنمية الحقيقيّة.

إنّنا ننادي أمّتنا، أمّة الإسلام، أمّة القرآن، أمّة مُحَمَّد ﷺ: عارٌ عليكم أن تبقوا في دائرة التخلف، التي تنتشر فيها البطالة والفقر، والأميّة والأمراض، والتخلف في كل جوانب الحياة، عارٌ عليكم وأي عار؟

### تنمية الإنسان:

أمّة الإسلام مدعوّة اليوم قبل الغد أن تراجع نفسها، وأن تضع خططاً للتنمية الحقيقيّة: التنمية الزراعيّة، والتنمية الصناعيّة، والتنمية البشريّة: تنمية الإنسان. الإنسان هو هدف التنمية، وهو صانع التنمية، ولا يمكن أن تتم التنمية حقاً إلا إذا نمّينا الإنسان، إذا وفّرنا له ما يستطيع به أن يرقى، وأن يشعر بأنّه إنسان، أنّه سيّد في الكون، عبد لله، أنّ الله سخر له ما في هذه الأرض، بل سخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

### الحفاظ على الموارد:

ينبغي أن نوّفر هذا الجو للإنسان الذي نريد أن ننمّيه، لينمّي الحياة، وينمّي الأرض، وينمّي الموارد، ويحافظ على هذه الموارد، الإسلام علمنا أن نحافظ على هذه الموارد، هي من نعم الله علينا، يجب أن نحافظ عليها، ويجب أن نسعى في تنميتها ليكافئنا الله بالزيادة، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

النبي ﷺ علّم الأمة كيف تحافظ على مواردها، رأى يوماً شاة ميتة فقال: «لمن هذه الشاة؟». قالوا: يا رسول الله، هي لمولاة لميمونة

أم المؤمنين. أي لخدمة عندها، قال: «هَلَّا أَخَذْتُمْ إِيَّاهَا - يعني جلدتها - فانتفعتُم به؟!». قالوا: يا رسولَ الله، إِنَّمَا هِيَ مَيْتَةٌ. قال: «إِنَّمَا حُرِّمَ أَكْلُهَا»<sup>(١)</sup>. لحمها هو المُحَرَّم، أمَّا جلدُها فخذُه وادبغُه وانتفع به، فهو يَعْلَمُ النَّاسَ هذا الأمر.

ويذهب النبي ﷺ ضيفًا على بعض الأنصار، فيأخذ الأنصاري السكين ليذبح شاة، فيقول له: «إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ»<sup>(٢)</sup>. يعني لا تذبح لنا شاة ينتفع النَّاسُ بلبنها ودرَّها.

ويقول فيما رواه أنس عنه: «إِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ لُقْمَةٌ، فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى». كما كان آباؤنا يفعلون حين يرون لقمة يقبلونها ويقولون: هذه نعمة. «فليُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ»<sup>(٣)</sup>. فكل ما يترك ولا يُنتفع بخيره يذهب للشيطان، ثمَّ يقول أنس: وأمرنا رسول الله أن نسلت القصعة<sup>(٤)</sup>. أي: نتبع ما بقي فيها من الطعام، ونمسحها بالأصبع ونحوها؛ بحيث لا نبقى فيها طعامًا، لا تكون هناك فضلات.

ويمكن أن يقول البعض: وما قيمة ما بقي في الصفحة، أو قيمة اللقمة. ربما لو نظرنا إلى واحد أو اثنين فلا نجد قيمة لهذا، لكن الرسول يُشَرِّعُ لَأُمَّةٍ هي الآن ألف وثلاثمائة مليون، يأكلون في كل يوم ثلاث وجبات، لو أنَّ كل إنسان ترك شيئًا في صحفته كما يفعل أهل الخليج لامتلات صناديق القمامات بما بقي من اللحم والخبز والأرز

(١) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٢)، ومسلم في الحيض (٣٦٣)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٨)، وابن ماجه في الذبائح (٣١٨٠)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٣)، وأحمد (١٤٣٨٨)، عن جابر.

(٤) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٣٤)، وأحمد (١١٩٦٤)، عن أنس.



والخضراوات، وهناك من المسلمين مَنْ يحتاج إلى لقمة يُمسك بها رmqه، أو يطفئ بها حرّقه.

الإسلام يعلمنا كيف نحافظ على الموارد، لا نُفِرط في شيء منها، الرسول ﷺ يقول: «مَنْ قَتَلَ عَصْفُورًا عَبَثًا؛ عَجَّ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنْ فَلَانًا قَتَلَنِي عَبَثًا، وَلَمْ يَقْتُلْنِي لِمَنْفَعَةٍ»<sup>(١)</sup>. لا ليأكله أو ينتفع به، لا، إِنَّمَا هُوَ الْعَبَثُ فَقَطْ، فالحفاظ مطلوب حتّى على العصفور.

ويقول ﷺ: «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ»<sup>(٢)</sup>. لأنّ السدرة ينتفع النَّاسُ بها، هذا حفاظ على الأشجار، والعالم الآن يتواصى بالحفاظ على الأشجار؛ لأن لها أهميّة اقتصاديّة، وأهميّة في حماية البيئة، إلى آخره.

هذا ديننا يمدنا بالكثير الكثير لكي ننمّي أنفسنا؛ فمتى نفهم ديننا؟ ومتى نعمل به؟ حتّى نكون أُمَّةً جديرة بأن تكون الأُمَّة الوسط، الشهيدة على الناس، وبأن تكون خير أُمَّة أُخرجت للناس؟

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

\*\*\*

(١) رواه أحمد (١٩٤٧٠)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والنسائي في الضحيا (٤٤٤٦)، وابن

حبان في الذبائح (٥٨٩٤)، وضعّفه الألباني في بلوغ المرام (٤٦)، عن الشريد بن سويد.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٥٢٣٩)، والنسائي في الكبرى في السير (٨٥٥٧)، وصحّحه الألباني

في الصحيحه (٦١٤)، عن عبد الله بن حبشي. والمراد بالسدرة: شجرة السدر (النبق) التي

يكثُر وجودها في البراري.



## الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

أحدثكم عن أمرين:

### اقتحام اليهود للمسجد الأقصى:

الأمر الأول: أنّه في يوم الجمعة الماضي كان هناك تهديد للمسجد الأقصى، جماعات من اليهود المتطرفين أتوا من أوروبا وأمريكا وغيرها؛ لكي يقتحموا المسجد الأقصى ويحتلوه، ولكن الله سلّم.

ولكن الذي أريد أن أتحدّث عنه هنا: أنّ العالم العربي والإسلامي لم يتجاوب مع هذا الحدث بالقدر الكافي، لا أدري ما الذي أصاب كثيرًا من المسلمين ببلادة الحس؟!

منذ أكثر من ثلاثين سنة حاول يهودي أن يحرق منبر المسجد الأقصى؛ فهاج العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وأجبر قادة المسلمين ورؤساءهم أن يجتمعوا في أوّل قمة لهم من أجل حريق المسجد الأقصى.

والآن المسجد الأقصى يُهدّد، والحفريات تُحفر من تحته، والتعديات تجري من فوقه، ولا ندري ماذا يحدث له! والمسلمون صامتون صمت القبور، الرؤساء والملوك والقادة لا يتحركون التّحرُّك الكافي، حتّى صرخات الاحتجاج صرخات خافتة ميتة، لا تكاد تُسمع أحدًا، هي همس والهمس ينيّم اليقظان، والصرخة توقظ النائم، هؤلاء لا يصرخون، ولكنهم يهمسون.

لم نَرِ تجاوبًا في العالم الإسلامي للأسف الشديد، كنا نظن أن تهيج الدُّنيا كلها، وأن يقف النَّاس ليقولوا: لا، لن نسمح أبدًا أن يُدنَّس المسجد الأقصى، ولو حدث سنشعلها نارًا. لم أر هذا حدث إلا على نطاق ضيق محدود في بعض البلاد.

ثم هناك شيء آخر: إذا كان اليهود قد سكتوا الآن؛ فليس معنى هذا أنَّ الموضوع قد انتهى، إنَّ هؤلاء اليهود المتطرفين يعملون من أجل عقيدة يؤمنون بها، ويعيشون لها، ويضحُّون في سبيلها، هذا ما رأيناه، المستوطنون وهؤلاء الذين جاؤوا من هنا ومن هناك؛ ليقيموا لهم مستعمرات في غير ديارهم، ويقاتلون البراء من أجل ذلك، يقتلون الأطفال والنساء، والشيخوخ والمدنيين، هؤلاء لن يسكتوا.

ولذلك علينا أن نكون متربِّصين متيقظين، لما يمكن أن يحدث في يوم من الأيام؛ إذا كنا حقًا أمة الإيمان، وأمة الإسلام، وأمة القرآن، إذا كنا حريصين على أرض النبوات، أرض الإسراء والمعراج، أرض المسجد الأقصى، أرض أولى القبلتين، وثالث المسجدين المعظمين، إذا كنا حريصين على ذلك فيجب أن نكون في غاية اليقظة لما يمكن أن يحدثه هؤلاء.

### حكم تاريخي ضد جريدة الاتحاد الإماراتية:

الكلمة الثانية التي أريد أن أقولها، وما كنت أريد أن أقولها، ولكن ليعلم الإخوة الذين يصلون معي هنا، والذين يسمعوننا خارج قطر: أن هناك حكمًا أصدرته المحكمة الابتدائية الكلية في قطر ضد (مؤسسة الإمارات للإعلام)، وجريدة (الاتحاد) الطبائنية، الجريدة التي افترت عليَّ افتراءً، واختلقت اختلاقًا، واتَّهمتني بأوصاف أنا بريء منها.

لقد عشت طول عمري مدافعاً عن الوسطية والاعتدال، ولكن هؤلاء اتهموني بأنني أحرّض على سفك الدماء، وأنا لا أحرّض على سفك الدماء، ولكنني أحرّض على المقاومة المشروعة.

هؤلاء يريدون أن نستسلم لما تريده الصهيونية منا، وما يريده الأمريكان منا، ونحن لا يمكن أن نستسلم، من أجل هذا سلّط هؤلاء سهامهم المسمومة عليّ، وقالوا ما قالوا، وجعلوني أنا المسؤول عما حدث في العراق من قتل الرهائن، مع إنني في كل الرهائن سعت سعيي، وأصدّرت بيانات من أجلها.

ولذلك أنصفني القضاء القطري؛ فجزى الله القضاة القطريين خيراً، الذين لم يبالوا في الحق لومة لائم، وأصدروا حكمهم التاريخي، حكموا لي بتعويض عشرة مليون ريال قطري، وأنا لست والله راغباً في المال، لو أعطونيها سأوقفها للدعوة الإسلامية وللفكر الإسلامي الوسطي، فأنا أشكر القضاة القطريين.

وأشكر أيضاً المحامي القدير الأستاذ عبد العزيز الخلفي الذي تولى المرافعة والدفاع، وبَيّن براءة ساحتي، بالأدلة المقنعة الكثيرة والوفيرة والمتواترة، والحمد لله لا ينقصني هذا.

أحببت أيّها الإخوة أن أعرفكم بهذا، وأقول: إنّ الله دائماً يحقّ الحق، ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيدْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

نسأل الله أن يُسخرنا ويُجنّدنا لخدمة دعوته، ونصرة رسالته، وخدمة شريعته، وتأييد أمته، وإعلاء كلمته في الأرض، اللهم آمين.



اللهم افتح لنا فتحًا مبيّنًا، واهدنا صراطًا مستقيمًا، وانصُرنا نصرًا عزيزًا، وأتمّ علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينة، وانشر علينا فضلك ورحمتك، اللهم هبّ لنا من أمرنا رشدًا، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم إنّنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلنا وأموالنا، اللهم استُر عوراتنا، وآمن رُوعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيّماننا وشمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا، اللهم إنّنا نسألك أن تعزّ الإسلام وتنصر المسلمين، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود الغاصبين المعتدين، اللهم انصرنا على حلفائهم من الصليبيين الحاقدين الكائدين، اللهم انصرنا على كل أعدائك أعداء الدين، اللهم رد عنا كيدهم، وفلّ حدهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللهم آمين.

\*\*\*



## قضية التنمية في ضوء الإسلام (٢) (١)

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

سَأَلْتُ بَعْضَ الشَّبَابِ مِنْ حَوْلِي: هَلْ عِنْدَكُمْ مَوْضُوعٌ أَخْطُبُ فِيهِ الْجُمُعَةَ؛ فَإِنْ مِمَّا يُحِيرُ الْخَطِيبَ أَنْ يَجِدَ مَوْضُوعًا جَدِيدًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فِيهِ وَلَا يَكْرُرُ نَفْسَهُ؟ فَاقْتَرَحَ عَلَيَّ بَعْضُهُمْ أَنْ أَتَحَدَّثَ فِي إِتْقَانِ الْعَمَلِ، وَقَالُوا: إِنَّ النَّاسَ أَصْبَحُوا الْآنَ يَهْمِلُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَلَا يُؤَدُّونَهَا بِمَا يَرْضَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حَتَّى فِي الْمَوْسَسَّاتِ الدِّينِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ لَا يَقُومُ النَّاسُ بِعَمَلِهِمْ كَمَا يَنْبَغِي؛ فَحَبَّذَا لَوْ حَدَّثْنَا عَنْ إِتْقَانِ الْعَمَلِ، وَوَجُوبِ إِتْقَانِ الْعَمَلِ.

قُلْتُ لَهُمْ: هَذَا الْأَمْرُ هُوَ تَكْمِلَةٌ لِلخُطْبَةِ السَّابِقَةِ، فَنَحْنُ قَدْ تَحَدَّثْنَا فِي آخِرِ خُطْبَةٍ عَنِ التَّنْمِيَةِ فِي دِيَارِنَا الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ، وَقُلْنَا: إِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَضُرُورَةٌ، فَرِيضَةٌ يَوْجِبُهَا الدِّينُ، وَضُرُورَةٌ يُحْتَمُّهَا الْعَصْرُ وَالْوَقَاعُ.

التَّنْمِيَةُ مَطْلُوبَةٌ؛ فَنَحْنُ مَا زَلْنَا مَعْدُودِينَ فِي الْبِلَادِ الْمُتَخَلِّفَةِ الَّتِي يَسْمُونَهَا (نَامِيَّةً)، وَهِيَ لِلْأَسَفِ لَا تَنْمُو النَّمُو الْمَطْلُوبُ، نَرِيدُ أَنْ نَنْمِيَ

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدُّوحَةِ، بِتَارِيخِ ٢٩ أَبْرِيلِ ٢٠٠٥ م.



أنفسنا، وننمي بلادنا: ننميها اقتصاديًا، وننميها بشريًا، وننمي اقتصادنا، وننمي عمراننا، وننمي إنساننا، والإنسان هو هدف التنمية وصانعها.

### العمل والتنمية:

ولا يمكن أن تتم التنمية إلا بالعمل، ولا يمكن أن يتحقق الرخاء إلا بالعمل، ولا يمكن أن نخرج من سجن التخلف إلا بالعمل: العمل المتقن، والعمل الدائب.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ قَانُونَهُ فِي الْأَرْضِ لِلْسِّيَادَةِ وَالتَّقَدُّمِ هُوَ الْعَمَلُ، وَضَمِنَ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَرْزَاقَهُمْ، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، هكذا تكفل الله للناس بأرزاقهم، ولكن اقتضت سنته وَعَلَى لَا يُنَالُ الرِّزْقُ إِلَّا بِالسَّعْيِ وَالْعَمَلِ.

الأرض فيها مخزونٌ يكفي الناس، كما قال تعالى: ﴿وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]. الأقوات مُقَدَّرَةٌ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ﴾ [الأعراف: ١٠].

هناك ثروات بحريّة، وثروات بريّة، وثروات زراعيّة، وثروات صناعيّة، وثروات معدنيّة، كل ما في الكون مُسَخَّرٌ لِلْإِنْسَانِ، ما في الأرض وما في السماء، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، حتّى عالم الأفلاك مُسَخَّرٌ لِلْإِنْسَانِ، الآن يريدون أن يستفيدوا من الطاقة الشمسيّة، فكل شيء مُسَخَّرٌ لِلْإِنْسَانِ، ويستطيع أن ينتفع به.

ظهر في القرن الماضي اقتصاديٌّ غربيٌّ من المتشائمين اسمه (توماس مالتوس)، يقول: إِنَّ البشريَّةَ توشك أن تُهدَّدَ بالفناء؛ بناءً على نظريَّةَ اقتصاديَّةٍ تقوم على أساس الندرة في الأشياء، والندرة في الموارد الاقتصاديَّة. ويقول: إِنَّ الموارد تزيد بمتوالية حسابية: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة وهكذا، أمَّا حاجات النَّاس ومطالبهم فتتزايد بمتوالية هندسية: واحد، اثنان، أربعة، ثمانية، ستَّة عشر، اثنان وثلاثون وهكذا، فهي تزداد زيادة خطيرة، ليست مناسبة لزيادة الموارد. ويقول: إِنَّ الأمر إذا استمر على ذلك فستزول البشريَّة نهائياً. ولذلك كان يدعو إلى تحديد النسل، وتقليل أعداد البشر.

ولو صدقت نبوءة (مالتوس) لفني العالم، لأنَّه ظهر في القرن التاسع عشر، ونحن الآن في القرن الحادي والعشرين، ولم تمت البشريَّة ولم تفن؛ لأن الله ﷻ هيَّا لهذه البشريَّة أرزاقها، في البحار أشياء لم يكتشف النَّاس منها إلا القليل.

ولكن لا يستطيع النَّاس أن يستفيدوا من الموارد إلا بالعمل، النظرية القرآنيَّة ليست هي الندرة في الموارد، بل الوفرة في الموارد، ﴿وإنَّ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ [النحل: ١٨]، كل شيء مُهيَّأ، ولكن الإنسان يحتاج إلى عمل، يمكن أن يزيد موارده بتحسين النوعية، فبدل أن ينتج الفدان خمسة أرادب ينتج عشرين إردبا، وهذا أمر جرَّبه النَّاس، يُحسِّن البذرة، ويُحسِّن التربة، ويُحسِّن الرعاية، ولكن هذا يحتاج إلى عمل.

### العمل في الإسلام:

العمل مطلوب، ولا يوجد دين حثَّ أمَّته على العمل كالإسلام. العمل الاقتصادي في نظر الإسلام عبادة وجهاد، أن تعمل ببدنك

وعقلك، أن تبذل جهداً واعياً لتحقيق منفعة أو سلعة أو خدمة: يُعتبر في نظر الإسلام صلاة وعبادة، ويعتبر من ناحية أخرى جهاداً في سبيل الله، الأرض كلها محراب للمؤمن، مسجد كبير.

### العمل للنفس والأهل:

ليست العبادة أن تصفّ قدميك في المسجد فقط؛ بل إذا سعت على معاشك، وكددت يمينك، وأعرقت جبينك في سبيل أن تحصل على عيش حلال؛ فهذا عبادة لله ﷻ، وهو في الوقت نفسه جهاد في سبيل الله.

مرّ رجل على أصحاب رسول الله ﷺ فصعدوا فيه النظر وصوبوه؛ فوجدوه رجلاً جلدًا نشيطًا، مفتول الذراعين، قويّ البنية، فقالوا: لو كان جلدُ هذا الرجل ونشاطه في سبيل الله! تمنوا أن تكون هذه القوة وهذا الجلدُ في الجهاد في سبيل الله، فقال لهم النبي ﷺ: «إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى أَبوين شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صَغَارًا يَعُولُهُمْ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى زَوْجَةٍ يَعْفُهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعْفُهَا عَنِ الْحَرَامِ وَيُغْنِيهَا عَنِ النَّاسِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى رِيَاءً وَمُكَاثَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»<sup>(١)</sup>.

إذا كان الرجل يعمل من أجل أسرته - أبوين أو زوجة أو أولاد - فهو في سبيل الله، وإن كان يعمل حتّى لإغناء نفسه فهو في سبيل الله، فالعمل من أجل النفس جهاد في سبيل الله، وكذلك العمل من أجل أسرته، كما

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢٩/١٩)، وفي الأوسط (٦٨٣٥)، وفي الصغير (٩٤٠)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٣٥/٢): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٧٠٩): رواه الطبراني في الثلاثة، ورجاله الكبار رجال الصحيح. عن كعب بن عجرة.

رأينا سيّدنا موسى ﷺ حينما سقى للفتاتين في مدين، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، أبوهما شيخ كبير؛ فقامت الفتاتان برعاية الغنم وسقايتهما لأن أمر الأسرة أصبح عبئًا عليهما وواجبًا عليهما، فالإنسان يعمل من أجل نفسه وأسرته.

### العمل للمجتمع:

وإذا كان المجتمع محتاجًا إلى العمل، فعلى الإنسان أن يقوم بهذا العمل من أجل مجتمعه، ومجتمعنا يحتاج إلى تجديد كل الطاقات، أن نُجند طاقاتنا البشرية كلها لننمي مجتمعنا، لننهض به، لنرقى بحياته.

ونحن نرى أممًا من حولنا تُجند رجالها ونساءها وشبابها حتى تنمو نموًا حقيقيًا مثل الصين، الصين مليار وربع مليار من البشر، تكاد تقارب عدد المسلمين في العالم جميعًا، لم تعتبر أن هذا العدد مشكلة، ولكن جندت هؤلاء جميعًا ليعملوا في خدمة الزراعة والصناعة وتطوير الحياة، واستطاعت الصين أن تغزو أوروبا، وتغزو أمريكا، وتغزو العالم كله بمنتجاتها الرخيصة المتقنة، التي يحتاج إليها الكثيرون.

هكذا كانت الصين، وهكذا صارت كوريا، وهكذا كانت بلاد من حولنا، ونحن لا نزال في مكاننا، نسير ونسير كالثور في الطاحونة أو في الساقية، والمكان الذي انتهينا إليه هو الذي ابتدأنا منه، لم ندخل عصر الصناعة؛ لماذا؟ لأننا لا نتعبّد لله بالعمل، لا نعمل العمل الواجب.

وقد ذكرت لكم من قبل أن إحصاء تمّ في أحد البلاد العربيّة عن متوسط ما يقوم به الموظفون من العمل يوميًا فوجد أنه حوالي سبعة وعشرون دقيقة! كيف تنهض أمة لا يعمل أبناؤها؟ يجلسون على

مكاتبهم يشربون القهوة، ويقرؤون الصحف، ويتسلون بالكلام،  
و(يُنْكَتُون) ويلعبون! هل هذه أمة جديرة بالتقدم؟

### العمل المستمر:

لا يمكن أن تنهض أمة وترقى إلا بالعمل الدائب، العمل الذي يُجهد  
الإنسان ويشعر أنه أدى واجبه، ويعود إلى بيته مهدود القوى مُتعباً من  
عمله، جاء في بعض الأحاديث: «من أمسى كالأ - مُتعباً - من عمل يده  
أمسى مغفوراً له»<sup>(١)</sup>. أن يكلّ ويتعب من العمل، نحن لا نتعب من العمل،  
القليلون منا هم الذين يتعبون من العمل، فلا بدّ أن تتعب الأمة في عملها.

### العمل الحسن:

من المهم أن يتعب الإنسان في عمله، وأن يتقن عمله، أن يحسنه،  
كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن  
شدّاد بن أوس: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فإذا قُتِلْتُمْ فأحسنوا  
القِتلَةَ، وإذا ذُبِحْتُمْ فأحسنوا الذِّبْحَةَ»<sup>(٢)</sup>.

كتب: أي فرض، فرضية مؤكدة موثقة، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ  
عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨].  
والإحسان: أي الإتقان والإحكام. فرض الله الإحسان على كل شيء، كل  
عمل، سواء كان عملاً دينياً أم عملاً دنيوياً، عملاً لنفسك أم عملاً لغيرك  
بالأجر، ما دمت تأخذ أجرك، فلا بدّ أن تُحلّل اللقمة التي تأكلها، حتّى

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٥٢٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٢٣٨): رواه الطبراني  
في الأوسط، وفيه جماعة لم أعرفهم. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٤٨٥)، عن  
ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)

لا تدخل بطنك لقمة من حرام، أو يدخل جيبك درهم من حرام، اشتغل، اعمل، أتقن عملك.

إحسان العمل أيها الإخوة فريضة إسلامية، واجب ديني، «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ أَحَدَكُمْ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ»<sup>(١)</sup>، نحن نقرأ القرآن، ونقرأ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧]، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. ونحن نظن أن المحسنين هم فقط الذين يعطفون على الآخرين، لا، بل الإحسان له هذا المعنى، وله المعنى الآخر: الإتيان.

هناك الإتيان في العبادة كما قال النبي ﷺ عن الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»<sup>(٢)</sup>. هذا إحسان في العبادة، وهناك إحسان في العمل أيضًا، أن تتقن عملك، تتقن صناعتك، هذا أمر يأمر به الإسلام، أن يكون عملك حسنًا مُتَقَنًَّا.

### العمل الأحسن:

بل أكثر من ذلك: الإسلام لا يكتفي بأن يكون عملك حسنًا، يريد منك أن يكون عملك أحسن، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥]، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

يريد منك أن ترنو دائمًا، وتتطلع أبدًا إلى الأحسن، ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

(١) سبق تخريجه ص ٧٣.

(٢) متفق عليه رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.



إذا كانت هناك طريقتان: طريقة حسنة وجيدة، وطريقة أحسن منها وأجود؛ فلا تقرب مال اليتيم إلّا بالطريقة التي هي أحسن، تثمره وتنميّه بأحسن الطرق وأجودها، قال هذا بالنسبة لليتيم؛ لأن الإنسان قد يهون عليه أن يهمل مال غيره، أمّا مال نفسه فالإنسان بحكم الفطرة البشرية لا بدّ أن يعمل على إتقانه وتنميته بأحسن الطريق.

يريد الإسلام منّا أن نعمل ونتقن العمل لأنفسنا ولأسرنا، ولمجتمعنا ولأمتنا، لا يمكن أن ترقى أمتنا، وأن تتبوأ مكانتها تحت الشمس، وأن يكون لها دورها في هذا العالم إلّا بالعمل.

### شروط اعتبار العمل عبادة وجهاداً:

العمل عبادة لله، والعمل جهاد في سبيل الله، وإنّما يكون العمل عبادة وجهاداً بشروط:

#### ١ - النية الصالحة:

أول هذه الشروط: النية الصالحة، أن تقصد بهذا العمل أن تعفّ نفسك، وتنفع غيرك، وتنهض بمجتمعك، وترقى بأمّتك، وتساهم في خدمة الإنسانية كلها بهذا العمل، هذا أمر مهم، بهذه النية يصبح عملك عبادة وجهاداً، «إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكل امرئ ما نوى»<sup>(١)</sup>.

#### ٢ - إتقان العمل:

الشرط الثاني: أن تتقن عملك، أن تؤدّيه بإحكام وإتقان؛ فإنّ الله كتب الإحسان على كل شيء، العمل الذي لا يُتقن، عمل الإنسان المهمل غير

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر.

مقبول عند الله ولا عند الناس، ولذلك القرآن يقول: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]. هذا يشمل عمل الدنيا وعمل الآخرة، اعمل فسيرى الله عملك هذا ورسوله، والمؤمنون من حولك سيرون عملك هذا، وسيحكمون لك أو عليك، وسيحاسبك الله عليه يوم القيامة، فالشرط الثاني هو إحسان العمل، وإتقان العمل.

### ٣ - رعاية حدود الله:

الشرط الثالث: أن تراعي فيه حدود الله، فلا تخون، ولا تغش، ولا تعتدي على حق غيرك، الرسول ﷺ يقول: «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا»<sup>(١)</sup>. إذا كنت صاحب العمل، أو موظفًا عنده فغششت في عملك؛ فلا يمكن أن يكون هذا العمل عبادة أو جهادًا.

### ٤ - عدم الانشغال بالعمل عن أداء حقوق الله:

الشرط الرابع: ألا يشغلك هذا العمل عن واجبك نحو ربك، كما وصف الله تعالى رواد بيوته فقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

الذين يعمرن المساجد ليسوا دراويش متعطلين، ولا رهبانًا متبطلين، إنما هم رجال أعمال، ولكن لا تلهيهم أعمالهم عن حقوق الله عليهم، وإلا باؤوا بالخسران، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠١)، وأحمد (٧٢٩٢)، عن أبي هريرة.

ينبغي للمؤمن أن يراعي هذه الشروط حينما يؤدي عمله حتى يكون عبادة لله، وجهاداً في سبيل الله.

نحن أيها الإخوة في حاجة إلى أن نرقى بأمّتنا، أن نخرج من سجن التخلف، أن نصبح أمة تأكل من رزق الله في رخاء وسعة.

بعض الناس يفهمون من الآيات الكريمة في القرآن التي ذكرت الرخاء والغنى وسعة الرزق أنها مبنية على الإيمان والتقوى والاستقامة والصلاح، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ﴿وَالْوِاسْطُونَ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَا أُسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

وفهموا أنّ الاستقامة والصلاح والإيمان والتقوى يعني أن تؤدي الصلوات، وأن تذكر الله ذكراً كثيراً، وتسبحه بكرة وأصيلاً، هذا مطلوب وهو جزء أساسي وجوهري من الدين، ولكن لكي تكون مؤمناً وتقياً وصالحاً ومستقيماً لا بد أن تأخذ بالأسباب، أن تراعي سنن الله في الكون.

إنّ الله لا يمكن أن يعطي الدنيا لعاطل متبطل: لا يعمل شيئاً، أو يعمل عملاً غير مُتَقَنٍّ، هذا مخالف لسنن الله في الكون، مَنْ زرع حصداً، وَمَنْ جَدَّ وجد، وَمَنْ غرس جنى، هذه سنن الله في الأرض، إذا عمل بها يهوديٌّ أو نصرانيٌّ أو وثنيٌّ فإنه سيجني الثمرة، أمّا إذا تقاعس الإنسان المسلم ولم يؤدِّ العمل كما ينبغي؛ فإنه محروم من هذه الثمرات.

الإيمان والتقوى حقاً أن تعمل، وتدأب في العمل، وتراعي فيه حقوق الله وحقوق الناس، وتستقيم على ذلك، وتحسن عملك حقاً حتى تدخل في دائرة العالم العامل المتقن المتقدم؛ كيف ننافس الآخرين ونحن قاعدون وهم عاملون، ونحن نائمون وهم مستيقظون، ونحن هازلون وهم جادون؟ هيهات.

### الاختلاف في أفضل الأعمال:

إنَّ الإسلام حثنا على العمل، حتَّى إِنَّ الفقهاء اختلفوا: أي الأعمال أفضل: الزراعة أم الصناعة أم التجارة؟ ذلك أَنَّ هناك نصوصاً؛ فأخذ كل واحد نصّاً منها وبنى عليه رأيه، قال بعضهم: الزراعة أفضل الأعمال، لأن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً؛ فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»<sup>(١)</sup>.

وقال آخرون: لا، بل الصناعة أفضل الأعمال، لأن النبي ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»<sup>(٢)</sup>. أتى الله سيّدنا داود النبوة والمُلْك، ومع هذا لم يعتمد على مُلكه، كان يأكل من عمل يده، كانت عنده صنعته كما قال القرآن: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]. صنعة الدروع التي يلبسها المحارب عند اللقاء في الحرب، يستر بها صدره من ضربات الرماح، ورميات النبال، فكان يصنع هذه الدروع ويتقنها ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ \* أَنِ اعْمَلْ سَبِغَتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، عن المقدام بن معد يكرب.

بعض الناس يقول: ألان الله له الحديد عن طريق المعجزة. لا، بل عن طريق الصهر والطرق والسنن الكونيّة، ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١]، اصنع الدروع، وأتقن صنعها: عقدة وراء عقدة، وحلقة وراء حلقة، فأخذ بعض العلماء من هذا الحديث أنّ الصناعة - خصوصاً صناعة الحديد - أفضل الأعمال. وقال آخرون: لا، بل التجارة أفضل الأعمال، لأن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ التَّاجِرُ الصَّدُوقُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ»<sup>(١)</sup>. وهذه منزلة كبيرة، فقالوا: التجارة أفضل.

### الحاجة معيار الأفضلية:

وقال المحققون والراسخون من العلماء: ليس هناك عمل أفضل من غيره بإطلاق، العمل الذي يحتاج إليه المجتمع أكثر من غيره هو أفضل الأعمال. إذا كانت الأمة في حاجة إلى الأقوات، وعندها أراضٍ لم تُزرع، وهي في حاجة إلى القوت؛ حتّى لا تحتاج إلى أعدائها ليمدوها بالرغيف اليومي والقوت اليومي: كانت الزراعة أفضل، يجب أن تتعلم الأمة كيف توفر أقواتها! وممّا يؤسف له أنّ أمتنا تستورد أكثر من نصف أقواتها وهي أمة زراعيّة في غالبها.

وإذا كان الناس يحتاجون إلى الصناعة، سواء كانت صناعة مدنيّة أم صناعة حربيّة عسكريّة؛ فإنّ الصناعة تكون أفضل من غيرها، حتّى تكتفي الأمة اكتفاءً ذاتيّاً.

(١) رواه الترمذي (١٢٠٩)، وقال: حديث حسن. والدارمي (٢٥٨١)، والدارقطني (٢٨١٣)، والحاكم (٦/٢)، وحكم عليه بالإرسال، جميعهم في البيوع، وحسّنه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٤٧٨/٤ - ٤٧٩)، وقال الذهبي في الميزان (٤١٣/٣): جيد الإسناد صحيح المعنى. وقال الألباني في صحيح الترغيب (١٧٨٢): صحيح لغيره. عن أبي سعيد الخدري.

أمّا ألا تنتج الأمة شيئاً في الصناعات: إذا كانت هناك سيارة تستوردها، أو قطاراً تستورد ماكيناته، كل الموتورات تستوردها، وتستورد الصناعات العسكرية كذلك، لا تصنع دبابة، ولا تصنع طائرة، ولا تصنع صاروخاً، الأمة في كل هذا عالة على غيرها، لو كفّ خصومها عن بيع السلاح لها وقفت شلّاء لا تستطيع أن تفعل شيئاً، عندها المليارات، ولكن المليارات لا تحارب بنفسها، فإذا كانت حاجة الأمة إلى الصناعة أكثر: تكون الصناعة أفضل الأعمال.

وإذا كانت الأمة غنية بزراعتها وصناعاتها، ولكنها في حاجة إلى من يُحرّك هذه المصنوعات لبيعها للغير، ويستورد الأشياء التي تحتاج إليها: تكون التجارة في هذه الحالة أفضل الأعمال، هكذا رأينا فقهاءنا ينظرون إلى هذه الأمور.

### مصادر القوة ومقومات النهوض:

نحن أمة غنيّة والحمد لله، أمّتنا ليست أمة فقيرة؛ بل عندها من الموارد ومن المقومات ما يجعلها أمة رائدة سائدة، ولكن للأسف لم نستغل هذه المقومات التي نملكها.

### ١ - القوة البشرية:

نحن أمة عندنا أكثر من مليار من البشر، قوّة بشرية، ونحن نستعين بهذه القوّة البشرية، مع أنّ الله تعالى يقول: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]. اعتبر الكثرة نعمة يُمتن بها، والشاعر العربي يقول: وَلَسْتُ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصَى وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَأْثِرِ<sup>(١)</sup>

(١) القائل: الأعشى، كما في الرسائل السياسية للجاحظ ص ٤٢٧، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت.



ويقول الآخر:

ملأنا البرَّ حتَّى ضاقَ عنا ونحنُ البحرَ نملؤه سفِيناً<sup>(١)</sup>  
هكذا يقول الشاعر الجاهلي.

## ٢ - القوَّة الاقتصادية:

وعندنا قوَّة اقتصادية، عندنا سهول زراعية واسعة في آسيا وأفريقيا، وسائر بلاد العالم الإسلامي، وعندنا معادن لا توجد عند غيرنا، يكفي النفط الذي كاد أن يصبح إسلامياً، البلاد الإسلامية تملك هذه الثروة النفيسة الهائلة، عندنا معادن أخرى كثيرة، وعندنا ثروة بحريَّة كبيرة، عندنا البحار والمحيطات التي نُطلُّ عليها، وعندنا بحيرات وأنهار في الداخل.

عندنا هذا كله، ولكننا لا نتكامل فيما بيننا، كانت التجارة البينية فيما بيننا منذ عدة سنوات من سبعة (٧٪) إلى ثمانية في المائة (٨٪)، أمّا بيننا وبين أوروبا وأمريكا فحدّث ولا حرج، الأمّة لا يُكَمَّل بعضها بعضاً، بل يبخل بعضها على بعض، فنحن عندنا هذه الموارد المذخورة في باطن الأرض، والمنشورة على سطح الأرض.

## ٣ - القوَّة الحضاريَّة:

وعندنا القوَّة الحضاريَّة، نحن ورثة الحضارات، كل الحضارات القديمة نبتت في أرضنا في بلادنا، الحضارة الفرعونيَّة في مصر، حضارة السبع آلاف سنة، والحضارة الفينيقيَّة في بلاد الشام، والحضارة الأشوريَّة والبابليَّة في العراق، والحضارة الفارسيَّة في إيران، والحضارة القرطاجيَّة

(١) ديوان عمرو بن كلثوم ص ٩١، من معلقته، تحقيق إميل بديع يعقوب، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.

في بلاد المغرب، والحضارة الهندية في الهند، حضارات العالم كلها نحن ورثتها.

كما أنّ بلادنا مهبط النبّوات العظيمة: نبوّة موسى، ونبوّة عيسى، ونبوّة مُحَمَّد كلها نبتت في هذا الشرق، من أين جاءت المسيحية الأوروبية؟ من بلاد الشرق، وقف المسيحيون قريبًا يهنؤون البابا الجديد أو يُعزّون البابا الراحل في ساحة القديس بطرس؛ فَمَنْ هو القديس بطرس؟ هو رجل شرقي من بلادنا هنا.

نحن نملك هذا العمق الحضاري الذي لا يوجد عند أمة من الأمم، احتفلت أمريكا منذ سنوات بمرور مائتين سنة على استقلالها، ونحن أصحاب بلاد عمرها آلاف السنين، حتّى من قبل الإسلام، نحن ورثة الحضارات، وورثة الرسالات.

#### الرسالة الرابعة: الرسالة الخاتمة:

ثم نحن نملك الرسالة التي لا يملكها أحد، رسالة القرآن، رسالة الإسلام، الرسالة التي وصلت الأرض بالسماء، ووصلت المخلوق بالخالق، ووصلت الروح بالمادة، ووصلت العقل بالقلب، وألّفت بين الفرد والمجتمع، وآخت بين الطبقات بعضها وبعض، بين النزعة القومية والنزعة الإنسانية، هذه الرسالة المتكاملة المتوازنة التي لا يمكن أن ينقذ البشرية غيرها مما تعانيه، هذه الرسالة نحن وحدنا نملكها.

ونملك الوثيقة الإلهية السماوية التي لا يملكها غيرنا، لا يوجد أحد عنده وثيقة تحتوي كلمات الله الأخيرة للبشرية دون تحريف ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان إلّا نحن، نملك هذا القرآن العظيم،

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿ وَإِنَّهُ لَكِنْدٌ عَزِيزٌ ﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

### ضرورة العمل:

نحن وحدنا نملك مصادر القوة، ومصادر العزة، ومصادر السيادة، ولكننا لا نستغل هذه المصادر، لا نعمل، إذا كنا نريد أن نسود ونقود، ونعود كما كنا فلا بد من العمل.

لا يكفي أن نتغنى بأمجادنا، أنا كنا وكنا، أو أن نقف على الأطلال وننوح ونبكي، لا يكفي هذا ولا هذا، لا النواح ينفعنا، ولا التغني بالأمجاد يُجدينا، إنما الذي يُجدينا هو العمل، والعمل الدؤوب، والعمل المُتقن.

بهذا وحده أيُّها الإخوة نستطيع أن نحقق آمالنا، وأن نرقى بأممتنا، وأن ننافس غيرنا، وأن نتفوق عليه، لأنَّ عندنا ما ليس عند غيرنا، عندنا من محركات الإيمان، ومن حوافز الرغبة فيما عند الله والخوف منه، ومن مصادر القوة، عندنا من هذا ما يجعلنا نتفوق على مَنْ سِوانا

نسأل الله ﷻ أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا؛ إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

\*\*\*

## الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

### دعوة البابا الجديد للحوار:

قرأنا في الصحف ما ذكره البابا الجديد الذي اختير بعد رحيل البابا يوحنا بولس الثاني، وهذا أمر نغبط به المسيحيين، أَنَّهُمْ يَخْتَارُونَ قيادتهم بأنفسهم، ولا تُفرض عليهم، صرَّح البابا أَنَّهُ يَرْحَّبُ بِتَقَدُّمِ الْحَوَارِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَسِيحِيِّينَ، وَأَنَّهُ حَرِيصٌ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، وَعَلَى أَنْ يَنْمُو أَكْثَرُ وَأَكْثَرُ.

ونحن بالتالي نرحب أيضاً بهذا الأمر، فنحن لسنا عدوانيين، نحن دعاة التَّسامح في العالم كله، ونحن نعتبر المسيح وأُمَّهُ كَمَا قَالَ الْقُرْآنُ: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]. وكما قال: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]. وذكر القرآن الإنجيل فقال: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦]. وذكر النصارى فقال: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ [المائدة: ٨٢].

ولذلك نحن نرحب بالحوار الإسلامي المسيحي، لتتواصل معاً، ونتفاهم فيما يكون من خير الإنسانية كلها، وخصوصاً خير أصحاب الإيمان، هناك هجمات للماديين والملاحدة والإباحيين، ويجب أن يقف أهل الإيمان بالله صفًا واحدًا ضد هذه الهجمة الإلحادية الإباحية التي تتنكر للأديان كلها، وتريد أن تبيح العُري، وتبيح العهر، وتبيح الشذوذ،

وتبيح الزواج المثلي، وتبيح الإجهاض، وتبيح العلاقات الجنسية بإطلاق؛ بلا قيود وبلا ضوابط! يجب أن يقف أهل الأديان جميعاً ضد هذه الموجة.

كما يجب أن يقفوا أيضاً ضد المظالم التي تقع على بعض الشعوب، مثل ما يقع على أهل فلسطين، وما يقع على أهل العراق، وما يقع على غيرهم في أي مكان، يجب أن يقولوا: نحن مع العدل، ونقف ضد الظلم.

لهذا نرغب بالحوار الإسلامي المسيحي، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. نحن مأمورون بهذا الحوار بالتي هي أحسن مع أهل الكتاب، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، ولذلك رفضت الحوار مع اليهود لأنهم ظلمونا أشد الظلم، شتتوا شعبنا في فلسطين، وأخرجوهم من ديارهم بغير حق، شتتوهم في الآفاق واحتلوا ديارهم، بالعنف والدم والحديد والنار، ولذلك لا حوار بيننا وبين اليهود.

نحن نحاور المسيحيين، ونرغب بما ذكره البابا في هذا الجانب، ونمد أيدينا إليه لأننا نريد السلام والخير للإنسانية، الإسلام هو أول من دعا إلى السلام، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

نسأل الله أن يهدينا إلى ما في الخير للمسلمين وللإنسانية كلها، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً ووقفنا لاجتنابه، اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا

في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهم اختتم بالصالحات أعمالنا، وبالسعادة آجالنا، وبلغنا ممّا يرضيك آمالنا، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين، واجعلنا للمتقين إمامًا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللهم آمين.

\* \* \*







## قيمة العدل في الإسلام<sup>(١)</sup>

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

أحدثكم اليوم عن قيمة أخلاقية عظيمة، وفريضة إسلامية كبرى من فرائض الإسلام وقيمته، هذه القيمة هي قيمة العدل.

### العدل هدف الرسالات:

اعتبر القرآن الكريم العدل هدف الرسالات السماوية كلها، فكل الرسل والأنبياء بعثهم الله ليقوموا العدل أو القسط بين الناس، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

أرسل الله الرسل جميعاً بالبينات والآيات والمعجزات الدالة على صدق نبوتهم وصحة رسالتهم، وأنزل معهم الكتاب والميزان، الكتاب الذي يتضمن النصوص الإلهية، والميزان الذي هو أساسه العقل الإنساني، الذي يزن بين الأشياء ويقارن بينها، ويعرف الصواب من

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٥م.

الخطأ، ويحسن الفهم عن الله ورسوله، ويصول ويجول في الكون وينتفع به، كما أراد الله ﷻ، كل هذا ليقوم الناس بالقسط، والقسط هو العدل، ليتحقق العدل في الأرض.

الإنسان مُستخلف في هذه الأرض، ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، استخلف آدم وذريته في هذا الكوكب، فكيف يقومون بحق هذه الخلافة؟ أن يعمرُوا هذه الأرض، ويحكموها بالحق والعدل، هذا هو العدل الذي أمر الله به، وبعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وقامت من أجله سوق الجنة والنار، أيعدل الناس أم يظلمون؟

### التوازن أصل العدل:

وأصل العدل: أن تعدل بين شيئين، توازن بينهما، كالعدل بين غرارتي الجمل، إذا كان للجمل غرارتان واحدة في اليمين وواحدة في اليسار، فلا يُعقل أن تملأ واحدة وتترك الأخرى فارغة، لا بد أن توازن بينهما، فالموازنة هي أصل العدل، بحيث تُعطي كل ذي حق حقه، فإعطاء كل ذي حق حقه هو العدل.

### العدل الإلهي:

والعدل من أسماء الله تبارك وتعالى، فمن أسماء الله الحسنى أنه الحكم العدل، عادل في كل شيء، لا يظلم ربك أحداً، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

وقد ندرك العدل الإلهي بأدنى تأمل، وقد لا ندركه، يعلمه مَنْ يعلمه، ويجهله مَنْ يجهله، ولكن ثِقْ أَنَّ الله تعالى عادل في كل شيء، قد يحرم إنساناً من شيء ويعوّضه بشيء آخر، وهو لا يدري! قد يحرمه

أمه وأباه ويعطيه شيئاً آخر، قد يعطيه الأولاد ويحرمه الأموال، فهناك عدالة إلهية.

ولذلك نحن مأمورون بأن نتخلق بأخلاق الله، نعدل كما يعدل الله في خلقه، الله لا يحابي أحداً من خلقه؛ لأنهم كلهم عبيده، لا يحابي الأغنياء ضد الفقراء، ولا الأقوياء ضد الضعفاء، ولا الرجال ضد النساء؛ لأن الأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، والرجال والنساء، والرعاة والرعية، والبيض والسود، والشرقيين والغربيين، كل هؤلاء مخلوقون لله، فهم مستوون عنده، ولذلك لا يتصور أن يظلم الله تعالى أحداً من خلقه لحساب آخرين، فالله هو العدل في كل شيء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

العدل مطلوب من المسلم في خاصّة نفسه، وفي محيط أسرته، وفي محيط مجتمعه، وفي المحيط الدولي، في كل الأطر مطلوب منه أن يقيم العدل، وأن يستمسك بالعدل، وألا يحدّ عن العدل.

### العدل مع النفس:

أوّل ما يُطلب العدل من الإنسان أن يعدل مع نفسه، بين قواه وملكاته المختلفة، اعدل بين روحك وجسمك، اعدل بين عقلك وعاطفتك، اعدل بين حقوقك وواجباتك، اعدل بين حظ نفسك في الراحة والمتعة وحقّ ربّك في العبادة والطاعة، اعدل في هذا كله، لا يجوز أن تُطغي العقل وتنسى العاطفة، ولا يجوز أن تُحكّم عواطفك وأهواءك في عقلك، بل ينبغي أن تكون عادلاً في كل شيء.

اعدل بين حظّ نفسك وحقّ ربك، حينما جار بعض الصحابة على حظوظ أنفسهم من أجل حقوق ربهم، زجرهم النبي ﷺ، وأوقفهم عند

المنهج الوسط، عند الصراط المستقيم، كان ذلك حينما سأل بعض أصحاب النبي ﷺ أزواجه أمّهات المؤمنين عن عبادة النبي ﷺ، ففهموا منه أنَّهُ يصوم بعض الأيام ويفطر بعض الأيام، ويقوم بعض الليل وينام بعض الليل، إلى آخره، فقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر الله له من ذنبه ما تقدّم وما تأخّر؟ هذا مقامٌ غير مقامنا، قال أحدهم: أمّا أنا فأقوم الليل ولا أنام أبداً: كل الليل. وقال الثاني: وأنا فأصوم الدهر فلا أفطر أبداً. وقال الثالث: وأنا فأعزل النساء فلا أتزوج أبداً.

بلغ النبي ﷺ مقالتهُم فقام خطيباً وقال: «أما إنّي أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنّي أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوّج النساء؛ فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»<sup>(١)</sup>. هذا منهجي؛ فمن حاد عن هذا المنهج، واتّخذ له منهجاً آخر يرسمه بهواه ويتّبع شيطانه ووساوسه فليس مني، لأن هذا خروج عن العدل، عن الصراط السوي.

كان عبد الله بن عمرو بن العاص رجلاً زاهداً، راغباً في الطاعة، ولكنه أسرف في هذا، حتّى إنّ أباه زوّجه من امرأة، وسألها يوماً: كيف حال عبد الله؟ قالت: نعم الرجل هو؛ إنّه صائم النهار قائم الليل. وهذا شكوى مُبطّنة، إذا كان يصوم النهار ويقوم الليل؛ فأين حق زوجته؟ فشكاه إلى النبي ﷺ، فاستدعاه رسول الله، وقال له: «يا عبد الله، ألم أخبر بأنك تصوم النهار وتقوم الليل؟». قال: بلى يا رسول الله، وما أردت بذلك إلا الخير. فطلب منه أن يختصر بعض هذا الجهد، وقال: «صم في كلّ شهرٍ ثلاثة، واقرأ القرآن في كلّ شهر». قال: أطيق أكثر من ذلك. قال: «صم ثلاثة أيّام في الجمعة». قال: أطيق أكثر من ذلك. قال: «أفطر يومين وصم يوماً». قال:

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

أطيق أكثر من ذلك. قال: «صم أفضل الصوم صوم داود: صيام يومٍ وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرّة»<sup>(١)</sup>.

وقال له النبي ﷺ أيضاً: «إِنَّ لَبَدْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»، أي في الراحة، «ولعينك عليك حقًّا»، أي في النوم، «ولأهلك عليك حقًّا»، أي في الإمتاع والمؤانسة، «ولزورك عليك حقًّا»، أي لزوارك ومجتمعك عليك حقًّا، «فأعط كل ذي حق حقه»<sup>(٢)</sup>.

كما أَنَّ لربك عليك حقًّا فلبدْنك ولعينك، ولأهلك ولزوّارك ولمجتمعك حقوق عليك، لا تستطيع أن توفّيها حقّها إذا أعطيت جانباً أكثر ممّا ينبغي، لأنّه لا يوجد إسراف إلّا وبجانبه حقٌّ مُضَيّع؛ فالتوازن بين الحقوق هو العدل، أن يكون الإنسان عادلاً مع نفسه. ولذلك قال النبي ﷺ لبعض أصحابه: «يا حنظلة، ساعة وساعة». حينما أراد أن يكون دائماً في حالة من السمو الروحي كما يكون عند النبي ﷺ، فقال له: «لو أنكم تدومون على الحال التي تكونون عليها عندي؛ لصافحتكم الملائكة في الطرقات، ولكن يا حنظلة، ساعة وساعة»<sup>(٣)</sup>. كما نقول في المثل: ساعة لقلبك وساعة لربك.

رأى الأصمعي امرأة في البادية تصلي خاشعة، فلما فرغت من الصلاة وقفت أمام المرأة تتجمل وتزين، فسألها: أين هذا من هذا؟ فأنشدت هذا البيت:

ولله عندي جانبٌ لا أُضيّعه      وللهو منّي والبطالة جانبٌ

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٥٢)، ومسلم في الصيام (١١٥٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه البخاري في الصوم (١٩٦٨)، عن أبي جحيفة.

(٣) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠)، عن حنظلة.

يقول: فعرفت أنّها امرأة متزوجة تتزيّن وتتحبّب لزوجها<sup>(١)</sup>. هذا لا حرج فيه.

ينبغي إذا أن يكون الإنسان عادلاً مع نفسه، لا يستسلم لأهوائه ونزعاته، ويترك واجباته، لا، بل ينبغي أن يوازن بين الحقوق والواجبات، بين حظ النفس وحق الله تبارك وتعالى.

### العدل مع الأسرة:

كما ينبغي أن يكون الإنسان عادلاً في أهله وأسرته، عادلاً مع زوجته، إن كان له زوجة واحدة يؤدي لها حقها، لا يتركها ويسهر في الملاهي أو مع أصدقائه، ولا يأتي لها إلا في آخر الليل، فالمرأة لها حقّ عليك، حتّى لو كانت امرأة واحدة، بعض النّاس يتزوّجون النساء ثمّ ينسونهن؛ كأنّما ليس لهن حقوقٌ عليهم، لا، الزوجة لها حق على زوجها كما أنّ لزوجها حقاً عليها، الحقوق متبادلة كما قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وإذا كان له أكثر من زوجة فيجب أن يعدل بين زوجاته، يسوّي بينهنّ في الأمور الظاهرة، فالشرع لا يقول: سوّ بينهن في العواطف أو في الميول، فتميل إليهن جميعاً بنفس الدرجة القلبية. لا، لا يملك أحدٌ هذا، وإنّما العدل في الأمور الظاهرة: في النفقة، في المأكل والمشرب والكسوة، والمسكن والمبيت، تبيت عند هذه ليلة؛ فتبيت عند الأخرى مثلها.

(١) نشر الدر في المحاضرات لأبي سعد الآبي (٧١/٤)، تحقيق خالد عبد الغني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، والتذكرة الحمدونية لأبي المعالي البغدادي (١٩٩/٧)، نشر دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.



كان النبي ﷺ يقسم بالعدل في الأمور الظاهرة، ثم يقول: «اللهم هذا قَسَمِي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك»<sup>(١)</sup>. يعني أمر القلب، افرض مثلاً أنه يميل لعائشة أكثر من أم سلمة؛ فهذا لا يعني أن أم سلمة ليست لها قيمة، ولكن هذه عواطف لا يملك الإنسان فيها شيئاً، القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

ولذلك العدل المطلق الكامل في كل شيء غير مُستطاع، كما أكد ذلك القرآن بقوله: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩]. ومعنى هذا أن بعض الميل مغتفر، وهو ما يتعلق بالعواطف والميول الجنسية ونحو ذلك.

والمعلقة هي المرأة المتروكة التي لا هي مُزوجة ولا هي مُطلقة، لا تأخذ حق المرأة المتزوجة، ولا يطلق سراحها فتستريح شأن المرأة المُطلقة، هذا ما يمنعه القرآن، «من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل»<sup>(٢)</sup>، فلا بدّ من العدل مع الزوجات.

ولا بدّ من العدل مع الأولاد، إذا كان إنسان عنده أولاد؛ فلا يجوز أن يجور على بعض أولاده لحساب البعض الآخر، يجور على البنات لحساب البنين، أو يعطي أحد الأولاد أكثر من غيره لأنّه يميل إليه أكثر،

(١) رواه أحمد (٢٥١١١)، وقال مخرّجوه: هذا إسناد رجاله ثقات، ورواه أبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، وقال: روي مرسلًا، وهو أصح، والنسائي في عشرة النساء (٣٩٤٣)، وابن ماجه (١٩٧١)، والحاكم (١٨٧/٢)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، جميعهم في النكاح، وقال الألباني في مشكاة المصابيح (٣٢٣٥): جيد، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (٧٩٣٦)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٢١٣٣)، والترمذي (١١٤١)، والنسائي (٣٩٤٢)، وابن ماجه (١٩٦٩)، جميعهم في النكاح، وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٥١)، عن أبي هريرة.

أو لأن هؤلاء من أولاد المرأة المحظية، وهؤلاء من أولاد المرأة الأخرى، هذا لا يجوز.

لا بدّ من العدل مع الأولاد في كل شيء، «اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»<sup>(١)</sup>، حينما أراد بشير بن سعد أن يهب ابنه النعمان بن بشير أكثر من غيره، وأراد أن يشهد رسول الله على ذلك، فسأله النبي ﷺ: «أَكُلُّ أَوْلَادِكَ أَعْطَيْتَهُمْ مِثْلَ هَذَا؟». قال: لا يا رسول الله. قال: «أَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ غَيْرِي؛ فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ»<sup>(٢)</sup>. هذا ظلم لا أشهد على هذه الوثيقة أو هذا السند؛ بإعطائه ملكًا لا يملك مثله إخوته الآخرون، وقال له: «أَتَحِبُّ أَنْ يَكُونَ أَبْنَاؤُكَ لَكَ فِي الْبَرِّ سَوَاءٌ؟». قال: نعم، يا رسول الله. قال: «فَاعْدِلْ بَيْنَهُمْ»<sup>(٣)</sup>. أمّا أن تعطي البعض وتحرم البعض الآخر؛ فمعناه أنك بذرت بذور الكراهية بين الأولاد: أن يحسد بعضهم بعضًا، وأن يحقدوا عليك أنت؛ لأنك ظلمت البعض لحساب البعض الآخر.

كان السلف الصالح يسوون بين أبنائهم في كل شيء حتّى في القُبَل، إذا كان له ولدان صغيران؛ فقَبَّلَ أحدهما قَبْلَ الآخر، أو احتضن أحدهما احتضن الآخر، أو حمل أحدهما حمل الآخر، يقولون: الولد الصغير لا يفهم هذا. لا، هو يفهم هذا بالإحساس بالفطرة، لو قَبَّلْتَ أخاه وتركته، غرست في قلبه نقطة سوداء، فكانوا يسوون بين أولادهم في كل شيء؛ حتّى في القُبَل!

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (١٦٢٣) (١٣)، كلاهما في الهبة، عن النعمان بن بشير.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٠)، ومسلم في الهبات (١٦٢٣) (١٤).

(٣) رواه مسلم في الهبات (١٦٢٣) (١٧).

والقرآن ذكر لنا قصة فيها عبرة، قصة يعقوب مع بنيه، حيث خصَّ يعقوب يوسف عليه السلام بمزيد من الحب هو وأخوه، وكان يعقوب معذورًا في هذا الحب، كما سُئل أحد الأعراب: أيُّ أبنائك أحب إليك؟ قال: صغيرهم حتَّى يكبر، وغائبهم حتَّى يحضر، ومريضهم حتَّى يُشفى.

ويوسف وأخوه كانا أصغر الأولاد، وكان الآخرون كبارًا، ثمَّ إنَّ أمهما ماتت؛ فاجتمع عليهما الصغر واليتم، ثمَّ إنَّ يوسف خصَّه الله بخصائص من الحسن والنباهة والنجابة، بدت عليه من صغره، والطفل الذكي والنبه يلفت أنظار أبيه وأقاربه بطبيعة الحال، فكان يعقوب معذورًا في هذا الحب، ولكنَّه مع هذا دفع ثمن هذا التوجه إلى يوسف أكثر من غيره، حين تأمر عليه إخوته وقالوا: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ٩]. وجه أبيكم ذهب إلى هذا الطفل، وتركنا جميعًا ونحن عصبه.

العدل في الأسرة مطلوب أيُّها الإخوة، العدل مع الأرحام والأقارب، أن يعدل الإنسان مع أقاربه ولا يتحيز لبعضهم دون بعض، ولا يصنع مكيدة لهؤلاء ضد هؤلاء.

### العدل مع المجتمع:

ثم هناك العدل في المجتمع، يجب أن يسود العدل في كل شيء في المجتمع، العدل في القول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

والعدل في كتابة الدين وغيره: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاسْكُتُوا وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والعدل في الشهادة: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾  
[الطلاق: ٢].

والعدل في الإصلاح بين المتخاصمين: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي  
حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]. لا تتحيزوا لطائفة ضد طائفة؛ فهذا يفسد  
العلائق بين الناس.

والعدل في الحكم في القضاء: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ  
أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

والعدل في الإسلام للقريب والبعيد، للصديق والعدو، لمن تحب  
ولمن تكره، للمسلم ولغير المسلم، لا تمنعك عاطفة الحب لصديق أو  
قريب: أن تحكم بالعدل ولو عليك، ولو ضدك، الله تعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ  
وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]. حتى لو ضد أبيك أو أخيك أو ابن عمك، فليس  
الأمر كما كان في الجاهلية، ولا كما يقول الناس: (أنا وأخي على ابن  
عمي، وأنا وابن عمي على الغريب). لا؛ أنت مع الحق، ولو كان هذا  
الحق على أبيك أو على نفسك.

قل الحق وإن كان مرًا، قله ولو كان على نفسك، ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ  
فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥]، حتى الفقير  
لا تتحيز له وتحكم لصالحه لأنه فقير رافة به، لا، فالله أولى بالفقير  
منك، عليك أن تقول الحق فقيرًا كان الذي أمامك أو غنيًا.

لا يمنعك كرهك لعدوك أو كرهه لك: أن تقول الحق وتحكم بالعدل، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، الشنآن: شدة البغض، لا يحملنكم بغضكم لهم، أو بغضهم لكم على عدم العدل، اعدل مع عدوك.

كان النبي ﷺ قد صالح يهود خيبر على أن يبقوا فيها، ويعملوا في نخيلهم ومزارعهم، ويكون لهم شطرها ولجماعة المسلمين شطرها، وكانت عادة العرب أن يُقدِّروا ثمار النخيل بطريق الخرص، أي: تقدير الخبراء التقريبي لما تحمل النخلة من تمر، كيلا أو وزنا؛ فعند الموسم يأتي الخبراء ليخرصوا نخيل اليهود، وكان من هؤلاء الخبراء سيّدنا عبد الله بن رواحة، فأراد اليهود على طريقتهم أن يرشوه، فغضب عليهم عبد الله وقال: ترشونني يا أعداء الله! والله إنّ رسول الله لأحب إليّ من نفسي، وإنكم لأبغض عندي من القردة والخنازير، ولكن هذا لا يجعلني أحيّف عليكم مثقال ذرّة. أي: أعطيتكم حقكم وأخذ منكم حق المسلمين، لا أجامل الرسول والمسلمين وأفرض عليكم فوق ما يجب، ولا أجاملكم وأترك لكم بعض ما يجب، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا هو العدل الذي به قامت السماوات والأرض<sup>(١)</sup>.

هذا هو العدل مع المسلم وغير المسلم، الله تعالى يقول: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]. وحُبُّ الله تعالى لأهل العدل تكرر في القرآن.

(١) رواه أحمد (١٤٩٥٣)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣٠٩٥)، وصحّحه الألباني في غاية المرام (٤٥٩)، عن جابر بن عبد الله.

وقد أمر الله رسوله ﷺ إذا حكم بين اليهود أن يحكم بينهم بالعدل: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]. هكذا يأمر الإسلام بالعدل مع غير المسلم.

وقد نزلت في القرآن تسع آيات في سورة النساء تدين بعض المسلمين الذين اتهموا يهوديًا بالسرقة وهو منها بريء، سرق واحد منهم فأراد بعضهم أن يبرئوا صاحبهم ويلصقوا التهمة زورًا برجل يهودي، وجاءوا إلى النبي ﷺ وعرضوا عليه القصة، وكاد النبي يصدقهم، ويحامي ويجادل عنهم ضد هذا اليهودي، ولكن القرآن كتاب العدل المطلق نزل يدافع عن هذا اليهودي في آيات تسع يقول الله فيها: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ \* وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَلَا تَجِدَلْ عَنِ الَّذِينَ يَحْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا \* يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٥ - ١٠٨]. إلى آخر هذه الآيات.

العدل أيها الإخوة هو الذي ميّز أمتنا في عصورها الأولى؛ فكانت أمة العدل والإحسان، خطباء الجمع يختمون خطبهم بهذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال المؤرخون: ما عرف التاريخ فاتحًا أعدل ولا أرحم من العرب<sup>(١)</sup>. كانوا أمة العدل، أقاموا العدل في كل بلد دخلوها، لم يُميّزوا

(١) حضارة العرب لجوستاف لوبون ص ٦٠٥، ترجمة عادل زعيتر، نشر دار إحياء الكتب العربية، =



بين مسلم وغير مسلم، وكثيرًا ما حكموا ضد المسلم لحساب غير المسلم، وقد رأينا عمر بن الخطاب الذي أنصف القبطي على ابن عمرو بن العاص.

### العدل الاجتماعي:

هناك ألوان من العدل يُركّز عليها الإسلام، هناك ما يسمّى (العدل الاجتماعي)، ويعنون به العدل في توزيع الثروة بين الناس بحيث تتكافأ الفرص للجميع، وتكون الأبواب مفتوحة للجميع، ولا يأخذ بعض الناس امتيازات على حساب الآخرين، ولا يحتكرون أشياء يتحكمون بها في رقاب الجماهير.

يجب أن تكون الثروة للجميع، كلٌّ منهم يعمل بجده وكده، واجتهاده وذكائه ونشاطه؛ ليحصل على جزء من الثروة، الناس تتساوى في هذا الحق، هذا هو العدل. لا يمكن أن يقبل الإسلام أن يجوع بعض الناس ويشبع آخرون، يشبع إنسان إلى درجة أن يضع يده على بطنه يشكو من زحمة التخمّة من كثرة الأكل، وآخر يضع يده على بطنه يشكو من عضّة الجوع، لا يجد القوت، يئنُّ من الجوع أنين الملسوع، هذا ليس عدلاً، العدل أن تكون الفرص متكافئة.

صحيح أن الله قَسَمَ الأرزاق، وأقرّ التفاضل بين الناس، ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١]، ولكن ليس معنى هذا أن يموت

= القاهرة، ط ٣، ١٩٥٦م، ونصّ عبارة جوستاف لوبون: «فالحقُّ أنَّ الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم».

بعض الناس، ويعيش بعض الناس في ترف ورفاهية، ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [النحل: ٧١]، فلا بد أن يتحقق العدل الاجتماعي فيكون مبدولاً للجميع.

وإذا نقص هذا العدل أو فقد من المجتمع: ظهرت هناك الثورات الحمراء، والمبادئ الهدامة والشيوعية، وهذه الفتن التي تستغل هذه الأوضاع، كما قال سيّدنا أبو ذر: إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر: خذني معك! يتعلق به، وخصوصاً إذا وُجد الفقر المدقع مع الثراء الفاحش، هناك مَنْ يلعب بالملايين، وهناك مَنْ لا يجد الملايين، هناك مَنْ يملك قصوراً تجري فيها الخيل، وهناك مَنْ لا يجد حجرة يبيت فيها هو وأهله، في بعض البلاد أسرة كاملة تعيش في (بدروم) من (بدرومات) العمارات، فالعدالة الاجتماعية مطلوبة في المجتمع المسلم.

بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابناً له اشترى خاتماً فضّه بألف درهم؛ فأرسل إليه كتاباً يقول فيه: بلغني أنك اشتريت خاتماً فضّه بألف درهم، فإذا بلغك كتابي هذا فبع خاتمك، وأطعم بثمانه ألف جاع، واشترِ خاتماً فضّه من حديد، واكتب عليه: رحم الله امرأً عرف قدر نفسه<sup>(١)</sup>. أي: هوّن من كبريائك، انزل عن هذا الغرور والعجب والتأله، عش مع الناس البسطاء، إنّما تهلك الأمم بشيوع الترف في فئة من الناس، على حين لا يجد الآخرون ما يقتاتون به.

لا بدّ من العدل الاجتماعي، ولهذا فرض الإسلام من الفرائض، وسنّ من التشريعات، ووجّه من التوجيهات والوصايا الأخلاقية ليحدّ

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٨٩/١٠)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

من طغيان الأغنياء، ويرفع من مستوى الفقراء، فالتعاليم الإسلامية تحد من طغيان الغني: تفرض عليه الزكاة، والزكاة هي أول الحقوق في المال وليست آخرها، في المال حقوق أخرى غير الزكاة: الجهاد بالمال، وإغاثة المضطر، «ليس منّا مَنْ بات شعبان، وجاره إلى جنبه جائع، وهو يعلم»<sup>(١)</sup>.

أترك جارك الجائع يموت، وتقول: أنا أخرجت الزكاة؟! حقّ المضطر لا بدّ منه، حقّ التكافل العام، إطعام المسكين والحض على إطعامه، ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْذِّينِ \* فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ \* وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ - ٣]، فهناك حقوق في المال غير الزكاة مطلوبة من الغني.

وهناك الوصية، عندما يمرض الإنسان مرض الموت، حتّى لو كان في حالة الصحة، يمكنه أن يوصي بعد موته بثلث ماله لجهات الخير، مساعدة الفقراء، مساعدة الدعوة الإسلامية، التعليم الديني.

وهناك الوقف، يمكن أن يقف المسلم بعض ماله في وجوه الخير، صدقة جارية يمتد أجرها له ما امتدّ انتفاع الناس بها، كل هذا يحد من طغيان الغني.

والإسلام كذلك يمنع الغني من الإسراف، ويمنعه من الترف، ويمنعه من الكنز، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، ويمنعه من تنمية هذا المال بغير

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبراني (١٥٤/١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٥): رجاله ثقات. وصحّحه الألباني في الصحيحة (١٤٩)، عن ابن عباس.

حق، لا يجوز أن ينمي هذا المال بالطرق الحرام، عن طريق الربا، أو الرشوة، أو أكل المال بالباطل، أو الميسر والقمار، أو الملاهي المحرمة، أو بالتجارة فيما يضر الناس، فهذا كله حد من طغيان الأغنياء.

ثم إنَّ الإسلام يرفع من مستوى الفقراء، وذلك بأن يُهيئ لكل عاطل عملاً مناسباً، فإذا وجد عملاً غير مناسب أو وجد عملاً لا يتم الكفاية له ولعِياله، هنا يتدخل الإسلام بأن يتم له كفايته إما من طريق نفقات الأقارب الموسرين، أو من طريق الزكاة التي تُؤخذ من أغنيائهم لتردَّ على فقرائهم، أو من طريق موارد الدولة الأخرى، كأن يكون عندها نفط أو تحصيل الضرائب وغيرها من الموارد، مثل الغنيمة والفيء وغيرها، وتعطي للفقراء والمساكين وابن السبيل، ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧]. هذا هو العدل الاجتماعي في الإسلام.

الشيوعيون والاشتراكيون يقولون: نحن دعاة العدل الاجتماعي. لا، الإسلام قبلكم بقرون وقرون دعا إلى هذا العدل، وجعل الدولة مسؤولة عنه: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»<sup>(١)</sup>، وفي قصص عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز والخلفاء الراشدين ما يملؤنا ثقة؛ بأنَّ الدولة الإسلامية مسؤولة بأن تحقق لكل إنسان تمام كفايته، هذا هو الأصل، فهذا هو العدل الاجتماعي.

### العدل السياسي:

وهناك العدل السياسي، عدل القاضي في قضائه، عدل الأمير في إمارته، والحاكم في حكمه، والوزير في وزارته، والمحافظ في محافظته،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

هذا العدل مطلوب من الجميع، مطلوب من الراعي والرعية، فالحق فوق الجميع، لا يُستثنى منه خليفة من الخلفاء، ولا وزير من الوزراء، ولا حاكم من الحُكَّام، كلهم يخضعون لسيف العدل

اختصم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع نصراني وجد عنده درعه، كانت قد سقطت منه درعه، وكانت ثمينة وعزيزة عليه، اشترك بها في حروب وغزوات، ووجدها عند النصراني، فقال له: هذا الدرع درعي. فقال: يا أمير المؤمنين، لست عندي بكاذب، ولكن هذه الدرع درعي. فقال له: نحتكم إلى القاضي شريح!

فقال القاضي: يا أمير المؤمنين، أعندك بيّنة؟ قال: لا. قال: إذن يحلف النصراني أنّها له، فالبينة على مَنْ ادّعى، واليمين على مَنْ أنكر. فحلف النصراني. فقال له: هي لك أيّها النصراني. فأخذها الرجل ومشى خطوات، ثمّ عاد، وقال: الدرع درعك يا أمير المؤمنين، سقطت منك وأنت عائد من كذا، فطمعت فيها والتقطتها، أمّا وقد حكم قاضيك عليك لي فهذه أحكام أنبياء، وإنّي أشهد ألاّ إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله<sup>(١)</sup>.

وكم وجدنا من قضاة يحكمون على الخلفاء، ويحكمون على القادة الإسلاميين، كما حكم قاضي سمرقند على قتيبة بن مسلم: أن يعيد الأمر كما كان ويخرج من المدينة التي دخلها بطريقة غير مشروعة<sup>(٢)</sup>، هذا العدل السياسي موجود ومطلوب.

العدل السياسي مطلوب؛ لأنّ أخطر شيء فقدان العدل في ميدان

(١) رواه البيهقي في آداب القاضي (١٣٦/١٠)، عن الشعبي.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٠٧، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

السياسة، وقد رأينا كيف نوّهت الأحاديث النبويّة بالإمام العادل: «سبعة يُظْلَمُ اللهُ في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه». أوّلهم إمام عادل<sup>(١)</sup>، الذي يعدل بين مرؤوسيه، ويسوّي بينهم في الحقوق والواجبات والعقوبات.

حينما سرقت امرأة من بني مخزوم من الذّؤابة في قريش، عزّ على قريش أن تُقطع يد المرأة؛ فتكون فضيحة الدهر، فقالوا: نشفع عند رسول الله مَنْ يحبه ومَنْ يمكن أن يقبل شفاعته. فشفعوا أسامة بن زيد حبّ رسول الله وابن حبّه، وجاءه أسامة فكلمه، فغضب رسول الله ﷺ وقال له: «أتشفع في حدٍّ من حدود الله يا أسامة؟ إنّما هلك مَنْ كان قبلكم: أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها»<sup>(٢)</sup>. حماها الله لم تسرق.

هذه هي المساواة التي يتغنّون بها، فرضها الإسلام وطبقها في عهد النبوة، وعهد الراشدين، وظلت معمولاً بها في حكم القضاء الإسلامي قرونًا طويلة، فلا بدّ من العدل السياسي، أن يحكم الحاكم بالعدل.

وفي الحديث: «إنّ المقسطين عند الله على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»<sup>(٣)</sup>. فما أعظمه من تكريم لأهل العدل.

(١) متفق عليه: رواه البخاري الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الكسوف (١٠٣١)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٥)، ومسلم في الحدود (١٦٨٨)، عن عائشة.

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٨٢٧)، وأحمد (٦٤٩٢)، عن عبد الله بن عمرو.



أَمَّا الظلمة الَّذِينَ لَا يَعْدِلُونَ فِي الْحَدِيثِ: «مَا مِنْ أَمِيرٍ لِعَشْرَةٍ - أَيْ حَتَّى لَوْ عَلَى عَشْرَةٍ - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَدَاهُ مَغْلُولَتَانِ إِلَى عُنُقِهِ، حَتَّى يَفْكَهُ الْعَدْلُ، أَوْ يُؤَبِّقَهُ الْجَوْر»<sup>(١)</sup>. الْعَدْلُ هُوَ الَّذِي يَنْجِيهِ، وَالظُّلْمُ هُوَ الَّذِي يَهْلِكُهُ.

الْحَاكِمُ الْعَادِلُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَوْ كَانَتْ عِنْدِي دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ لِدَعْوَتِ اللَّهِ أَنْ يَرْزُقَ الْمُسْلِمِينَ حَاكِمًا عَادِلًا؛ فَبَعْدَلَهُ تَتَحَقَّقُ الْمَصَالِحُ وَتَنْتَهِي الْمَفَاسِدُ، وَيَصْلَحُ اللَّهُ بِهِ خَلْقًا كَثِيرًا<sup>(٢)</sup>. هَذِهِ هِيَ قِيَمَةُ الْعَدْلِ السِّيَاسِيِّ.

### العدل الدولي:

هناك عدل آخر هو العدل الدولي، العدل بين الدول بعضها وبعض، وبين الأمم بعضها وبعض، بحيث لا يطغى قويٌّ على ضعيف؛ كما نرى الآن في عصرنا الدول القوية تريد أن تلتهم الدول الضعيفة، كأنَّ العالمَ بحيرة أسماك يأكل كبيرها الصغير، أو غابة يفترس القوي فيها الضعيف.

هكذا العالم الَّذِي نعيش فيه لأنَّه فقد العدل، بات العدل قيمةً مفقودة، وأصبحت القوَّة فوق العدل، مَنْ يملك السيف يملك كل شيء، مَنْ يملك القوَّة العسكريَّة، تساندها القوَّة الاقتصاديَّة، وتؤيدها القوَّة العلميَّة والتكنولوجيَّة: استطاع أن يتحكم في العالم!

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٦٢٢٥)، والبزار (٨٤٩٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٠٣٦): رواه البزار بإسنادين، والطبراني في الأوسط بالأول، ورجال الأول في البزار رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٠٠)، عن أبي هريرة.

(٢) قاله الإمام أحمد والفضيل بن عياض وغيرهما، انظر: حلية الأولياء (٩١/٨)، نشر دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٩هـ، والبداية والنهاية (٦٦٢/١٣)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

هذا هو الذي جعل أمريكا تتأله في الأرض، وتقول كما قالت عادّ الأولى: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥]. هكذا أصبحت أمريكا التي لا تُسأل عما تفعل.

فقد العالم العدل، وهذه هي المصيبة أيُّها الإخوة. إنَّ الإنسانية لا يمكن أن تقوم لها قائمة وأن تتحقّق لها السعادة، وأن يتمّ لها السلام والاطمئنان إلّا بإقامة العدل، إذا فقد الناس العدل، إذا كثرت المظالم، إذا ظلم القويُّ الضعيف: فلا بدّ أن يكون هناك العنف والإرهاب، والحوادث من الإنسان للإنسان.

وهناك أيضًا غضب الأقدار على الإنسان: الأعاصير والبراكين، والزلازل والمصائب تأتي عقوبة من الله تعالى؛ لتذكّره بضعفه، ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، لتقول له: أيُّها الإنسان، ما أنت؟ ها أنت تعلم أنَّ الإعصار قادم بعد ساعات، وعندك من القوّة ما عندك، عندك أسلحة الدمار الشامل، وعندك القوّة العلميّة والإلكترونيّة، وعندك وعندك! فماذا أنت فاعل أمام هذا الإعصار؟

هذه كلها مُذَكِّرات ومُنَبِّهات للإنسان؛ ليقم الإنسان العدل في الأرض، حتّى لا يقع فيها الشر، ولا يقع فيها العدوان من بعض الناس على بعض، ولا تقع فيها العقوبات القدريّة والسماويّة.

نسأل الله وَجَّهًا أن يفقهنا في ديننا، وأن ينير لنا الطريق، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، الله آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

## الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

### اعتذار الكنيسة الإنجيلانية للمسلمين:

نشرت الصحف وأذاعت التلفازات ما قررته الكنيسة الإنجيلانية في لندن من تقديم الندم والاعتذار للمسلمين؛ عما جرى في حرب العراق، وما جرى على العراق منذ مارس ٢٠٠٣م. إلى الآن من قتلٍ للأنفس، ودمار للمنشآت، وتخریب للديار، وضياع للأموال، وهتك للحرّمات، إلى آخره.

وقال أساقفة الكنيسة الذين أنصفوا في هذا: علينا أن نعتذر للمسلمين كما اعتذر الفاتيكان لليهود، وكما اعتذرنا نحن لليابانيين من قبل، وكما اعتذرنا لجنوب أفريقيا عن تأييد الحكم العنصري فيها.

ونحن نشد على يد الكنيسة ونقول لها: أحسنت في هذا الاتجاه. وإن كانت مع هذا قالت: إنّنا لا نستطيع أن نطلب من الحكومة البريطانية أن تنسحب من العراق؛ لأنّ الظروف لا تسمح بهذا.

ونحن لا نوافقها في هذا الكلام، فما بقي الاحتلال الأمريكي المسنود بالاحتلال البريطاني موجوداً في العراق؛ فلن يسلم العراق من البلاء، سيظل البلاء محفوفاً بهذا البلد. الحل الأوّل أن ينسحب المحتلون، ويحاول العراقيون أن يتفق بعضهم مع بعض لحل مشاكلهم.

ولكنّا على كل حال نثمن هذه الخطوة من الكنيسة الإنجيلانية، وموقفها المنصف، والاعتراف بالحق فضيلة من غير شك.

نؤيد هؤلاء الأساقفة الأحرار، الشجعان المنصفين، الذين دانوا أمريكا، ودانوا الغرب، قالوا: إنَّ الغرب أخطأ أخطاء كثيرة منذ مدَّ صدام حسين بالأسلحة، هو الذي قوَّى سلطانه، ثمَّ انقلب عليه بعد ذلك. وقالوا: إنَّ أمريكا خاضت هذه الحرب، ليس لمصلحة العراقيين؛ وإنما لمصالح أمريكية خاصة. وصدقوا في هذا.

وقد نقدت الكنيسة أيضًا موقف اليمين المسيحي المتسلط والمتصهين في أمريكا، والذي يبارك هذه الحروب، ويبارك هذه النزعات العدوانية، ونحن نقند هذا اليمين المسيحي كما نقند أساقفة الكنيسة، ونقول لهؤلاء الأساقفة: أحسنتم. لأننا نقول للمحسن: أحسنت. كما نقول للمسيء: أسأت.

### الهرولة نحو العدو الصهيوني:

كلمة أخرى أيُّها الإخوة؛ أقولها بمناسبة ما أقرؤه في الصحف وما أشاهده في التلفازات، من الهرولة العجيبة، والسباق المجنون إلى قادة إسرائيل: هذا يصفاح شارون، وهذا يقابل وزير الخارجية، وهذا يأخذ موعدًا للقاء شارون، وهذا يسمح بدخول البضائع الإسرائيلية إلى بلده، وهذا يريد أن يقيم علاقة مع إسرائيل!

علامَ هذا أيُّها القوم، أيُّها العرب، أيُّها المسلمون؟ هل تحرّرت فلسطين؟! هل تعتبرون انسحاب شارون من غزة تحريرًا لفلسطين؟ انظروا إلى الخريطة لتروا ماذا يُمثّل قطاع غزة من فلسطين الكلية، أو حتّى من فلسطين التي بقيت للفلسطينيين؟ ماذا بقي من هذا القطاع، وهو لم يتحرّر؟ هي مسألة إعادة انتشار القوّة، ما داموا يملكون السماء، ويملكون الأرض، ويملكون المياه، ويملكون المعابر، إلى آخره؛ فأين التحرر في هذا؟ إنّه فخٌّ للفلسطينيين.



وهم الآن يلحون في تصفية الفصائل والمقاومة وأسلحتها، كيف تُصَفَّى أسلحة المقاومة، ولا تزال فلسطين محتلة؟! خرج المستوطنون من البلاد التي استوطنوها بغير حق بالباطل في غزة؛ ليذهبوا إلى الضفة التي احتلوها بالباطل أيضًا، وحتى المواثيق والقوانين الدولية تعتبر أن هذا احتلال.

ما بقي من فلسطين بعد ١٩٦٧م. احتله الصهاينة، فذهب هؤلاء من هذه المستوطنات الغزية إلى مستوطنات الضفة الغربية، ماذا كسبنا أيُّها الناس؟! فعلام هذه الهرولة وهذا التسابق يا قوم، يا عرب، يا مسلمون؟! إننا نشكو إلى الله وَعَلَى، لا نملك إلا أن نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. لا نملك إلا التضرع إلى الله: أن يهدي هؤلاء الحائرين، وأن ينير بصائرهم. كما لا نملك إلا التوجه إلى شعوبنا، إلى جماهيرنا العربية المسلمة: المؤمنة بحقها، المؤمنة بقضيتها، المؤمنة بمسجدها الأقصى الذي يُهدَّد؛ بالقدس التي تُهَوِّد، وبما يُكاد كل يوم، لا زالت إسرائيل متمادية في باطلها وطغيانها، في إقامة الجدار العازل، في تهويد القدس، في الحفريات حول المسجد الأقصى، في منع المصلين من دخول المسجد، في كل هذا.

نتوجّه إلى شعوبنا أن يعودوا للتمسك بما دعونا إليه من قبل، من ضرورة مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية، تمسكوا بهذا أيُّها القوم، هذا أمر له أهميته؛ حتّى وإن لم يؤثر على اقتصاد أمريكا.

ولكن هذا درس تربوي، ودرس سياسي، ودرس إيماني؛ كيف تشتري سلعة من يقتل إخوانك، ومن يهدّد أقصاك، ومن يفعل بك

الأفاعيل، ومن ينتهك حرمتك في كل يوم؟ إنَّك حين تدفع رياءاً في هذه البضائع؛ فكأنَّما تُعطي رصاصة للعدو يسدِّدها إلى صدر أخيك: هناك في القدس، أو في غزة، أو في الضفَّة الغربيَّة، تعطيه رصاصة بثمان هذه البضاعة ليفعل بها هذا، قاطعوا هذه البضائع، وعرّفوا إخوانكم بخطر هذا الأمر؛ فإنَّ بعض النَّاس لا يفقه قيمة هذه المقاطعة، هي نوعٌ من الجهاد، ليس الجهاد بالسيف فقط، الجهاد يكون بالمقاطعة أيضاً.

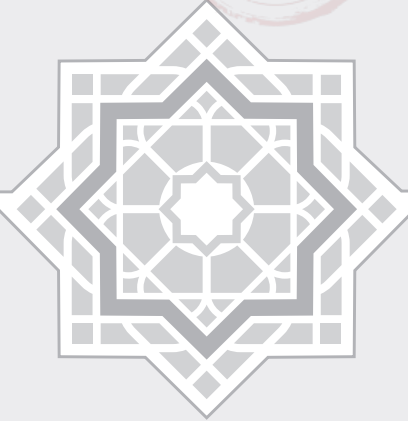
نسأل الله وَحْدَكَ أَنْ يُهَيِّئَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، اللَّهُمَّ أَكْرَمْنَا وَلَا تَهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَزِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَآثَرْنَا وَلَا تُؤْثِر عَلَيْنَا، وَارْضَ عَنَّا وَارْضِنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ يَوْمَنَا خَيْرًا مِنْ أَمْسِنَا، وَاجْعَلْ غَدَنَا خَيْرًا مِنْ يَوْمِنَا، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُور كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ اجْمَعْ كَلِمَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى الْهَدْيِ، وَقُلُوبَهَا عَلَى التَّقَى، وَنَفُوسَهَا عَلَى الْمَحَبَةِ، وَنِيَّاتَهَا عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، وَعَزَائِمَهَا عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ وَخَيْرِ الْعَمَلِ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

\*\*\*





مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ  
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ  
يُوسُفَ الْقَرِظَاوِيِّ



## الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.



## فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	١٨٧ ، ١٦٧ ، ٦٧
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٢٨٦ ، ١٦٧ ، ٦٧
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	٧	٢٨٦
سورة البقرة		
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	٢	٢٣٥ ، ١٧
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٢٥	٩
﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٣٠	٣٥٤
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾	٣١	٢٢١
﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾	٦٥	٣١
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾	٩٦	٩٤
﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾	٩٧	٩٤
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾	١٢٧	١١٣ ، ١٤٠ ، ٣٢١ ، ١٠٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾	١٢٨	١٤٠، ١٠٦
﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾	١٤٠	٣٠١
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾	١٤٣	٢٠٤
﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾	١٧٣	١٧٨
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾	١٧٨	٣٣٩
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾	١٨٣	٥٠، ٥٣، ١٠٥، ٣٣٩
﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾	١٨٤	٦٠
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾	١٨٥	٦١، ٦٢، ١٨٥
﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾	١٨٧	٦٢
﴿وَاحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٩٥	٣٤٠
﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ﴾	١٩٧	٤، ٨٨، ١٠٠، ١١٢، ١١٣
﴿رَبَّنَا ءَانِسَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	٢٠١	٣٩، ١٨١
﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾	٢٠٣	٩٨، ٩٩
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾	٢٠٨	٣٥١
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا﴾	٢١٤	١٤
﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾	٢٢٨	٣٥٨
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾	٢٥٥	٢٦٠
﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾	٢٥٦	١٦٤



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾	٢٦٩	٢٢٢
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾	٢٨٢	٢٣٦، ٣٦١
﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾	٢٨٥	١٤٨
﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	٢٨٦	٥٩، ٩٨
سورة آل عمران		
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾	١٨	١٩٥
﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾	٤٢	٣٥٠
﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾	٦٧	١٣٢
﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾	٦٨	١٤١
﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾	٩٢	١٧٠
﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾	٩٧	١٠٥، ١١٨
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	٢٠٨
﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	١٣٣	١١
﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٣٤	١١
﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	١٣٥	١٢
﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	١٣٦	١٢
﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾	١٣٧	٢٤٣
﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾	١٤٠	٢٨١
﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾	١٤٦	٢٨٨



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾	١٤٧	٣١٢
﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾	١٨٥	١٨١
﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾	١٨٦	١٧٧
﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ﴾	١٩٥	٢٠٦
سورة النساء		
﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾	٢٨	٣٧٢
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا﴾	٤٠	٣٥٥، ٤٦
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾	٥٨	٣٦٢، ١٠١
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾	٦١	٢٩٥
﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾	٧٧	٤٥
﴿أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾	٧٨	٤٥
﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾	٨٠	١٨٣
﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾	٨٣	١٨٤
﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾	١٠٥ - ١٠٨	٣٦٤
﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾	١٢٥	١٣١
﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾	١٢٨	٩٦
﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ الْبَنَاتِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾	١٢٩	٣٥٩
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾	١٣٥	٣٦٢
﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾	١٤٨	٢٨٣



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المائدة		
﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مَنِ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾	٤	٢٥٥
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾	٨	٢٩١، ٣٦٣
﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾	٤٢	٣٦٤
﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾	٤٤	٢٩٥
﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٤٥	٢٩٥
﴿وَعَايَنْتُهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾	٤٦	٣٥٠
﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	٤٧	٢٩٥
﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾	٧٥	٣٥٠
﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾	٨٢	٣٥٠
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ شَيْءًا مِّنَ الصَّيْدِ﴾	٩٤	١١٨
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾	٩٥	١١٨، ١٠٨
﴿وَحُرْمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾	٩٦	١٠٨
سورة الأنعام		
﴿وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾	٣٨	١٨
﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾	٤٤	٢٨٢
﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٤٥	٢٨٢
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَا زَرَ اتَّخَذْتَ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾	٧٤	١٣٣
﴿قَالَ هَذَا رِبِّي فَلِمَ أَقْلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾	٧٦	١٣٢
﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾	٧٧	١٣٢





الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَلَمَّا رَأَى السَّمَاسَ بَارِزَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ۖ ﴾	٧٨	١٣٢
﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ ﴾	٧٩	١٣٢
﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۖ ﴾	٨٠	١٣٣
﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ ۖ ﴾	٨١	١٣٣
﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۖ ﴾	٨٢	١٣٣
﴿ وَبَلَكَ حُجَّتَنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۖ ﴾	٨٣	١٣٣، ١٣٢
﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ۖ ﴾	٨٩	٢٨٤
﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُنَا مَا خَوْلَانَكُمْ وِرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ ﴾	٩٤	٤٩
﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ۖ ﴾	٩٧	٢٥٢
﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ ﴾	١٤١	١١٠
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۖ ﴾	١٥٢	٣٦١، ٣٤٠
﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ ﴾	١٦١	١٣٢
﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ ﴾	١٦٢	٣١١، ٧٧
﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۖ ﴾	١٦٣	٣١١، ٧٧
﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ ۖ ﴾	١٦٥	٢٥٥
سورة الأعراف		
﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ ۖ ﴾	١٠	٣٣٥
﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۖ ﴾	٢٣	٧٧
﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۖ ﴾	٢٩	٤٩
﴿ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ ﴾	٥٩	١٦٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ﴾	٨٦	٣٤٦
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	٩٦	٣٤٣، ٣٢٤
﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾	١٨٢، ١٨١	٢٨٤
﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾	١٨٣	٢٨٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾	٢٠١	١١
سورة الأنفال		
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	٢	١٦٨
﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾	٣	١٦٨
﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾	٤	١٦٨
﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾	٤٤	٢١٠
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾	٦٠	٢٠٤، ١٢٧
﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٦١	٣٥١
﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بُنْصَرَهُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٢	٣١٠، ١٦١، ١٦٠
﴿وَأَلْفَ بَيْنٍ قُلُوبِهِمْ﴾	٦٣	١٦١
﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾	٦٥	١٢٦
سورة التوبة		
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾	٣٢	٢٨٥
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾	٣٣	٢٨٥
﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾	٣٤	٣٦٧



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾	٣٦	١٠٨
﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾	٦٠	٣٠٠
﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾	٧١	٢٠٦، ١٦٧
﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾	١٠٣	١٠٥
﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَیَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾	١٠٥	٣٤٢
﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآثٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾	١١١	١٧٧، ١٣
﴿ التَّائِبُونَ الْعَمِدُونَ الْحَمِدُونَ السَّائِحُونَ ﴾	١١٢	٨٧
﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾	١١٣	١٤٢
﴿ وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ ﴾	١١٤	١٤٢، ١٣٣
سورة يونس		
﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾	١	٢٣٥
﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ﴾	٥	٢٥٢
﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴾	٢٤	٢٨٢
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	٤٤	٣٥٤
﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾	١٠٦	١٨٧
سورة هود		
﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾	٦	٣٣٥
﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا ﴾	٣٧	٣٢١
﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾	١٠٢	٢٨١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يوسف		
﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾	١	٢٣٦
﴿أَقْبِلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ وَتَكُونُوا﴾	٩	٣٦١
﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾	٧٦	٢٥٩
﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾	١٠٨	١٧٣، ١٩٣
سورة الرعد		
﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾	٧	١٨٢
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾	١١	١٨١
﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾	١٧	٣٣٢
سورة إبراهيم		
﴿لَيْنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾	٧	٣٢٧
﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ﴾	٣٧	١٤٠
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾	٣٩	١٣٨
سورة الحجر		
﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾	١	٢٣٦
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاحِفُونَ﴾	٩	٢٨٤، ٣٤٩
سورة النحل		
﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾	١٢	٣٣٥
﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾	١٨	٣٣٦
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾	٣٦	١٦٥، ١٨٢



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٤٣	١٨٤
﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴾	٤٤	١٨٣
﴿ فَمَا الَّذِي فَضَّلُوا بِرَآدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ ﴾	٧١	٣٦٦ ، ٣٦٥
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾	٨٩	١٨٣
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى ﴾	٩٠	٣٦٤ ، ٣١٢
﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	١٢٠ - ١٢٣	١٣٢ ، ١٣١
﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾	١٢٥	١٧٣ ، ١٥
﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾	١٢٧	١٧٦
سورة الإسراء		
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	٣٤	١٥
﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٨٥	٢٥٨ ، ٢٤٤
﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾	١٠٠	٩٦
سورة الكهف		
﴿ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾	١٠٤	٩٢
﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾	١١٠	١٨٨
سورة مريم		
﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾	٤١	١٣٤
﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْتَنِي لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾	٤٢	١٣٤
﴿ يَتَّبِعْتَنِي إِنْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾	٤٣	١٣٤
﴿ يَتَّبِعْتَنِي لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾	٤٤	١٣٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَتَأْتِي إِيَّيَ أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾	٤٥	١٣٤
﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾	٤٦	١٣٤
﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا﴾	٤٧	١٣٥، ١٤٢
﴿وَأَعَزَّلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾	٤٨	١٣٥
﴿فَلَمَّا أَعَزَّهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾	٤٩	١٣٥
﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾	٥٠	١٣٥
﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾	٧٦	٨٤
سورة طه		
﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾	١١٤	٢٥٨، ٢٤٤
سورة الأنبياء		
﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٧	١٨٤
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾	١٨	١٢٦، ٣٣٢
﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾	٥٢ - ٥٤	١٣٣، ١٣٥
﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِبِينَ﴾	٥٧	١٣٥
﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾	٥٨	١٣٥
﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾	٥٩	١٣٦
﴿سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾	٦٠	١٣٦
﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾	٦١	١٣٦
﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾	٦٢	١٣٦
﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾	٦٣	١٣٦





الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٦٤	١٣٦
﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾	٦٥	١٣٦
﴿أَفَعَبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾	٦٦	١٣٦
﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٦٧	١٣٦
﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾	٦٨	١٣٦
﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿	٦٩ - ٧١	١٣٧
﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾	٨٠	٣٢٠، ٣٤٤
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾	١٠٥	٣٢٤، ٣٤٣
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	١٨٩، ١١٩
سورة الحج		
﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾	٢٦	١٠٤
﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾	٢٧	١٠٤، ١١٠، ١١٩، ١٤٠، ١٤٣
﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾	٢٨	١٠٤، ١١٠، ١١٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٠٥
﴿وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾	٢٩	١٣١
﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقَوَّى الْقُلُوبِ﴾	٣٢	١٠، ٧٧
﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾	٣٧	٣٤٠
﴿وَلِيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ﴾	٤٠	١٤
﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾	٥٤	٢٠١، ٢٣٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ﴾	٧٧	٤، ٦٨، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤
﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾	٧٨	٤، ٦١، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٥، ١٨٥
سورة المؤمنون		
﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾	٩ - ١	١٦٩، ١٦٨، ٥٣
﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾	٩٦	١٥
سورة النور		
﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾	٣٦	٣٢، ٧٣، ٣٤٢
﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾	٣٧	٣٢، ٤٥، ٧٣، ٣٤٢
﴿لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	٣٨	٤٥
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾	٥١	٢٩٥
سورة الفرقان		
﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾	٢٣	٩
﴿فَسْأَلُ بِهِ خَيْرًا﴾	٥٩	١٨٤
﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾	٦٣	١٣٤
سورة الشعراء		
﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾	٨٣	١٤٢
﴿وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾	٨٤	١٤٢



*QaradawiBooks.com*

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	١٤
﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾	٥٦	٢٠١
﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾	٦٠	١٧٦
سورة لقمان		
﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾	١٧	١٧٦
﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٢٠	٢٦٦
سورة السجدة		
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	١٧	١٥
سورة الأحزاب		
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾	٣٦	٢٩٤
﴿تَجِئْتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ﴾	٤٤	١١٨
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾	٥٦	٢٩٣، ١٦١، ٤٣
﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾	٦٧	٢٠١
سورة سبأ		
﴿وَالنَّالُ الْخَدِيدَ﴾	١٠	٣٤٤، ٣٢٠، ٣٠٧
﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَةً وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾	١١	٣٢٠، ٣٠٧، ٣٤٥، ٣٤٤
﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾	٣٩	٧٩
سورة فاطر		
﴿وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾	١٤	١٨٤



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾	١٥	١٠٥
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا النُّورُ﴾	١٩ - ٢٢	١٩٥
﴿وَأِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	٢٤	١٨٢
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾	٢٧	٢٥٣
﴿وَمِنْ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ﴾	٢٨	٢٥٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾	٢٩	٤٥
﴿لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾	٣٠	٤٥
سورة يس		
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	٦٠	١٣٤
﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾	٦١	١٣٤
سورة الصافات		
﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾	٦١	٤٦
﴿إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾	٨٩، ٩٠	١٣٥
﴿أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾	٩١، ٩٢	١٣٥
﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾	٩٣	١٣٥
﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	٩٩، ١٠٠	١٣٧
﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعِلْمٍ حَلِيمٍ﴾	١٠١	١٣٨
﴿يَبْنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَارِ آتِيَكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾	١٠٢	١٣٨، ١٣٩
﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾	١٠٣	١٣٩
﴿أَنْ يَتَّبِعَهُمُ * قَدْ صَدَّقَتِ الرُّبُيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾	١٠٤، ١٠٥	١٣٩
﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾	١٠٦ - ١٠٧	١٣٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة ص		
﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾	٢٠	٣٢٠
سورة الزمر		
﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾	٣	١٨٨
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٩	٢٤٣، ١٩٥
﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾	١٧	٣٤٠، ١٦٥
﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾	١٨	٣٤٠، ٤٠
﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾	٥٣	١٢
﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	٥٥	٣٤٠، ١٥
سورة فصلت		
﴿وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾	١٠	٣٣٥
﴿مَنْ أَشَدُّ مَنَاوَةً أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾	١٥	٣٧٢، ٢٨٨
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	٣٣	١٧٤
﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	٣٤	٣٤٠
﴿وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيزٌ﴾	٤١	٣٤٩
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٣٤٩
سورة الشورى		
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾	٢١	١٨٩
سورة الزخرف		
﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾	٢٢	٢٠١





الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجاثية		
﴿ وَسَخَّرْ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾	١٣	٢٦٦، ٣٣٥
﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَحَ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾	٢٣	٣١
سورة الأحقاف		
﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾	٣٥	١٧٦
سورة محمد		
﴿ إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾	٧	٣٠٣
﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾	١٩	٢٣٤
﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴾	٣٥	٢١٠
سورة الحجرات		
﴿ وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾	٩	٣٦٢
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾	١٠	١٧٥، ١١٩، ٦٩
سورة الذاريات		
﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٢١، ٢٠	١٦٥
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	١٥١، ١٤٩، ٦٥
﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴾	٥٧	١٤٩، ٦٥
﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾	٥٨	١٤٩
سورة الطور		
﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾	٣٥	٢٣٢
﴿ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾	٣٦	٢٣٢



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النجم		
﴿الْأَنزِلُ وَأُنزِلُ وَزَرَأُخْرَى﴾	٣٨	٢١١
﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾	٤٢	١٨١
سورة الحديد		
﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	٢١	٩
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾	٢٥	٣٥٣، ٣١٧، ٣٠٦
سورة المجادلة		
﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٢١	١٤
سورة الحشر		
﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَعْيَاءِ مِنْكُمْ﴾	٧	٣٦٨
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾	٩	٦٩
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾	١٠	٣١٢، ٢٩٣، ٤٣
﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾	١٤	١٦١
سورة الممتحنة		
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾	٤	١٤١
﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ﴾	٨	٣٦٣، ٢١١، ١٥٤، ٧٠
سورة الصف		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِقٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾	١٠	٤٥، ١٣، ١٢
﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾	١١	٤٥، ١٣
﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	١٢	١٣



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	١٣	١٣
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِثِ ۖ﴾	١٤	١٤
سورة الجمعة		
﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ﴾	٢	٢٢٢، ٢٤٠، ٢٦٤
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِّلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾	٩	٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾	١٠	٢٧، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٣١٦
﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾	١١	٢٧، ٣٩
سورة المنافقون		
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾	٩	٣٤٢
سورة الطلاق		
﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾	٢	١٣٩، ٣٢٤، ٣٦٢، ٣٤٣
﴿وَيَرْزُقْهُ مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾	٣	١٣٩، ٣٢٤، ٣٤٣
﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفْقِ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ﴾	٧	٩٨
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾	١٢	٤، ١٤٩
سورة التحريم		
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾	٦	٢٢١
سورة الملك		
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	٣٤٠
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾	١٥	٣١٦، ٣٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القلم		
﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	١	٢٣٥
سورة الجن		
﴿وَالْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾	١٦	٣٤٣ ، ٣٢٤
سورة المدثر		
﴿يَتَأْتِيَهَا الْمُدِثِّرُ ﴿١﴾ فَرَأَنَدِرُ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرُ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرُ ﴿٥﴾	١ - ٧	٢٣٥
﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٦﴾ قَالُوا لَوْ نَكُنْ مِنَ الْمَصْلِينَ ﴿٧﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ ﴿٨﴾	٤٢ - ٤٤	٦٨
سورة الإنسان		
﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿١﴾	٨	٦٩
﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٢﴾	٩	٦٩
سورة المطففين		
﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿١﴾	٢٦	٤٧ ، ٤٦
سورة الفجر		
﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٢﴾	١٧ - ٢٠	٦٩
سورة البلد		
﴿فَلَا أَفْحَمِ الْعَقَبَةَ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿٣﴾	١١ - ١٧	٦٨
سورة التين		
﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١﴾	٦	١٧٠ ، ١٦٩
سورة العلق		
﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿١﴾	٥	٢٢١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البينة		
﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾	٥	١٠٠
سورة الزلزلة		
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾	٧	١٦٦، ١٤٨، ٤
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾	٨	١٦٦، ١٤٨، ٤
سورة القارعة		
﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾	٧، ٦	٨٢
سورة العصر		
﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾	٢ - ١	٢٠١، ٢٠٠، ١٦٤
﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾	٣	١٦٤، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٠، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣
﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾	١ - ٥	٢٥١، ٢٣٥، ١٩٤
سورة قريش		
﴿وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾	٤	١١٨
سورة الماعون		
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾	١ - ٣	٣٦٧، ٦٩، ٦٨

\* \* \*



## فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



الحديث	رقم الصفحة
أ	
أتاكم رمضان، شهرُ بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحطُّ الخطايا	٤٦
أتحب أن يكون أبنائك لك في البرِّ سواء؟ قال: نعم، يا رسول الله	٣٦٠
أتشفع في حدٍّ من حدود الله يا أسامة؟ إنما هلك من كان قبلكم	٣٧٠
اتَّقِ الْمَحَارِمَ - أي الْمُحَرَّمَاتِ - تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ، وارضَ بما قسمَ الله لك	١٠٣
اتَّقُوا اللَّهَ فِي الْبَهَائِمِ الْعَجَمَاوَاتِ؛ فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُّوها صَالِحَةً	٧١
اتَّقُوا اللَّهَ وَاَعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ	٣٦٠
أَحِبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ	٨٤ ، ٦٦
إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ	١٨٧
إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الْجَنَّةَ؛ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ وَسْطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ	١٥
إِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ لُقْمَةٌ، فَلْيَمِطْ عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا	٣٢٨
اذهب إلى الحارث بن كِلْدَةَ الثَّقَفِيِّ	٢٦٦
ارجع فأضحكهما، كما أبكيتهما، ففيهما فجاهد	١٩١
أرحنا بها يا بلال	٥٤
أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد	١٥١





رقم الصفحة	الحديث
٣٦٠	أَكُلْ أَوْلَادَكَ أَعْطَيْتَهُمْ مِثْلَ هَذَا؟. قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ
٢٤٩	أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟. قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: الشُّرْكُ بِاللَّهِ تَعَالَى
٤٩	أَلَا إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا
١٠١	إِلَّا الدِّينَ؛ أَخْبَرَنِي جَبْرِيلُ بِهَا السَّاعَةَ
٦٣، ٦٢	اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَقَدَّرَكَ مَنَازِلَ
٧٩	اللَّهُمَّ أَعْطِ مَنْفَقًا خَلْفًا، اللَّهُمَّ أَعْطِ مِمْسَكًا تَلْفًا
٦٣	اللَّهُمَّ أَهْلَهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تَحِبُّ
٣٥٩	اللَّهُمَّ هَذَا قَسَمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَوَاخِذْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ
٣٥٦	أَمَّا إِنِّي أَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتَّقَاكُمُ لَهُ، وَلَكِنِّي أَقُومُ وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ
٧٢	إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ
٢٦٧	إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً: عِلْمُهُ مَنْ عِلْمُهُ، وَجَهْلُهُ مَنْ جَهْلُهُ
٢٦٤، ٢٢٢	إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيسِّرًا، وَلَمْ يَبْعَثْنِي مُعْنِتًا وَلَا مُتَعْنِتًا
٧٣، ٧٢ ٣٣٩، ٣١٧	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ - أَيِ الْإِتْقَانِ - عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
٩٥	إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ
٢٨١	إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ
٢٧٥	إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا
٣٤٠، ٣١٧، ٧٣	إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ
٢١٥	إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيُضَعُ آخَرِينَ
٢٥٢، ١٩٦، ١٩٥	إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا ورَثُوا الْعِلْمَ
١٠٢	أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا حَجَّ مِنْ مَالٍ حَلَالٍ، وَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ، - أَوْ رَكِبَ سَيَارَتَهُ

رقم الصفحة	الحديث
٣٤٠	أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ
١٩٠	إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ
١١٢، ١٠٣	أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا حَجَّ بِمَالٍ حَرَامٍ، وَقَالَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ
٥٩	أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْقُبْلَةِ فِي الصُّومِ فَرَخَّصَ لَهُ، وَسَأَلَهُ آخَرُ فَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ
٨٧	إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى
٥	إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
٣١٩، ٣٠٦	إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَلَّا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسَهَا
٣٣٧	إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى أُبُيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
٣٥٧	إِنَّ لَبَدَنكَ عَلَيْكَ حَقًّا، أَيْ فِي الرَّاحَةِ، وَلَعَيْنُكَ عَلَيْكَ حَقًّا، أَيْ فِي النَّوْمِ
٣٧٠	إِنَّ الْمَقْسُطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ
١٩٦	إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ
٨٥	انظروا هل لعبدي من تطوع؟
٧٤	إِنَّكَ مَا تَنْفَقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا كَانَ لَكَ بِهَا صَدَقَةٌ
٣٤١، ١٨٩، ٧٦	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى
١٠	إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
٢٠٦	إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ
٢٨	إِنَّمَا يَأْكُلُ الذَّنْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ
١٥٠	إِنِّي وَالْجَنِّ وَالْإِنْسَ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ، أَخْلَقْتُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي
٣٢٨	إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ
٢٧٦، ١٠	الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةٌ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
٩٥	أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا. فَقَالَ رَجُلٌ: أَفِي كُلِّ عَامٍ



الحديث	رقم الصفحة
<b>ب</b>	
بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ - فِي الظُّلُمَاتِ - إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	٨
بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ	٦٥
بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ	١٥٤
<b>ت</b>	
تَبَسُّمَكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ	٧٢
تَسَحَّرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ	٦٢
تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْزِضُ لَهُ	٩٧
التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا	٧٧، ١١
<b>ج</b>	
جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَشْرَةَ	٢٣٦، ١٩٨
<b>ح</b>	
الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ	١١١، ١٠٢
الْحُجَّاجُ وَالْعُمْرَارُ وَفَدُّ اللَّهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوا، وَسَلَّوَهُ فَأَعْطَاهُمْ	١٠٩
حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ: يَوْمٌ يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ	٣٣
حِينَ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ امْرَأَةٌ أُخْرَى كَانَتْ بَغِيًّا مِمَّنْ كَانَ قَبْلُنَا؛ سَقَتْ كَلْبًا	٧١
<b>د</b>	
الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعُهُ	١٥٣
دَخَلَتْ امْرَأَةُ النَّارِ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا، فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ	٢١١، ٧١
دَخَلَتْ الْجَنَّةَ بَغِيٌّ سَقَتْ كَلْبًا	٧١
الدَّعَاءُ مِنْ الْعِبَادَةِ؛ بَلْ هُوَ الْعِبَادَةُ	١٨٨

الحديث	رقم الصفحة
س	
سبعة يُظِلُّهم الله في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلاَّ ظلُّه	٣٧٠
ش	
شهر رمضان شهر المواساة	٥٤
ص	
الصيام جُنَّةٌ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل	٥٣، ٥٢
الصيام جُنَّةٌ لأحدكم ما لم يخرقها. قيل: وبِمَ يخرقها، يا رسول الله؟	٥٢
الصيامُ لي وأنا أجزي به، يدعُ طعامه من أجلي، ويدعُ شرابه من أجلي	٨٨، ٨٧
ط	
طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم	٢٤٢
ع	
العلماء ورثة الأنبياء	١٩٦
غ	
غُسل الجمعة واجبٌ على كلِّ محتلم	٣٢
ف	
فإنَّما أطعمه الله وسقاه	٥٨
فجعل النبي ﷺ فداءهم أن يُعلِّم كل واحد منهم عشرة	١٩٨
فشكر الله له، فغفر له... نعم، في كلِّ كبدٍ رطوبةٌ أجرٌ	٧١
ق	
قد جاءكم رمضان، وفيه ليلةٌ هي خيرٌ من ألف شهر، مَنْ حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ	٨٢



الحديث	رقم الصفحة
<b>ك</b>	
كان أجود ما يكون في رمضان، حينما يأتي جبريل فيدارسه القرآن	٥٥
كان أجود الناس	٥٥
كان النبي ﷺ إذا عمل عملاً أثبتته	٨٤
كان النبي ﷺ قبل أن يصلي المغرب يفطر على رطبات	٦٢
كان النبي ﷺ يُقبَّل وهو صائم	٥٩
كان للنبي ﷺ حُلَّة يلبسها للعِيدَيْن والجمعة	٣٣
كان ينزل جبريل على النبي ﷺ في شهر رمضان من كل عام	٨٢
كلُّ جسدٍ نبتَ من سُحتٍ؛ فالنَّار أولى به	١٩٠، ١٧١
كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصوم؛ فإنه لي، وأنا أجزي به	٦٨، ٦٧
كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، الرجل راعٍ في أهل بيته	٣٦٨، ٢٢١
الكلمة الطيبة صدقة	٧٢
كيوم ولدته أمه	١٢٠
<b>ل</b>	
لا أجد لك رخصةً	٢٩
لا إله إلا الله وحده، نصر عبده، وهزم الأحزاب وحده	٢٩٧
لا تزال طائفةٌ من أُمَّتِي قائمةٌ على أمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم	٢٨٤
لا يحِلُّ لمسلم أن يُروِّع مسلماً	٢١١
لمن هذه الشاة؟ ... إنّما حُرِّم أكلها	٣٢٨، ٣٢٧
لو أنّكم تدومون على الحال التي تكونون عليها عندي	٣٥٧
لو يعلم النَّاس ما في النداء والصف الأوَّل لاستهموا عليه	٣٦

رقم الصفحة	الحديث
١٨	لولا أنَّ الكلاب أُمَّةٌ من الأمم لأمرتُ بقتلها
٣٠٧	ليأتين على النَّاسِ زمان، لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام
٥٢	ليس الصيام من الطعام والشراب، إنّما الصيام من اللغو والرفث
٣٦٧	ليس منّا مَنْ بات شعبان، وجاره إلى جنبه جائع، وهو يعلم
٦٠	ليس من البرِّ الصيام في السفر
٢٩٩	ليفتحن كنوز كسرى ابن هرمز. يقولون: كسرى بن هرمز؟ فيقول: نعم
م	
١٩٦	ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله
٣٤٤، ٣٢٠، ٣٠٧	ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده
٨٦	ما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبُّ إليَّ ممَّا افترضته عليه
٣٧١	ما من أمير لعشرة - أي حتّى لو على عشرة - إلّا جاء يوم القيامة
٣٤٤، ٣١٩، ٣٠٥	ما من مسلم يزرع زرعًا أو يغرس غرسًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة
١٧٥	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه
١٧٥	المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويردُّ عليهم أقصاهم
١٨٩	من أحدث في أمرنا هذا - أي في ديننا - ما ليس منه فهو ردّ
٨١، ٦٥، ٤٧	مَنْ أدرك رمضان ولم يُغفر له فأبعده الله ثمَّ أبعده. فقال النبي ﷺ: آمين
٣٦، ٣٥، ٥	من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح، فكأنما قرب بدنة
٣٣	من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا
٣٣٩	من أمسى كالألّا - مُتعبًا - من عمل يده أمسى مغفورًا له
٨	مَنْ بنى لله مسجدًا ولو كمِفْحَصٍ قَطَاةٍ بنى الله له بيتًا في الجنة
٨	مَنْ بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتًا في الجنة





رقم الصفحة	الحديث
٣١	من ترك ثلاث جُمعٍ تهاونًا بها، طبع الله على قلبه
٩٩، ٤٨ ١١٢، ١٠٠	مَنْ حَجَّ لَهِ فَلَهِ يَرْفُثُ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ
١٥٣	مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ
٢٦١	مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا عَلَى عَوْرَةِ سِتْرِهِ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
١٩٦	مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا: سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ
٦٤، ٤٨	مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ
٨٥، ٦٦	مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ بَسْتٌ مِنْ شَوَّالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ
٨	مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلًا فِي الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ
٣٤٢	مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا
١٥٥	مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
٦٤، ٥٣، ٤٨	مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ
٣٢٩	مَنْ قَتَلَ عَصْفُورًا عَبَثًا؛ عَجَّ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ
٣٢٩	مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ
٣٥٩	مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شَقِيهِ مَائِلٌ
٥٠	مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ
١٥٨، ١٥٧	مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يَصْبِحْ نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ
٢٨٥	مَنْ يَجِدُ دِينَهَا
١٥٨، ٢٩، ٢٨	الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا
هـ	
٨٧	هم الصائمون

الحديث	رقم الصفحة
و	
والذي نفسي بيده، لقد هممتُ أن أمر بحطب	٢٩
وإن أفتاك الناس وأفتوك	١٨٥
وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صدقة. أي: في إتيان الرجل زوجته وفي بضعه صدقة	٧٥، ٧٤
وكان للنبي ﷺ حُلَّةٌ يلبسها للعيدين والجمعة	٣٣
وكان النبي ﷺ إذا عمل عملاً أثبتته	٨٤
ولو يعلم الناس ما في النداء - أي الأذان - والصف الأول لاستهموا عليه	٣٦
ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّلُك ما قبَّلْتُك	١٢١
وما زال عبيد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته	٨٦
ومن فطر صائماً كان له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء	٥٤
ويحك! أتريد أن تُميتها موتات	٧٢
ي	
يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟. فحكى للرسول ﷺ	٢٦٠، ٢٥٩
يا رسول الله، أشهدك أنني جعلته في سبيل الله	١٧٠
يا عبادي، إنني ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة	١٥١
يا عبد الله، ألم أخبر بأنك تصوم النهار وتقوم الليل	٣٥٧، ٣٥٦
يُحْشَرُ التاجر الصدوق مع النبين والشهداء	٣٤٥
يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صلاته إلى صلاتهم... يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ	٢٣٤، ٩٢
يحمل هذا العلم من كُلِّ خَلْفٍ عُدُوهُ، ينفون عنه تحريف الغالين	٢٥٢
يد الله مع الجماعة، فمن شذَّ شذَّ في النار	١٦٦، ٢٩
يَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، وَيَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ	١٩٣



رقم الصفحة	الحديث
٢٢٢	يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا
١٢٠، ٧٨	يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدُ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ
١١٢، ١٠١	يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ
٥٦	يَقُولُ الصِّيَامُ: يَا رَبِّ، مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ

\* \* \*



## فهرس الموضوعات

- ❖ من الدستور الإلهي للبشرية..... ٤
- ❖ من مشكاة النبوة الخاتمة..... ٥
- ❖ ١ - المسجد والطريق إلى الجنة..... ٧
- أهميّة المسجد..... ٨
- الطريق إلى الجنة..... ٩
- ١ - الإيمان..... ٩
- ٢ - عمل الصالحات..... ٩
- شُعَب الإيمان تجمع الصالحات..... ١٠
- التقوى تجمع شعب الإيمان..... ١٠
- المُتَّقُونَ والمعصية..... ١١
- ٣ - الجهاد في سبيل الله..... ١٢
- ٤ - الصبر على المحن والشدائد..... ١٣
- ٥ - نَصْرُ الله..... ١٤
- ٦ - اتِّبَاعُ الأحسن..... ١٤
- من قضايا المسلمين..... ١٧
- ١ - اتِّهَامُ العُثمانيّين بإبادة الأرمن..... ١٧
- ٢ - الاجتماع الوطني في فلسطين..... ١٩



- ٣ - الاجتماع الوطني في تونس..... ١٩
- ٤ - الانتخابات في مصر..... ٢٠
- ٥ - المظاهرات في مصر..... ٢١
- ٦ - اتحاد دول التعاون الخليجي..... ٢٣
- ٧ - في الشأن العراقي..... ٢٤
- ٨ - القضية السورية..... ٢٥
- ❖ ٢ - فضل يوم الجمعة..... ٢٧
- عيد أسبوعي..... ٢٨
- الإسلام دين الجماعة..... ٢٨
- أهميّة صلاة الجمعة..... ٣٠
- لا يجوز أن يتخلّف عن الجمعة بلا عذر..... ٣٠
- إباحة العمل للعالم ما لم يشغل عن الطاعة..... ٣١
- طهارة قلب المسلم وبدنه وثيابه..... ٣٢
- خشية المُبشّرين من أثر صلاة الجمعة..... ٣٤
- تهاون بعض المسلمين وتأخّرهم عن الجمعة..... ٣٥
- الإسلام لا يمنع من العمل بعد الصلاة..... ٣٦
- التوكّل لا ينافي اتخاذ الأسباب..... ٣٧
- المسلم يعيش بين الدُّنيا والآخرة..... ٣٨
- احتفال المجاهدين الأفغان بذكرى انتصارهم..... ٤١
- ❖ ٣ - رمضان شهر الخير والإحسان..... ٤٤
- تُجَار الدُّنيا..... ٤٤
- تُجَار الآخرة..... ٤٥
- رمضان موسم للتنافس على الخير..... ٤٦



- ٤٧..... رمضان فرصة للتطهّر من السيئات
- ٤٨..... رمضان فرصة للتزوّد من الحسنات
- ٥٠..... ١ - إحسان الصيام
- ٥١..... درجات الصوم
- ٥١..... هل المعاصي تفطر؟
- ٥٣..... ٢ - إحسان القيام
- ٥٤..... ٢ - الإحسان إلى الناس
- ٥٥..... الاستعداد لشهر رمضان
- ٥٥..... رمضان موسم لتجديد الحياة الإسلاميّة
- ٥٦..... إكرام رمضان وشفاعته
- ٥٨..... من أحكام الصيام
- ٥٨..... الأكل والشرب نسياناً
- ٥٩..... القبلة في الصوم
- ٦٠..... المسافرين والمريض
- ٦٠..... الشيخ المسنّ والمرأة العجوز
- ٦١..... المريض مرضاً مزمناً
- ٦١..... الحامل والمرضع
- ٦٢..... تعجيل الفطور وتأخير السحور
- ٦٤..... ❖ ٤ - العبادات بعد رمضان
- ٦٤..... شهادة رمضان لنا أو علينا
- ٦٥..... العبادة مطلوبة دائماً
- ٦٦..... العبادة في الإسلام
- ٦٧..... ١ - إقامة الشعائر وأداء الفرائض
- ٦٨..... ٢ - فعل الخيرات





- الصدقات الاجتماعية والجسمية والعقلية..... ٧٠
- فعل الخير يشمل الإنسان والحيوان..... ٧٠
- ٣ - السعي على المعاش..... ٧٣
- ٤ - تحويل العادات إلى عبادات..... ٧٤
- الحياة محراب المسلم..... ٧٥
- العبادات القلبية..... ٧٦
- دعوة للإنفاق..... ٧٨
- ❖ ٥ - أهمية الطاعة بعد رمضان..... ٨٠
- الرابحون من شهر رمضان..... ٨٠
- رمضان شاهدٌ لنا، أو شاهدٌ علينا..... ٨١
- رمضان فرصة للتطهر والتزود..... ٨٢
- علامة قبول رمضان..... ٨٣
- دوام العبادة بعد رمضان..... ٨٤
- أداء النوافل..... ٨٥
- أثر النوافل في جبر الخلل في الفرائض وزيادة الحسنات..... ٨٥
- النوافل تؤدي إلى منزلة الحب..... ٨٦
- الصيام سياحة روحية..... ٨٧
- الحج سياحة روحية..... ٨٨
- الحفاظ على مكتسبات رمضان..... ٨٨
- ❖ ٦ - من فقه الحج (١)..... ٩٤
- فريضة الحج مرة واحدة في العمر..... ٩٤
- العبادات الظاهرة، والعبادات الباطنة..... ٩٥
- أنواع العبادات الظاهرة..... ٩٥

- ٩٦.....الحج عبادة بدنيّة ماليّة
- ٩٧.....هل الحج واجب على الفور أم على التراخي؟
- ٩٧.....الاستطاعة الماليّة والبدنيّة في الحج
- ٩٩.....تحديد أعداد الحجاج
- ١٠٠.....علامة قبول الحج
- ١٠٢.....شروط الحج المبرور
- ١٠٢.....١ - الإخلاص لله
- ١٠٢.....٢ - المال الحلال
- ١٠٤.....حكم مَنْ كان عليه دَيْنٌ
- ١٠٦.....الذكريات الإبراهيميّة والذكريات المحمديّة
- ١٠٦.....توسيع أفق المسلم الثقافي
- ١٠٧.....الحج تعليم عمليّ لمبادئ الإسلام
- ١١٠.....❖ ٧ - من فقه الحج (٢)
- ١١١.....ما هو الحجّ المبرور؟
- ١١٣.....لماذا فرض الله الحج؟
- ١١٣.....الحج عبادة بدنيّة ماليّة
- ١١٥.....الحجّ عبادة فيها تحقيق كمال العبوديّة لله
- ١١٦.....الحجّ تدريب عمليّ على قيم الإسلام
- ١١٦.....قيمة المساواة
- ١١٧.....قيمة السلام
- ١١٨.....أفق العالميّة
- ١٢٠.....الحج ميلاد جديد
- ١٢٢.....اللغة الرمزية في الحج
- ١٢٣.....فرائض على الأمّة أهمّ من الحجّ التطوعي



- ١٢٥..... قضية الشيشان
- ١٢٦..... قضية فلسطين
- ١٢٨..... كيسنجر مستشاراً لرئيس إندونيسيا
- ١٢٨..... الانتخابات الإيرانية
- ١٢٩..... وفاة العلامة الشيخ سيّد سابق
- ❖ ٨ - الخليل إبراهيم عليه السلام..... ١٣٠
- ١٣٠..... يوم الحج الأكبر
- ١٣١..... شخصية إبراهيم عليه السلام
- ١٣٣..... دعوة إبراهيم لأبيه لعبادة الله
- ١٣٥..... محاجة إبراهيم عليه السلام لقومه
- ١٣٧..... البشارة بالغلام الحليم
- ١٣٨..... الاختبار العظيم والبلاء المبين
- ١٤٠..... الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق
- ١٤٠..... ذكريات إبراهيم ومواقفه تتجدد في الحج
- ١٤١..... إبراهيم خليل الرحمن، وأسوة المؤمنين، وإمام الحنفاء، ووالد الأنبياء
- ١٤٢..... الذكر الطيب، والثناء الحسن لإبراهيم
- ١٤٣..... الأمة الواحدة في مواجهة التحديات
- ❖ ٩ - الرسائل الثلاث للمسلم في هذه الحياة..... ١٤٧
- ١٤٨..... إعداد الجيل المؤمن
- ١٤٩..... الرسالة الأولى: علاقة المسلم بربه
- ١٤٩..... عطاء الله وإنعامه
- ١٥٠..... واجب الإنسان نحو خالقه
- ١٥٢..... الرسالة الثانية: علاقة المسلم بمجتمعه

- المسلم فاعل للخير..... ١٥٢
- نية عمل الخير، والكف عن الشر..... ١٥٣
- المسلم يحسن لكل المخلوقات..... ١٥٤
- الرسالة الثالثة: علاقة المسلم بأعداء دينه..... ١٥٤
- الأمة كلها جيش مجاهد..... ١٥٥
- حين غفل المؤمنون عن الجهاد..... ١٥٦
- رسالة المسلم أن يعمل في هذه الميادين كلها..... ١٥٧
- المسلمون أمة واحدة..... ١٥٨
- ما يقوم به اليهود في الضفة الغربية..... ١٥٩
- ماذا فعل العرب والمسلمون؟..... ١٥٩
- سنن الله في الكون..... ١٦٠

- ❖ ١٠ - الإنسان الناجي في سورة العصر..... ١٦٢
- ماذا نعني بالعودة إلى الإسلام؟..... ١٦٢
- الفرد أساس الأمة الصالحة..... ١٦٤
- الإيمان أولاً..... ١٦٤
- القضية المصيرية الأولى..... ١٦٥
- الإيمان والتفكير في آيات الله..... ١٦٥
- يد الله على الجماعة..... ١٦٦
- عمل الصالحات..... ١٦٧
- حقائق الإيمان كما عرضها القرآن..... ١٦٧
- لا بد للإيمان من عمل..... ١٦٩
- عمل الصالحات..... ١٦٩
- التواصي بالحق..... ١٧١
- كل المسلمين دعاة إلى الله..... ١٧٣



- المسلم الحقُّ يهتمُّ بأمر إخوانه..... ١٧٥
- التواصي بالصبر..... ١٧٦
- ❖ ١١ - إصلاح الإنسان بالعلم..... ١٨١
- معرفة الغاية..... ١٨١
- معرفة الطريق..... ١٨٢
- دور الوحي في هداية البشر..... ١٨٢
- البيان المبين..... ١٨٣
- السُّنة الصحيحة..... ١٨٣
- الرجوع إلى أهل العلم المجتهدين الورعين..... ١٨٤
- إذا اختلف العلماء في المسألة..... ١٨٥
- معرفة الإسلام من منابعه الصافية..... ١٨٦
- بداية الطريق على نور..... ١٨٧
- إخلاص العبادة لله..... ١٨٨
- الفقه في الدين..... ١٨٨
- هناك أصلا ن أساسيان في العبادة..... ١٨٩
- موازين قبول الأعمال..... ١٨٩
- لا تُقبل النافلة حتَّى تُؤدَّى الفريضة..... ١٩٠
- مراتب الأعمال..... ١٩١
- لا إنكار في مسائل الخلاف..... ١٩٢
- ❖ ١٢ - العلم والتعليم (١)..... ١٩٤
- أمة العلم..... ١٩٤
- فضل العلم..... ١٩٥
- محاربة الإسلام للأمية..... ١٩٨
- الأمم ترتقي بالعلم..... ١٩٩

الأمة الأولى في علوم الدين والدنيا ..... ٢٠٥

تعليم الفتيات ..... ٢٠٦

المساومة على القدس ..... ٢٠٩

خطف جماعة أبي سيف للرهائن ..... ٢١٠

❖ ١٣ - العلم والتعليم (٢) ..... ٢١٣

مقومات العملية التعليمية ..... ٢١٣

العلم يرفع أهله ..... ٢١٥

رحلة العلماء السابقين في طلب العلم ..... ٢١٨

شعور الأسرة بالمسؤولية ..... ٢٢١

التربية هي التزكية ..... ٢٢٢

المعلم هو الأب الروحي للطلاب ..... ٢٢٣

زيارة شارون للمسجد الأقصى ..... ٢٢٦

مشروع طالب العلم ..... ٢٢٩

❖ ١٤ - موقف الإسلام من العلم (١) ..... ٢٣١

اهتمام الإسلام بالعلم ..... ٢٣١

العلم إمام العمل ..... ٢٣٣

القرآن يدعو إلى العلم ..... ٢٣٥

عصور النور للمسلمين ..... ٢٣٧

اللغة العربية كانت هي لغة العلم في العالم ..... ٢٣٨

يجب على المسلمين تعلم علوم الدنيا ..... ٢٤٢

قضية فلسطين ..... ٢٤٦

منع فرنسا الحجاب والنقاب ..... ٢٤٧

الانتخابات البرلمانية في مصر ..... ٢٤٨





- ❖ ١٥ - موقف الإسلام من العلم (٢)..... ٢٥١
- العلم المطلوب علم الدين والدنيا..... ٢٥٢
- شروط تحصيل العلم..... ٢٥٤
- ١ - ذكاء طالب العلم..... ٢٥٥
- ٢ - الحرص على طلب العلم..... ٢٥٦
- ٣ - الاجتهاد في طلب العلم..... ٢٥٧
- ٤ - الرحلة في طلب العلم..... ٢٦٠
- ٥ - أهمية المعلم للطالب..... ٢٦٣
- ٦ - الاستمرار في طلب العلم..... ٢٦٨
- حفظ العلم..... ٢٦٨
- كتابة العلم..... ٢٦٩
- الجمع بين الحفظ والكتاب..... ٢٦٩
- ضرورة القراءة..... ٢٧٠
- استمرار الاستيطان في القدس..... ٢٧١
- تنظيم قطر لكأس العالم ٢٠٢٢م..... ٢٧١
- ❖ ١٦ - تغيير الخطاب الديني والتعليمي..... ٢٧٤
- تغيير الخطاب والتعليم الديني..... ٢٧٤
- التجديد المطلوب..... ٢٧٥
- صور التجديد..... ٢٧٦
- الأولى: العودة بالإسلام إلى سيرته الأولى..... ٢٧٦
- ثانيًا: أن نعيد فهم الدين..... ٢٧٦
- ثالثًا: إحياء الاجتهاد..... ٢٧٧
- التجديد من أجل تغريب الأمة مرفوض..... ٢٧٨
- أهداف من يزعمون التجديد..... ٢٨٠

- أولاً: سلخ الأمة من هُويّتها..... ٢٨٠
- ثانياً: تطويع الأمة واستسلامها لغيرها..... ٢٨٠
- استعصاء الأمة على التطويع والذوبان..... ٢٨١
- الظالم لا يدوم ظلمه..... ٢٨١
- التغيير المزعوم لا يمكن أن يتم..... ٢٨٣
- الأمة الإسلامية أمة محفوظة وباقية..... ٢٨٤
- الإسلام يتجدد بأيدي أهله..... ٢٨٥
- خارطة الطريق..... ٢٨٩
- المقاومة الباسلة..... ٢٩٠
- تحية لأصحاب الإنسانية من اليهود..... ٢٩٠
- خذلان العرب والمسلمين..... ٢٩١
- ❖ ١٧ - الردُّ على أحد المُثَقِّفِين المُنْحَرِفِين..... ٢٩٤
- رفضه الدعوة إلى حكم إسلامي..... ٢٩٤
- الجهل بالدين والتاريخ والواقع..... ٢٩٥
- بداية الدعوة..... ٢٩٦
- مواجهة المرتدين..... ٢٩٧
- انتصر الإسلام بالمؤمنين به..... ٢٩٨
- نحن قوم أعزنا الله بالإسلام..... ٢٩٩
- تقوى الأمة حين تتمسك بدينها..... ٢٩٩
- من العهود المضيئة..... ٣٠١
- سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت..... ٣٠٢
- نماذج معاصرة..... ٣٠٣
- لماذا نظلم الإسلام؟..... ٣٠٤
- العمل للإسلام..... ٣٠٥



- ماذا صنعت أمتنا؟ ..... ٣٠٦
- المستقبل لهذا الدين ..... ٣٠٧
- الإسلام لا يموت ..... ٣٠٩
- حنين الأمة إلى أحكام الإسلام ..... ٣٠٩
- توجد القوة حين يوجد الإسلام ..... ٣١٠

#### ❖ ١٨ - قضية التنمية في ضوء الإسلام (١) ..... ٣١٣

- حاجتنا إلى التنمية ..... ٣١٣
- حاجتنا إلى العمل ..... ٣١٥
- الإسلام والعمل ..... ٣١٦
- إتقان العمل فريضة ..... ٣١٧
- العمل في مجال الصناعة ..... ٣١٧
- العمل في مجال الزراعة ..... ٣١٩
- الأنبياء والعمل ..... ٣٢٠
- مقارنات ..... ٣٢١
- شروط التنمية ..... ٣٢١
- ١ - توفير الحريات ..... ٣٢٢
- ٢ - توفير العدل الاجتماعي ..... ٣٢٢
- ٣ - الجزاء على الإحسان والإساءة ..... ٣٢٣
- ٤ - توفير جو الإيمان والأخلاق ..... ٣٢٤
- ٥ - العمل لهدف ورسالة عظيمة ..... ٣٢٥
- ٦ - التكتل والتكامل ..... ٣٢٥
- تنمية الإنسان ..... ٣٢٧
- الحفاظ على الموارد ..... ٣٢٧
- اقتحام اليهود للمسجد الأقصى ..... ٣٣٠
- حكم تاريخي ضد جريدة الاتحاد الإماراتية ..... ٣٣١

- ❖ ١٩ - قضية التنمية في ضوء الإسلام (٢) ..... ٣٣٤
- العمل والتنمية ..... ٣٣٥
- العمل في الإسلام ..... ٣٣٦
- العمل للنفس والأهل ..... ٣٣٧
- العمل للمجتمع ..... ٣٣٨
- العمل المستمر ..... ٣٣٩
- العمل الحسن ..... ٣٣٩
- العمل الأحسن ..... ٣٤٠
- شروط اعتبار العمل عبادة وجهادًا ..... ٣٤١
- ١ - النية الصالحة ..... ٣٤١
- ٢ - إتقان العمل ..... ٣٤١
- ٣ - رعاية حدود الله ..... ٣٤٢
- ٤ - عدم الانشغال بالعمل عن أداء حقوق الله ..... ٣٤٢
- الاختلاف في أفضل الأعمال ..... ٣٤٤
- الحاجة معيار الأفضلية ..... ٣٤٥
- مصادر القوة ومقومات النهوض ..... ٣٤٦
- ١ - القوة البشرية ..... ٣٤٦
- ٢ - القوة الاقتصادية ..... ٣٤٧
- ٣ - القوة الحضارية ..... ٣٤٧
- الرسالة الرابعة: الرسالة الخاتمة ..... ٣٤٨
- ضرورة العمل ..... ٣٤٩
- دعوة البابا الجديد للحوار ..... ٣٥٠
- ❖ ٢٠ - قيمة العدل في الإسلام ..... ٣٥٣
- العدل هدف الرسائل ..... ٣٥٣
- التوازن أصل العدل ..... ٣٥٤



- العدل الإلهي ..... ٣٥٤
- العدل مع النفس ..... ٣٥٥
- العدل مع الأسرة ..... ٣٥٨
- العدل مع المجتمع ..... ٣٦١
- العدل الاجتماعي ..... ٣٦٥
- العدل السياسي ..... ٣٦٨
- العدل الدولي ..... ٣٧١
- اعتذار الكنيسة الإنجيلانية للمسلمين ..... ٣٧٣
- الهرولة نحو العدو الصهيوني ..... ٣٧٤
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة ..... ٣٧٨
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ..... ٤٠٠
- فهرس الموضوعات ..... ٤١٠

\* \* \*

## فهرس كتب المجلد

١٧٦ - خطب الشيخ القرضاوي (١٣) ..... ٥

١٧٧ - خطب الشيخ القرضاوي (١٤) ..... ٤١١

\* \* \*